قصة الزير سالم

أبو ليلة المهلهل الكبير





وفيه ما كان من كليب وحسان اليمانى

وجساس بن مرة وما وقع بينهم

من الحروب والأهوال

تطلب من

مكتبة الجمهورية المصرية

لصاحبها عبد الفتاح عبد الحميد مراد

بشارع الصنادقية بجوار الأزهر بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد حمد الله . والصلاة والسلام على رسله وأنبيائه وبعـــد فهذه سيرة الأسد الكرار والبطل المغوار الذى شاع ذكره فى الأقطار وأذل بسيفه كل صنديد وجبار المهلهل بن ربيعة صاحب الاشعار البديعة والوقائع المهولة المريعة وماجرى له فى ذلك الايام مع ملوك التبابعة وفرسان الصدام من الحوادث والوقائع التى تطرب القارىء وتلذ السامع ولكن قبل الشروع فى هذه السيرة العجيبة وأخبارها المطربة الغريبة رأينا أن نذكر طرفا من أخبار العرب أهل الفضل والأدب افادة للطالبين ونزهة للسامعين فنقول والله المستعان أن أصل العرب من قديم الزمان وسالف العصر والأوان من ولد نزار بن معد بن عدنان وكان قد ولد لنزار المذكور أربعة أولاد من الذكور كل منهم بالفضل والباس مشهور وهم مضر إنما روابا وربيعة فارس الطراد ومنهم تشعبت قبائل الأعراب وملأت البرارى والهضاب فمن نسل أيادى ملوك التبابعة الذين أخبارهم بين الناس شائعة ومن نسل ربيعة ومضر وانمار عرب الحجاز ونجد العراق وسكان القفار وكانت العرب فى ذلك الزمان منقسمة الى جزئين قيس ويمن فسكان اليمن فى اليمنيون وباقى العرب هم لقيسيون مازالت العرب تنموا وتكثر وتمتد فى البر الاقفر حتى اشتهرت العشائر والقبائل وظهر الأمير ربيعة وأخوه مرة أبناء وربيعة المذكور وهو أبو الزير الفارس المشهور صاحب هذه السيرة ووقائعها الشهيرة

(قال الراوى) كان ربيعة فى ذلك الزمان من جملة ملوك العربان وأخوه مرة من الأمراء والأعيان وكانت منازلهما فى تلك الأيام فى أطراف بلاد الشام وكانا يحكمان على قبيلتين من العرب وهما بكر وتغلب وولد لربيعة خمسة أولاد مثل الأقمار وهم كليب الأسد الكرار وسالم البطل الشهير الملقب بالزير وعدى ودريعان وغيرهم من الشجعان وكان له بنت جميلة الطبع شديدة الباع تعارك الأسود والسباع اسمها اسمى وتلقب بضباع وأما الأميرة مرة فكان له عدة أولاد أبطال أمجاد قد اشتهروا بالشجاعة وقوة البأس منهم همام وسلطان وجساس وله بنت جميلة فاضلة يقال لها الجليلة فاتفق فى بعض الأيام أن الأمير مرة دخل على أخيه ربيعة فى الخيام وخطب ابنته ضباع لابنه همام وخاطبه بهذا الشعر والنظام

يقول أمير مرة فى قصيد ... معانيه حكت درر الجواهر
ربعة ياأخى اسمـــع كلامى ... أيا قهار فرســان الجبابر
أريد ضباع بلتك ياربيعة ... الى همام يا فخر القبـــايل
وتكبر يامالك بنتى الجليلة ... فخذها له وروح لا تشـــاور
هذا ياأخى قصدى ومرادى ... أيا صدم أساد كـواسر

تبدى له ربيعـــة ثم قله　　كلامك يا أخى مثـــل العنابر
تريد ضباع خذها يامسمى　　وزوجها لابنك لا تشاور
ومعها مية حـر كالعرائس　　ومية قود مع ميتين قاطر
ومعها الحل الفاخرة واطلس　　زياد مسك فايح دوم عاطر
فقم لنقض وزوجها بسرعة　　وافرح واعمل عرس فاخر

فلما فرغ ربيعة من كلامه وشعره ونظامه أعنقه أخوه وشكره على حسن اهتمامه ثم بشر القوم بأمر العرس وعقدوا عقد الأمير همام على ضباع بنت الكرام كما جرت عادت الملوك العظام فأولموا الولائم وذبحوا الذبائح واطعموا كل آت ورائح ومازالوا فى سرور وأفراح وبسط وانشراح ودق طبول وشرب مدام مدة عشر أيام ثم زفوا ضباع على الأمير همام فكانت ليلة عظيمة لم سمع بمثلها فى الأيام القديمة حضرها كثير من سادات العرب وأهل المناصب والرتب ودخل همام على ضباع وحظى بحسنها وجمالها ونالت منه غاية أملها لأنها كانت تحبه محبة شديدة وتوده مودة أكيدة وسوف يظهر لها ولدان وهما لهيبون وشبوان وسيأتى حديثهما بعد الآن هذا ما كان من خبر بنى قيس المدعوين بالقيسية ولنتكلم عن حديث اليمنية وما جرى لهم من الأمور والأحكام والحرب والأهوال فى ميادين القتال فنقول :

انه كان فى قديم الزمان فى بلاد اليمن ملك عظيم الشأن صاحب جند وأعوان وأبطال وفرسان يقال له الملك حسان ويكنى بالتبع اليمانى ولم يكن له بين الملوك ثانى هو أول اليمانية كما كان ربيعة أول القيسية وكان شديد البأس قوى المراس طويل القامة عريض الهامة لا يعرف الحلال من الحرام ولا يحفظ العهد والزمان وكان يحب النساء والمزاح معهم فى المساء والصباح من أعماله الغريبة واصطلاته العجيبه كما ذكر أصحاب الروايات انه كان فى ليلة يتزوج بصبية من بنات الملوك والسادات وكانت الملوك تخافه وتخشاه وتحسب حسابه وترضاه وتحمل له الخراج وتعمل له الخاطر وكان عنده من الابطال والفرسان الف عنان وهم عشركرات مستعدين للحرب والعراك وكان بشرب المدام بالليل والنهار ولا يبالى بأهوال ولا خطر وكان له وزير عاقل خبير قوى اسمه نبهان وقد امتاز على الأقوام بفعل الخير وكان له كثيرا ماينهى الملك حسان عن ارتكاب الظلم والعدوان فاتفق فى بعض الأيام أن الملك تبع وزيره نبهان وقال له فى الديوان بحضور الأمراء والأعيان هل سمعت أيها الوزير العاقل الخبير عن ملك كبير عنده رجال كرجالى وأموال كعدد أموالى فقبل الوزير الأرض ووقف فى مقام العرش وقال اعطنى الامان ياملك الزمان وأنا أحدثك بأخبار ملوك الأمم وأصحاب البطش والهمم بما عندهم من

الجيوش والعساكر والمهمات والذخائر فقال قر وعليك الأمان من نوائب الزمان اعلم أيها الملك المعظم أنه لا يوجد مثلك فى هذه الأقطار من الملوك الكبار أصحاب المدن والأمصار ولكن يوجد خارج البحار عرب أهل الشجاعة والأقدار عددهم كثير وجيشهم غفير يقال لهم بنوا قيس وسيدهم اسمه الأمير ربيعة ولهم فى الحروب والغازات وقائع مهولة مريعة وهم من أولاد مضر الاسد الغضنفر قد امتلكوا أكثر جهات الأرض فى الطول والعرض هم أعظم منا وأكثر وأشد بأسا فلما انتهى الوزير من هذا الكلام وسمعه من حضر فى ذلك المقام اغتاظ الملك وتأثر وكان عليه أشد من ضرب السيف الأبتر فصاح على الوزير وزعق وقال بكلام الحنق هكذا يا نيس تفضل على بنى قيس ومادام الأمر كذلك لابد أن أقصدهم بفرسان المعارك وأقتل ملكهم ربيعة وأوردهم موارد المهالك وأخرب بلادهم وديارهم وأمحوا بالسيف آثارهم وأمتلك تلك الديار بالقوة والاقتدار ثم أنشد هذه الأبيات على مسامع الأمراء والسادات

يقول التبعى اليمنى المسمى	بحسان فما للقول زورا
ملكت الأرض غصبا واقتدارا	وصرت على ملوك الأرض سورا
وطاعنى الملوك والقبايل	وفرسان المعامع والنمورا
لقد أخبرت عن بطل عنيد	شديد البأس جبار جسورا
وقالوا انه يدعى ربيعة	أمير قد جرى مدنا ودورا
تولى الأرض فى طول وعرض	فكم أخرب وكم شيد قصورا
فقصدى اليوم أغزوه بجيشى	واترك أرضه قفرا وبورا
أيا نبهان اجمع لى العساكر	فيأتوا فوق خيل كالنمورا
وجهز الف مركب ياوزيرى	وأوسقهم فى وسط البحورا
ثلاث شهور أسرع لا طول	يكون جميع ما قلته حضورا
أسير بهم الى تلك الأراضى	وأملك للقلاع والقصورا
ويبقى الحكم برا وبحرا	ويصفى خاطرى بعد الكدورا

(قال الراوى) فلما انتهى التبع من شعره فهم الوزير فحوى حديثه وكلامه ندم وتكدر الذى أعلمه بهذا الخبر ولم يعد يمكنه الاستقالة وتجهز الفرسان والأبطال الى الحرب والقتال فنزل الى الديوان وهو مقهور غضبان وأمر دق طبل النحاس لاجتماع العساكر وباقى الناس وكان هذا الطبل يقال له الرجوع وهو من أعظم الطبول وكانت تدقه عشرة من العبيد وهو من صنعة

الملوك العظام كان الملك حسان إذا غزا قبيلة من العربان يأخذ ذلك الطبل معه وأينما ذهب يتبعه ولم يزل هذا الطبل فى ذلك الزمان يتصل إلى كل ملك حتى اتصل إلى الأمير حسن سيد بنى هلال المشهور بالاحسان والافضال فلما دقت العبيد الطبل وسمعت صوته قواد الفرسان اقبلت على الوزير من كل جهة فسلموا عليه وتمثلوا بين يديه وسألوه عن سبب دق الطبل فخبرهم بذلك الامر والمسير إلى تلك البلاد للغزو والجهاد ففرق عليهم السلاح وآلات الحرب ولم تكن إلى مدة قصيرة حتى تجهزت المراكب وتجمعت العساكر من كل جانب وكان من جملتهم عشرة ملوك كبار كل ملك يحكم على مائة الف بطل مغوار فحضروا أمام الملك تبع حسان فسلموا عليه وقبلوا الأرض بين يديه وقالوا له هانحن بين يديك ولا نبخل بأرواحنا عليك فشكرهم وخلع عليهم الخلع الفاخرة ووعدهم بالمال الجزيل وبكل خير جميل ثم أمر الوزير بالاستعداد والرحيل على عرب بنى قيس وتلك البلاد وطلب منه أن يأتى بالعساكر من تحت القصر وهى نازله إلى الحرب ليشاهد أحوالها ويرى سلاحها فامتثل الوزير لما أمر وفعل كما ذكر فانشرح صدر الملك عند رؤية العساكر بالسلاح الكامل والاستعداد للحرب والقتال فانشد يقول

يقول التبع الملك اليمانى	صفا عيشى وقد طاب فؤادى
تفنى عساكر كالاسد تجرى	ألوف راكبين على جياد
عليهم كل درع من حديد	له زرد كما عين الجراد
وفيهم كل جبار عنيد	يقابل الف ليث فى الطراد
برؤيتهم فقد زاد انشراحى	وزال الهم عنى باتمادى
أسير بهم لذاك البر حالا	وأقتل كل من يطلب عنادى
وارجع غانما فى طيب عيش	ولا يبقى لتبع من يعادى
ومنى أبشروا فيما تدابروا	ومهما تطلبوه بازديادى

فلما فرغ الملك من شعره صرخت الامراء والاكابر وقياد الجيوش والعساكر ودعوا للملك بالنصر وطول العمر وقد استبشروا فى غزو تلك البلاد وأيقنوا بالنجاح وبلوغ المراد ثم نزلت العساكر فى المراكب مع الامراء والقواد وكان الملك حسان قبل خروجه من الاوطان وقصد بلاد الحبش والسودان وعند وصولهم إلى ذلك الجانب القوا المراسى ونزلوا إلى البر نصبوا الخيام وفى الحال أرسل الملك تبع وزيراسمه زيد بن عقبه بألف فارس منتخبة ليطرابن أخته الرعيتى بقدومه إلى تلك الأقطار لأنه كان ملك هاتيك الديار ويأمره بسرعة الحضور وتقديم الذخر إلى الجيش فلما علم الرعيتى بذلك الخبر بادر فى الحال وسار

بالفرسان والابطال والمهمات إلى أن التقى فدخل وسلم عليه وقبله بين عينيه وقدم له الذخائر والمهمات وسأله عن سبب قدومه إلى تلك الجهات فاعلمنا بواقعة الحال وأنه قصد غزو بني قيس وفي الصباح أمر الملك العشرة ملوك العظام أن يتاهبوا للرحيل الى بلاد الشام وأن ينقسموا قسمين ويتفرقوا فرقتين فخمسة منهم تسير عن اليمين وخمسة عن الشمال وأوصاهم أنهم كلما أقبلوا إلى مدينة يملكوها في الحال ويقيموا فيها نائبا من سادات الرجال فاجابوا أمره فعند ذلك دقت الطبول وركبت الفرسان وترتبت الكتائب وسارت المواكب في تلك البراري والسباسب وكانوا كلما وصلوا إلى مدينة أو بلد امتلكوها بحد السيف حتى ملكوا أكثر البلاد وأطاعتهم العباد وما زال تبع يتقدم إلى الأمام حتى أقبل إلى مدينة الشام فاحاط بها إلى جميع الجوانب بالمواكب والكتائب وكان نائبها الملك ربيعة في دمشق الشام يدعى زيد بن علام وكان ربيعة واخوه في وادي الانعمين وهو مكان بعيد عن المدينه مسافة يومين فارسل الملك تبع إلى نائب الامير ربيعة أحد الوزراء يطلب منه الخضوع لأمره وتسليم البلد فلما وصل اليه ودخل عليه أعلمه بالخبر فاجاب بالسمع والطاعة وأجاب مسرعا في تلك الساعة وأخذ معه الأموال والذخائر وخرج في جماعه من الاكابر حتى التقى بتبع في الخيام فحياه بالسلام فترحب به تبع غاية الترحيب وأمر له بجلس بمكان قريب منه فقال هل أنت ملك الشام قال نعم أيها الملك الهمام فساله عن حكم ربيعة قال له ظالم على قومه وكل الرعايا يا تشكوا من ظلمه وتتمنى له الاذى والموت والحمد لله رب البرية الذي ابعدنا عنه حتى نتخلص من نير العبودية فتبسم تبع من هذا الكلام وقال ابشر ببلوغ المرام فانك ستكون نائبي في بلاد الشام وتحمل لي الخراج في كل عام فقال سمعا وطاعة ياملك الزمان وجوهرة هذا الاوان ثم أعرض عليه الذخائر وما جاء بنفس الجواهر فانشرح قلب تبع وخلع عليه الخلع وقال له اذهب الآن مع جوهرة أهل المدينة وباشر في امر الضيافة والزينه فاننا سنحضر إلى سندك بعد ثلاثة أيام ونتفرج على الشام ثم نرجع إلى المضارب والخيام فقال أهلا وسهلا ثم ودع الملك وسار بمن معه من الاكابر والتجار وأخذ يسعى في أمر الوليمة وقد خامرت معه أرض الشام خوفا من السبي والهزيمة هذا ما جرى لهؤلاء الأخيار وأما ما كان من ربيعة وبني قيس الاخيار فانهم لما سمعوا بقدوم الملك تبع إلى تلك الديار وافتتاح المدن والامصار وأخذهم القلق وكان قد بلغ ربيعة وزيد إلى تبع وكيف أنه نسبه إلى الظلم والعدوان مع انه كان من أعدل ملوك الزمان أخذه الغضب والقلق وزاد به الحنق فجمع أكابر قومه وأخيه مرة ومن يعتمد عليهم

من أهل الشجاعة السادات و جعل يخاطبهم بهذه الأبيات

غنا ربيعة شعر من ضمايره	دمع العيون على الوجنات طوفان
ياقومنا اسمعوا واستمثلوا قولى	أنتم بنوا قيس أبطال وشجعان
كنا بخير وكان السعد يخدمنا	نقرى الضيوف ونكسى كل عريان
والروح والخز والسمور يأتى لنا	من سائر الأرض والملبوس ألوان
جانا من البحر ذا التبع يحاربنا	صعب المراس شديد البطش سلطان
معه رجال عرايس الف بطل	من كل درغام قلبه مثل صوان
حاز البلاد وما أمير خالفه	الكل طاعته القاضى مع الدان
أتى الينا وما حسب حساب لنا	منا ومن غيرنا ليس هو فزعان
معه عسكر كثير ماله عدد	أبطال حرب وفرسان وشجعان
أنا بقيت كبير السن ياعربى	مالى جلد فى اللقا فى وسط ميدان
مرة أخى بهذا الرأى ساعدنى	همام يابن أخى ماكنت كسلان
كيف العمل نزنزم أو أن نقابله	شوروا الصواب اخوانى وخلانى

فلما فرغ ربيعة من شعره قالت السادات والفرسان عن فرد لسان أن هذا الأمر لايطاق وعلقم مر المذاق وليس غير الهزيمة فهى أوفر غنيمة والاحتمال [illegible] فيه فيناولاشا ناعن بكرة أبينا وبعد مداولة وجلسة مستطيلة استقر رأى الجمهور على أن يذهبوا الى عند تبع المذكور فيسلموا عليه ويقبلوا ايديه ويطلبون لأنفسهم الأمان ويقدموا له التحف الحسان لعلهم يتخلصون بهذه الوسيلة من تلك الورطة الوبيلة هذا ما كان من أمر بنى قيس وأما الملك تبع فانه فى ذلك اليوم الثالث ركب فى وجه قومه وتوجه الى مدينة الشام لاجل الزيارة وكما تقدم فلما بلغ الغاية ووصل الى السراية التقاه زيد بالتعظيم والاكرام وأجلسه فى أعز مقام ووضع له وليمة عظيمة ذات قدر وقيمة فاحسن اليه وخلع عليه وفرق التحف الثمينة على أكابر أهل المدينة ثم رتب عليهم الخراج كل عام وبعد ذلك رجع الى المضارب والخيام وهو مسرور الفؤاد على المرام وأما بنوا قيس فانهم جمعوا التحف الحسان والأموال التى يكل عنها وصف المال من عقود وجواهر ومهمات وذخائر وقماش فاخر وحملوها على مائة جمل وركب ربيعة مع أخيه مرة وسار معهما جماعة الأمراء والقواد الذين عليهم الاعتماد وجدوا فى قطع البرارى والقفار حتى وصلوا الى تلك الديار وعند وصولهم المضارب نزلوا عن ظهر النجائب واجتمعوا بخندار الملك تبع وكان اسمه ثعلبة الأشبع فقدموا له تلك التحف الحسان ليقدمها الى الملك تبع حسان ويعلمه بقدومهم الى الديار

فقدموا الخذندار واعلم الملك بمجيء القوم فى ذلك اليوم وأن مرادهم الدخول عليه ليتشرفوا بتقبيل يديه ويصلوا أمامه ويكونوا فى جملة خدامه وأعوانه فتبسم التبع و لتفت الى وزيره نهبان وقال له إن ملوك قيس العظام الذين كنت قلت لى عنهم ماهوكذا وكذا من الكلام وأنى لا أصلح أن أكون لهم من جملة الخدام وهم قد حضروا الآن الى تقبيل أقدامى ليكونوا من جملة أعوانى وخدامى فقال الوزير وقاك الله من كل شر وضير وجعل عاقبة هذا الأمر الى خير فبينما هم فى الحديث إذ دخل على الملك أمراء بنى قيس الكرام فقبلوا الأرض بين يديه ووقعوا على رجليه فاخذ تبع ينظر اليهم ويتأمل فيهم فحانت اليه التفاتة فنظر الأمير ربيعه ووقف فى باب الصيوان وهو مثل الأسد الغضبان وكان الأمير ربيعة لم يدخل مع قومه على حسان لأن نفسه كانت لا تطاوعه على الذل والهوان فالتفت الملك تبع الى الترجمان وقال له من يكون هذا الانسان فانى أراه معجب بنفسه غاية الاعجاب ولا حاسب لى اى حساب فسئل الترجمان عنه فقالوا هذا الأسد الغشمشم سيد بنى قيس الأمير ربيعة المعظم فلما سمع تبع هذا الخبر شخر ونخر وتبدل صفو عيشه بالكدر واحمرت عيناه ثم ناداه فحضر وقد تعجب من معظم هيبته وبياض لحيته فسلم ربيعة عليه ووقف بين يديه فقال تبع أأنت سيد بنى قيس الكرام فقال نعم أيها الملك الهمام قال ولماذا أسأت الأدب واحتقرتنى دون باقى أمراء العرب الذين تمشوا أمامى وقبلوا أيدى وأقدامى فتقدم الآن وقبل رجلى بامهار و لا قتلتك بحد الحسام وجعلتك مثلا بين الأنام فقال ربيعة وقد استعظم ذلك الأمر واحمرت عيناه من الغيظ حتى صار مثل الجمر لأنه كان من أشرف العرب حسبا وأعلاهم نسبا ثم قال اعلم ياملك الزمان باننى من ملوك العربان صاحب قدر وشان وما ذليت الى انسان وهذه هى البلاد بلادى وملك آبائى وأجدادى وأنا تعديت عليك ولا أوصلت أذيتى اليك بل أنت شنيت علينا الغارة وأمتلكت بلادنا وألحقت بنا الخسارة وذلك بدون سبب من الأسباب فكفى الذى فعلته أيها الملك المهاب وقد بلغت منا مقصدك فلا أنت تقبل يدى ولا أنا أقبل يديك فلما سمع تبع منه هذا المقال خرج من دائرة الاعتدال وقال يا نذل بنى قيس من هو أذل من التيس انى ما أتيت من بلادى فى هذا الجمع المتزايد الا حتى اجعل زمام الدنيا فى قبضة ملك واحد ثم أنه بعد هذا الكلام صاح على الأعوان والخدام بصوت كالرعد فى الغمام يا ويلكم اقبضوا على هذا الشيخ الكبير ومن معه من بنى قيس الطناجير وقيدوهم فى الجنازير فامتثلوا أمره فى الحال وقيدوا ربيعة وباقى الرجال وبعد أن قيدوه وتوثقوه أمر الملك شنقه فشنقوه وهكذا انتهت حياته وانقضت أيامه وساعاته وبقى معلقا ثلاثة أيام حتى جاء نائبه الأمير زيد والى الشام فغسله وكفنه ثم وراه التراب ودفنه ثم جاؤا بباقى الرجال وأرادوا أن يفعلوا مثل تلك الفعال

فانهزم الامير مره من بين أيدى الفرسان وقال لامان يا ملك الزمان نحن الآن عبادك وطوع يديك وجميع أمورنا راجعة اليك فقد صرت لنا ملك ثم أن بعد هذا الحديث أشار يخاطبه بهذه الابيات

ألا ياأمير تبع يامسمى	أيا ملك الورى فى العالمينا
أنا فى خيرتك ياخير قومك	اجرنا لاتشفى الصد فينا
قتلت أخى ربيعة يا مكنى	واسقيت العدا الحدينا
وتقتلنى أنا يا أمير بعده	تهد وجاقنا طول السنينا
ونحن يا ملك حكام مثلك	على كل القبائل حاكمينا
فليس بواجب تهدم بيوتى	ولا هذا فعل الماجدينا
وقد حاربتنا وحكمت فينا	ونحن اليوم بحكمك رضينا
وبعد اليوم صرنا رعايا	على طول الليالى والسنينا
وندفع كل عام عشر المال كله	فاحكم ماتريد اليوم فينا

(قال الراوى) فلما سمع تبع شعره ونظامه وعرف قصده ومرامه عفى عنه وأعطاه الامان وكذلك صفح عن باقى الامراء والاعيان وجعلهم من الرعايا والخدام يدفعون له الخراج فى كل عام وقال لمرة عم ياسيد القوم انى قد سمعت ان تتخذ مدينة الشام كرسى مملكتى بعد هذا اليوم فمر أنت وامك من هذه الديار وتعرفوا فى سائر الاقطار وكونوا الأوامرى طائعين ولحكمى خاضعين وسامعين ثم أنه قسمهم إلى عدة فرق لكل فرقة ملك من سادات بنى قيس الاعيان فجعل الامير مرة على الفرقة الاولى وأمره يسكن مع قومه فى نواحى حى بيروت وملبك والبتاع وجعل الامير عسر على الفرقة الثانية وأمره أن يقيم فى بلاد السمر وعباه وأقام الامير عدنان على الفرقة الثالثة وأمره أن يقيم فى بلاد العراق وتلك المنازل والافاق وكان الملك تبع قد شتت بنو قيس بهذه الوسيلة خوفا من أن يقع منهم فى حقه مكيدة أو حيلة ثم أنه التفت إلى الأمير مرة وباقى السادات وأشار اليهم بهذه الابيات

يقول التبعى المدعو اليمانى	ايا مرة لكم منى الامانى
الا يا قيس روحوا لاتخافوا	فقد سدتم على أهل الزمان
ربيعه أنت يامرة بداله	كبير القوم من قاص ودان
واولاده فهم موضع أبوهم	أنت كبيرهم فيهم تعانى
ولكن جلق لاتسكنوها	وكونوا فى أمان مدى الزمان

فلما فرغ تبع من كلامه وشعره أجابت بنو قيس امره بالامثال وتفرقت جموعهم فى الفراوى والتلول وهم يبكون على ماجرى عليهم وما وصل الاذى اليهم لانهم كانوا فى هناء

و عز وجاه وكلمتهم بين الناس مسموعة ورايتهم فوق عام المجد مرفوعة لا يعرفون الكدر ولا يأخذهم قلق ولا ضجر إلى أن اصابهم البلية وحلت بهم تلك الرزية فبكوا على تفرق بعضهم البعض وتشتتهم فى أقطار الارض ومن غريب الاتفاق المستحق التسطير فى الاوراق وما جرى للاربعة الذى اشتهروا من بنى قيس بالحمية والنخوة وانه لزوجة الامير ربيعة المذكورة والدة كليب والزير الفارس المشهور وأربعة أخوة الذكور وهم جوشن وناجد وجودر والامير منجد الاسد الغضنفر وكانوا من أجواد الناس قد اتصفوا بالشجاعة وقوة البأس فلما رأوا افعال تبع الشنيعة وكيف أنه قتل صهرهم ربيعة ساءهم ذلك الامر وتوقد قلبهم من الغيظ ولكنهم أخفوا الكدر واظهروا الصبر فحملوا عيالهم وساقوا غنمهم وجمالهم وجدوا فى قطع البرارى والاكام حتى وصلوا إلى بلاد الشام فنزلوا بقرب صيوان تبع حسان فقال تبع من تكونوا فقال ناجد اعلم أيها السيد الماجد إننا من خيار العرب اصحاب الحسب والنسب وكان الامير ربيعة متزوجا باختنا جميلة وكنا فى زمانه فى نعمة جزيلة لا تقدر أمسينا فى ذل وهوان وقد قصدناك وأتينا اليك وجعلنا أعتمادنا بعد الله عليك املا أن ترحمنا وترقى لحالنا وتبلغنا غاية املنا وتجعلنا لك من جملة الاعوان والعبيد والغلمان فتستقيم امورنا بعد الذل والكدر ونحظى بالشرف الرفيع فاعجبه كلامهم وجعلهم من جملة وزرائه وكان يستشيرهم أكثر الاوقات ويفضلهم على الرؤساء والسادات وكانوا يترقبون الفرص ليأخذوا بالثار ويزيلوا عن قلوبهم الغصص ولما بلغ تبع الغاية دخل إلى مدينة الشام ونزل بالسراية فطاعته العباد وخضعت له جميع البلاد وشاع ذكره فى الاقطار وتحدث به الملوك الكبار واستمر على هذه الحال مدة ثلاثين سنة وهو فى عز وسلطنة وتهابه ملوك القياصر وتخدمه كماة الجبابرة وكان قد بنى له قصر مرتفع البنيان مشيد الاركان وجعل أبوابه من الفضة والذهب وحيطانه من الجواهر والدر المنتخب ما مثله ملك ولا سلطان فكان من عجائب الزمان واتقنه غايه الاتقان وذلك لما فيه من التحف الحسان التى تدهش النواظر وتحير العقول والبصائر فاتفق ذات يوم بينما هو جالس فى الديوان ومن حوله الاكابر والاعيان وقواد الجيوش والفرسان وهم يتحدثون بذكر نساء العرب اللواتى اشتهرن بالفضل والادب والحسن والجمال واللطف والكمال إذا قال بعض الوزراء انه لا يوجد فى هذا الزمان بين بنات العربان فى المحاسن اجمل من الجليلة ابنة مرة أخى ربيعة وأخذ الوزير يطنب أوصافها وآدابها والطافها ثم قال فى آخر الكلام أن هذه الصبية التى كأنها البدر التمام مخطوبة لابن عمها الامير كليب ومراده أن يتزوج بها فى هذه الايام فهنيئا لمن كانت زوجته فلما سمع تبع بذكرها وانها من بنات عصرها اشتد غرامه بها وكتب إلى أبيها مره كتابا فى الحال يامره ان يرسل له الجليلة ابنته بدون امهال لان مراده ان يتزوج بها ويكون صهره وبهذه الوسيله يعلوا بين الناس قدره ثم ختم الكتاب بهذا

الشعر والنظام وبه يتهدد الانتقام أن لم يمتثل الى هذا الكلام وأشار يقول

يقول التبعى الملك اليمانى	ملكت الأرض والسبع البارى
بحال وصولى مكتوبى اليه	فاعلمه بحــال وانتظارى
أيا مره فارســل لى الجليلة	بلا اهمال من بين الدرارى
وركبها على جمل عديل	بهودج فيه تقطع البرارى
أريد تكون باكرعلى وسط قصرى	ويتسلطن على كل الجــوارى
واحضر ياملك مرة لعنـــدى	واخضع لى بذل وانكسارى
وأدخل على الجليلة وسط قصرى	واتمتع بها واطفى لنارى
وان كانت كما وصفوا وقالوا	سأقضى الليل معها مع نهارى
وان لم تمتثل قولى وأمرى	ترانى جئتكم مثل الضوارى
وأفنى جميعكم فى حد سيفى	وانهب مالــكم وأنال ثارى

ثم أمر تبع وزيره نبهان أن يركب مع جماعة من الفرسان ويقصد تلك القبيلة ويسلم الكتاب الى مرة ويأتيه بالجليلة فامتثل أمره وسار حتى وصل الى تلك الديار فرأى القوم فى سرور وأفراح وانشراح لانهم كانوا مهتمين فى تلك الايام فى زواج كليب بالجليلة بدر التمام فلما سمع مرة بقدوم وزير تبع خفق قلبه من شدة الخوف والفزع فنهض فى الحال واستقبله أحسن استقبال ثم أتى به الى الخيام واحترمه غاية الاحترام وأمر الخدم أن يأتوا بسفرة الطعام وآنية المدام فامتثلوا ما أمر وفعلوا كما ذكر وبعد أن أكلوا وشربوا وطربوا قال الامير مرة الى الوزير اعلم أيها السيد لقد زاد سرورنا الآن وتزينت بقدومك الاوطان ثم سأله عن سبب زيارته وماهى غاية حضرته فقال قد أتيتك بكتاب من عند تبع ملك الاعراب وبه يطالب بنتك الجليلة امرأة له وأنت تعلم بطش هذا الجبار وقد قال المثل لا تعاند من قال فعل وأنا والله فى غاية الحياء والخجل وليس لى إراده بهذا العمل ولكننى أتيتكم فى زى رسولا لاعلمك بالخبر اليقين وليس على الرسول الا البلاغ المبين ثم أخرج الكتاب وسلمه اياه ففتحه الامير مرة وقرأه ولما وقف على حقيقة فحواه تقطعت امعاه وضل عقله وتاه لانه ان أبى وامتنع يقتله الملك تبع وان أجابه الى ماطلب يصير معيرة بين قبائل العرب وتشتمه الناس وتزدريه حيث كان قد انعم بزواج ابنته الى كليب ن أخيه فانذهل وحار وأخذه القلق والافتكار واشتعل قلبه بلهيب النار فاطرق رأسه الى الارض وأخذ يتأمل فى عاقبة هذا العمل فلم يجد سوى الخضوع والامتثال لاوامر تبع فى الحال خوفا من العواقب فالتفت الى الوزير نبهان وقال له أمام الامراء والأعيان ومن حضر فى ذلك المكان لقد أجبت الملك الى ماطلب وبلغته من ابنتى غاية الادب لان ليس لنا بعد الله سوى امتثال أمره ورضاه

لانه الملك الاكبر وبمصاهرته نحظى على الشرف الرفيع والحظ الاوفر بعد ثلاثة أيام يكمل جهازها بالتمام فنضمه بالصناديق ونحمله على ظهور الجمال مع باقى الامتعة والاحمال وتركب فانشرح صدر الوزير بهذا الكلام وأيقن بالنجاح وبلوغ المرام والحصول على خلع الجليلة فى هودجها وتسير أمامها الفرسان وتذهب أنت معنا الى عند الملك تبع حسان وانعام فبات تلك الليلة فى أمان وهو مسرور فرحان

قال الرواى فهذا ما كان من أمر الوزير نهبان وأما الامير مرة فانه استدعى كليب سرا اليه وقص ذلك الحديث عليه . وقال اعلم ياقرة فؤادى ومن هو عندى أعز من أولادى . ان الضرورة أحوجتنى الى ذلك خوفا من الوقوع فى المهالك وقد اعلمتك بما جرى وتجدد فما هو رأيك أيها البطل الامجد فلما سمع منه هذا الكلام صار الضيا فى عينيه كالظلام وقال أرجوك أن تمهل الوزير ثلاثة أيام عن المسير حتى أنظر فى الامر

(قال الراوى) لكليب صديق يتمنى له النجاح والتوفيق يدعى العابد نعمان وكان كثيرا مايوعده بالخير والاحسان فقصده تلك الليلة واعلمه بما جرى فقال له إبشر بالخير يانور العين فان الرأى عندى أن تجهز مائة صندوق يكون كل واحد بطبقتين فى الطبقة الواحدة تضع فارسا من أبطال المكافحة والمجادلة وفى الثانية جهاز الجليلة وأنت تكون مهرجا لهام أمام سادات القبيلة وبهذه الوسيلة تتم الحيلة وتنال المراد من رب العباد واعلم لاخفاك هناك عند وصولك الى هناك تجد سلسلة من النحاس الاصفر معلقة فوق الباب الاكبر وهى مرصودة من سحر هذا الزمان لهلاك من أراد الضرر للتبع حسان فتقع عليه فى الحال وتذيقه الوبال فخذ لنفسك الحذر واتكل على إله البشر فهو يحفظك ويحميك وينصرك على جميع أعاديك فاذا بلغت الارادة وفزت بالسعادة بنيت لى مسجد برسم العبادة وخذ لك هذا السيف الخشب وبه تنال القصد والارب وأشار يقول

قال نعمان يا بن ربيعة	أتاك الخير وسعدك تم	روح لقومك وبشرهم
قولى لعمك وابن العم	وبشر المسمى همام	بان الشمل اليوم يلتم
قول السعد أتى لقيس	واستوفى ثارك والدم	تأخذ ثارك من التبع
تسقيه الخمر بكاس السم	هذا السيف تقلد فيه	وفى كفك يا أمير يتم
تبقى أحمر مثل الدم	حط عروسك فى هودج	وقرد بها زمام وزم
وسوى عرسك فشمرها	احذر منه فى حقك زم	وان أخذ تلك ماتكون
سلسلة معمولة هناك	بعلم السحر مع الطلسم	تبين كل أعداءه بساعة

احذر منها لا تعدم طيب قلبت لا تغتاظ من ذا العايق لا تهتم
سألت المولى ينصركم ويزيل عنكم كل الهم

فلما فرغ العابد من كلامه وعده كليب ببناء المقام على أحسن نظام ثم رجع على الاثر وأعلم عمه بذلك الخبر وقال له يقتضى الآن أن يبادر باتمام هذا الشأن و ننتخب مائة من الفرسان ونضعهم فى الصناديق على ظهور الجمال مع باقى الجهاز وأموال فى صفة أمتعة ويكونوا جميعا بالاسلحة الكاملة وتركب الجليلة فى هودجها وهى مزينة بالجواهر ويكون فى صحبتها جماعة من السرارى يدقون أمامها بالدفوف والمظاهر وأنا أجعل نفسى مهرجا لحضرتها وقائدا لزمام ناقتها وتدخل على تبع هذه الوسيلة فان تمت عليه الحيلة نلت المرام وأخذت ابنة عمى بحد الحسام وأكون قد بلغت المرام وأخذت ثار أبى ومتى قتل الملك تبع يقع فى قلب قومه الخوف والفزع

(قال الراوى) فاستصوب الامير مرة بكلام كليب وعلم أنه سينال المراد بدون أدنى شك ولا ريب فقال لقد تكلمت بالصواب وأشرت بالامر الذى لا يعاب فافعل ما تريد أيها الفارس الصنديد وكان قد أمهل الوزير ثلاثه أيام حتى تمت هذه الامور والاحكام وقد أطلع أمره ابنته الجليلة على ما تقدم ذكره وعلى ما قصد كليب فعله فلما كان يوم الارتحال انتخب كليب مائة من الابطال وقص على مسامعهم واقعة الحال ثم وضعهم فى صناديق الاحمال وحملوهم على ظهور الجمال وكان من جملتهم الامير همام والامير حسان وجماعة من عظماء الناس وركبت فى هودجها الجليلة وركب أيضا الوزير والامير وجماعة من فرسان القبيلة وتقلد كليب بالسيف من تحت الثياب ولبس فرو من جلود الثعالب والذئاب وأرخى له سوالف طوال من أذناب الكباش والبغال وركب على قطعة من قصب وحمل دبوسا من خشب وكان يقود بزمام ناقة الجليلة أمام فرسان القبيلة فلما رآه الوزير نبهان مال لبعض الفرسان من يكون هذا الانسان فانه زيه عجيب وحاله غريب فقالوا هذا مهرج الجليلة بنت مرة واسمه قشمر بن غرة فزاد عجبه وتبسم وهو لا يعلم أنه الامير كليب الاسد الغشمشم وكانت السرارى تدق أمام الجليلة بالمزامر والدفوف والفرسان تلعب بالرماح والسيوف ومازالوا يقطعون البرارى والاكام مدة ثلاثة أيام حتى اقتربوا من مدينة الشام فنزلوا هناك ونصبوا الخيام ورفعوا الرايات والاعلام وأرسلوا رجالا من أكابر العمد لكى يعلم تبع بوصولهم إلى البلد فارسا على الاثر وأعلم الملك بذلك الخبر ففرح واستبشر وزال عنه القلق والضجر وأحضر الرمال وكان له رمال شاطر فحضر بين يديه وقال له تبع اضرب لى تخت الرمل فجلس وضربه

الرمل فرأى جميع ماعملته بنوا قيس وقال الصناديق فيها رجال وأشار يقول

قال الفتى الرمل صادق سقانى الدهر كاس المرارا
تبعت الرمال أنا كنت طفلا وقلبته يمين مع يسارا
ولا حد مثلى بالرمل عارف ولا غيرى يعرف كيف سارا
أخط بالرمل بأربع أمهات وولده الصغار مع الكبارا
ألا يا أمير تبع يا ملكنا ياعز الغرارى يو ، غارى
أقلك عن التقادير والجنايب وتحسب ان جاولك تجارا
جوا ياملك هما يقتلوك ويدعوا القصر بعدك دشارا
صناديق التى لك حملوها بها أبطال بالعدد أمارا
يريدون قتلك ياملك عاجل لهم ثارا عليك وأى ثارا
وهذا قد اعلمتك يامسى وبالدنيا يشيع لها خبارا

(قال الراوى) فلما فرغ الرمال من كلامه وتبع يسمع نظامه نادىء لى العبيد فحضروا مائة عبد فقال لهم روحوا إلى العمارة وكل صندوق الذى تلقوا فيه رجال كسروه فانطلقت العبيد إلى العمارة وهما أسعد وسعيد و بقية المائة عبد هذا فى يده عصا والآخر فى يده بلطة والثانى فى يده دبوس حديد ولما وصلوا إلى العمارة ابتدوا بكسر الصناديق وكسروا الاول والثانى إلى العشرة فصاحت الجلية ياعبيد السوء لماذا تكسروا صناديق فقال العبيد الرمال قال ان فى هذه الصناديق رجال فقالت اصبروا حتى أفتح لكم اياها تروا الرجال الذى فى الصناديق فتقدمت وفتحت لهم عشرة صناديق فما وجدوا فيهاغيرجهازهاوالقماش فقالوا إن الرمال كذاب وعادوا يردوا الجواب يقع لهم كلام ثم يرجع الحديث إلى عجوز يقال لها حبلان وكانت رمالة وهى التى علمت الرمال فبان لها جميع ما فعلوه بنى قيس تبين لها أن الصندوق طبقتين فى السفلى رجال وفى العليا قماش فافتكرت ساعةمن الزمان وضربت ثانى رمل رأت أن بنى قيس يقتلون التبع لامحالة فقالت خير لى أن أخذ الوجه الابيض عند بنى قيس فقامت وأخذت عصاها بيدها وسارت إلى أن وصلت عند بنى قيس وهم فى ارتباك عظيم فقالت لهم أنا أتيت من عند التبع فقالوا وماهو قصدك قالت قصدى أكشف الصناديق فان الرمال قال إن فيها رجال ففتحوا أول صندوق والثانى فقالت أنى أرى الصناديق من الظاهر ذات عمق ومن الداخل بخلاف ذلك وضربت على الطبقة السفلى فلما رأوها عارفةقالوا استرى على ماستره الله وفتحوا الصندوق وأعطوها ثلاث بدلات حرير فقالت لهم من الآن أساعدكم على قتل تبع ثم أن العجوز طلعت إلى عند تبع والرمال بين يديه وعمال يضرب الرمل لان العبيد أخبروا تبع بما شاهدوا

وكذلك العجوز أخبرته كما أخبروه العبيد فقال تبع ياعجوز الرمال عمى قلبه من أكل التوم والبصل فامر الملك بضرب عنقه وراحت روحه إلى وادى الاحمر تقدمت العجوز إلى الملك وأشارت توصف حسن الجليله وماأعطاها الله من الجمال

تقول العجوز التى شاهدت ... مليحة تزيح العنا والصدود
يا أمير تبع يهنيك فيها السعد ... وأقبل الخير لك والسعود
أتوك بنى قيس أهل السماح ... وجابوا لك الخيل ثم النقود
وجابوا الجليلة لتخصك حليلة ... بخدين حمر وعينين سود
بشعر طويل وعـين كحيل ... بلا جرميل تصيل الاسود
ولها شفاف رقاق نظاف ... عقايل طرايف تزيل النكود
ولها وجه كبدر بليلة قدر ... وحبات حمر كما الورود
وجسم رقيق وريق رحيق ... وسنان لؤلؤ سبت البرود
لها عنق كعنق الغزال ... وطوق الذهب يوقد وقود
كتاف كالعاج مثل الزجاج ... والنقش مواج فوق الذقون
وصدر كلوح خلقه الاله ... قد زين الصدر جوز النهود
أما الجحول تزيل العقول ... حب الطرف يطفى الصدور
أما القلائد سلاسل ذهوب ... من الرأس المكعوب مثل البنود
وملبوسها مليح حرير مقصب ... مطيب بمسك وزهر وعود
وإن شافها رجل عابد فقيه ... غدا العقل منه شارد شرود
قد زينوا بنى قيس لك عروسا ... تجلى لاجلك كل هم وكود
للملك حقا وقد أحضروا ... مليحة وصالها يزيل النكود
فارسل وراها وخلى الجمال ... واسمع كلامى واجلى الصدود
وادخل على بنت مرة وكن ... لطيفا بقطف ثمار النهود

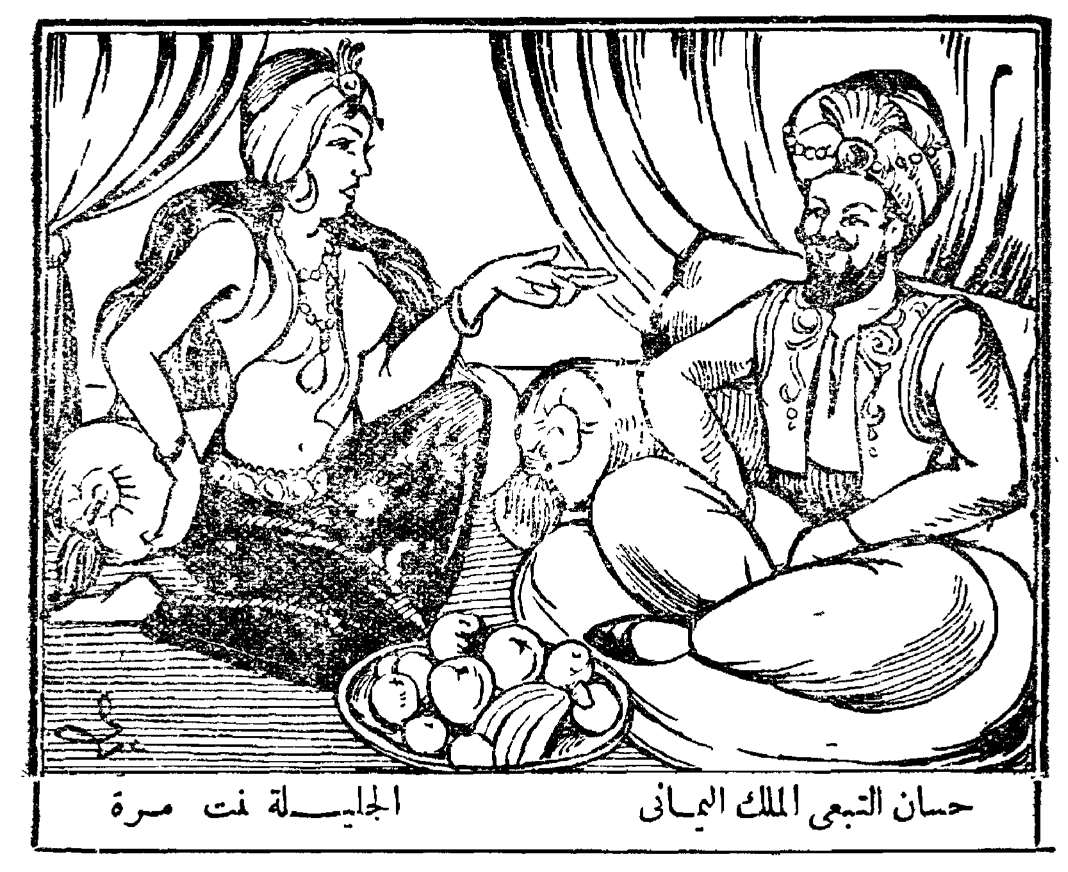
(قال الراوى) فلما فرغت العجوز من كلامها والملك تبـع يسمع نظامها فرح عقله من وصف العجوز ونادى على الوزير يأمره أن يحضر الجليلة بالتحليل والتكريم وخلفها السرارى بموكب عظيم فدخلت على تبع وكان جالسا على كرسى المملكة على رأسه تاجا من الذهب الفاخر مرصعا بانواع الجواهر فسلمت عليه ووقفت بين يديه فرد عليها السلام وانسها بالحديث والكلام وقال اهلا وسهلا بالسيدة الكريمة والدرة التى ليس يقدر لها قيمة ثم أجلسها بمكان قريب منه وترحب بها غاية الترحيب وقد انبهر من فرط جمالها وعذوبة ألفاظها

وفصاحة كلامها لأنها كانت متصفة بالأدب ومن أجمل نساء العرب فأخذ الملك يسألها عن أهلها وعشيرتها فقالت له بكلام اعلم أيها الملك المفضال إن اتصالى بجنابك وتشريفى بساحة بابك جعل لقبيلتنا اسما كبيرا وذكرا بين الناس شهيرا كيف وأنت ملك هذا الزمان والجوهر الثمينة فى هذا الاوان فالله يحفظك لنا ويبقيك وينصرك على جميع حسادك وأعاديك فان كنت تحبنى وتعظم شأنى وترفع مرتبتى على أقرانى فلا ترد لى أبى وأعمامى وسادات أهلى وأقوامى بعيدين عن فضلك وإحسانك لانهم قد صاروا الآن جملة اتباعك وأعوانك فامرهم بمكان ينزلوا فيه الآن وأمر بصناديق جهازى وباقى الأحمال ان يحضروا إلى هنا فى الحال ومع كل ذلك فنحن أولاد عم

(قال الراوى)فامر تبع وزيره نبهان أن يذهب فى جماعة من الأعيان ويعد إلى الامير مرة ابى الجليلة ومن معه من بنى عمه قصرا من القصور وان تنزل بقية الفرسان فى اعظم مكان ويقدموا لهم الطعام والشراب وبما يلزم من الثياب فأجاب الوزير بالسمع والطاعة وفعل كما أمره مولاه فى تلك الساعة وبعد ان انفذ الوزير الامر ووضع الصناديق فى داخل القصر التفت الملك تبع إلى مرة وقال له يا عمى ما بقى إلا أنت فى مقامى فان غبت أنا أنت تكون حاكم مكانى ثم أنه قربه اليه وأخذ يترحب به إكراما للجليلة ويقول

يقول التبع اليمانى الكبارى	أنا يا قيس زال الهم منى
ألا يا مرحبا يا أمير مرة	أنا منكم وأنتم اليوم منى
ترى لولاب الجليلة لى تعانب	جابت لى الحسب والنسب منى
فما علمت اننا عنا وقيسا	بنى جدين آخرين يظنى
بقينا أولاد عم يا مسمى	والذى راح راح بلا توانى
فلا تعتب على بقتل أخيك	ما قد سار إلا بالعلم منى

(قال الراوى)فلما فرغ تبع من كلامه والحاضرين يسمعوا نظامه أخذوا الكاس والطاس وقال حلت البركة بكم فقعدت بنو قيس تشرب معه المدام وشرب الملك تبع إلى أن سكر وغنته البنات ورقصت قال تبع الجليلة اعلمى يا سيدة الملاح وكوكب الصباح قد أجرينا المطلوب طبق المرغوب فهل لك غرض آخر حتى نقضيه ونفعل ما ترغبينه وتشتهيه وكانت الجليلة تحاول بافكارها لاجل ان تستدعى كليب الى عندها وقد سمعت صوتا عند القصر وهو يصرخ ويصيح من جوانب القصر لانه كان راكب على فرسه القصب وبيده دبوس من الخشب وكان يرقص فى البستان وينتقل من كان إلى مكان فقالت نعم أيها السيد الماجد باقى لى غرض واحد وهو أن نديمى اسمه قشمر



حسان التبعي الملك اليمانى   الجليلة بنت مرة

لايوجد مثله بين البشر حلو الصفات سريع الحركات يضحك الاحجار بفعاله ويزيل الهموم بغرائب اعماله قد احضرته فى هذه المرة فى خدمتى ليسلينى عند حزنى وشدتى فان حسن لديك امر له أن يدخل اليك ويلعب بين يديك فتزداد سرورك وانشراحك وتزول احزانك واتراحك فضحك من كلامها وأجابها إلى مرامها وأمر الخدم بادخاله ليرى طرفا من أعماله وعند وصوله إلى باب الايوان نظر السلسلة التى ذكرها الملك بذنها فامتنع عن الدخول واخذ يتكلم بكلام مجهول ويقول ماهذه الحيلة التى قالوها وأنا خايف شرها وأذاها فقال ادخل ما عليك من باس فما هى إلا سلسلة من النحاس فابى وامتنع وهو يظهر على نفسه الخوف والفزع ولما طال المطال التفتت جليلة إلى تبع فى الحال وقالت له بكلام الدلال أعلم أن قشمر من أخوف البشر فان حسن لديك ولم يصعب عليه فامر الخدام والحاجب برفع السلسلة عن الباب فرفعوها وأتوا بقشمر اليه فلما صار بين يديه سلم عليه ودعا له بطول العمر ودوام العز والارتقاء وأخذ كليب يمزح أمامه ويلعب بسيفه الخشب قدامه وهو فى تلك الثياب التى ذكرناها والصفة المضحكة التى وصفناها فكان تراه يحلق عينيه ويرقص الأرض بيديه ورجليه وتارة يقول أين الفرسان الفحول واين أبو عطبوله

وأحيانا يرقص ويضحك بلا سبب وهو راكب على فرس القصب ويسوقها بذلك الدبوس الخشب فكان من أعجب العجب فاندهش تبع من أعماله واستغرب من أحواله وأقواله

ثم قال للجليلة والله يا كاملة المعانى وشريكة عمرى وزمانى لقد أصبحت منادمة هذا البهلول الذى يدهش بافعاله العقول فانه من كثرة هزله وخفة عقله جميل الصورة فصيح الخطاب سريع الكلام فى الجواب فقالت صدقت فيما نطقت اننى ما أرى رجل مثله بين الأنام فى الزلاقة وفصاحة الكلام ومتى بقى عندك عشره أيام يقوم بمنادمتك حق القيام ويدعوك مشروح الخاطر على طول الزمان ثم قال تشمر وهو كليب تبع حسان إن كنت تطرب الآن فامر سيدتى الجليلة ان تغنيك بابيات من الشعر فان صوتها مليح ولفظها فصيح فقال هل تحسنين الغناء يا سيدة النساء فقالت أى وأبيك فان كنت تريد أن أغنيك وأطربك وأسليك فامر قشمر أن يقفل الباب لئلا يسمعنا أحد من الخدم فاستصوب كلامها الملك تبع أمر قشمر أن يقفل باب المخدع فقفله وعاد بالعجل وبعد أن أيقن ببلوغ الامل أنشدت الجليلة تقول

لقد قالت جليلة بنت مرة	شربنا الخمر ما بين الامارة
شربنا الخمر فى كاسا جوهر	فزال العقل وأصبحنا سكارى
بحضرة تبع الملك المسمى	بحسان إذا ما شن غارة
وقد أمسيت فى قبضة يديه	ومن حبه شغل قلبه بنارة
الا يا حارس البستان صنه	وإن فرط فيه الطير طارة

(قال الراوى) فلما انتهت الجليلة من هذا الشعر والنظام زاد بالتبع الوجد والغرام وسكر من غير مدام وقال مثلك من تكون من النساء فقد زاد سرورنا فى هذا المساء فلما رآه كليب زاد الطرب أخذ يرقص أمامه ويلعب بالسيف الخشب فقال له تبع عيب عليك يا قشمر أن ترقص بهذا السيف أمام الملك الاكبر فقال اعطنى إذن حسمك وأنا العب به أمامك فقالت الجليلة بحياتى عليك ان تبلغه الارب وتعطيه ما طلب فانك تر منه العجب فامره أن يدخل قاعة السلاح فيأخذ السيف ويرجع بالعجل فاجاب وامتثل وكانت الجليلة أرمقت اليه أن يسرع فى العمل وعند دخوله إلى ذلك المخدع وجد سلاح الملك فلبس الدرع وتقلد بالسيف ووضع الخوذة على رأسه وخرج بالعجل كانه قلة من قلل أو قطعة فصاحت من جبل بعد أن فتح صناديق الاحمال واخرج الفرسان والابطال فتبعوا فى ساحة الدار وقاموا له بالانظار وكان فارس الحسام من غمده وهو نهزه فى يده ثم دخل على الملك وقد احمرت عيناه وتذكر اباه فصال وجال ولعب بالسيف كما تلعب الابطال فى ساحة القتال وبعد ذلك تقدم بهجم عليه فعرفه حينئذ الملك تبع وقد انقطع قلبه من الخوف بد أيقن بالهلاك والقلعان فقال الله عليك ياسيد الشجعان وفارس الميدان ان تعفوا عنى وتسمح عما فرط منى فقال لابد من قتلك كما قتلت أبى وأكون قد أخذت ثارى وبلغت اربى فقال

تبع لابد من ذلك الشأن أمهلنى ساعة من الزمان حتى أفيدك عن جميع الأمور والأحوال التى تحدث آخر الأجيال فقد اتضح لى الحال ووقعت فى شرك العقال ثم أنشد وقال

(الملحمة الكبرى التبع حسان * التى أخبر بها مايحصل فى آخر الزمان)

يقول التبع الملك اليمانى ... لهيب النار تشعل فى فؤادى
أمير كليب يا فارس ربيعة ... ويا حامى النساء يوم الطرادى
أريد اليوم أن أعلمك شيئا ... لتعرف جال أخبار العباد
فموسى كان فى الدنيا نبيا ... له التوراة أعطت للرشاد
داود النبى قد جاء بعده ... يبشر بالزبور أهل الفسادى
وعيسى بن مريم قد جاء أيضا ... بانجيل الخلاص لكى ينادى
نبى لم يكن فى الناس مثله ... لان الله قد اختاره يفادى
فكم ميت بكلمته أمامه ... ومسقوم شفاه من الوسادى
وعندى قد تبين بالملاحم ... فانك قاتلى دون العباد
وبعده شاعر قد تنزل عليكم ... وتفتن بين قيس فى البلاد
وأنت برمح جساس ستطعن ... وعبدى يذبحك بين الجماد
وتكتب فى دمائك على البلاطه ... لمن بعدك لتشيت الاعادى
ويأتى الزير أبو ليلى المهل ... فيصل الحرب فى كل البلاد
ويقهر كل جبار عنيد ... يضرب السيف فى يوم الجلاد
وتأخذ الجليلة لك قرية ... وتحظى بالمسرة والمراد
ويظهر لك غلام بعد موتك ... يسمى الجرو قهار الاعادى
وهو يقتل إلى جساس خاله ... وأما الزير نقتله الاعادى
وبعده يظهر المدعو بعنتر ... يبين الضد فى يوم الطراد
وبعده يظهر الهادى محمد ... يقيم الذى مابين العباد
وأصحابه معه عشرة كوامل ... كرام الناس سادات البلاد
أبو بكر وسعد مع سعيد ... وطلحة والزبير بن الجياد
وعثمان وعمر مع على ... وعامر مع حسين أهل الرشاد
يموت الهاشمى ويصير خلف ... على الاحكام بعده بالعباد
أبو بكر يموت بلسع حية ... وبعده عمر يقتل بالطراد
ولا يعرف له قبر محقق ... بينما أنتشى بين الولاد

ولا يعرف له قبر محقق على وجه الثرى بين العباد
وتختلف الصحابة على الحكومة ويحكما حين بالبوادى
وبعده بنوا أمية سوف تحكم وأولهم معاوية بن هادى
ومن بعده بنوا العباس تحكم سنين كثيرة بين العبادى
وبعدهم الخورج سوف تظهر قواطعة الفواحشة والعناد
يقموا الشرفى كل الاراضى ويعلوا الأرض طرا بالفساد
وتظهر من بلاد الشرق عصبة فيقصد جيشها غرب البلاد
هلال وعامر مع أهل قيس يريدوا حرب حمير مع أباد
حسن أميرهم فخر البرايا وبعده دياب قهار الاعادى
وأبو زيد بن عمه ليث أروع شديد البأس فى يوم الطراد
يطوف البلاد فيملكوها ويسبون العدا أهل العناد
ويمحوا العجم من كل طاع بارماح وأسياف حداد
وقبرص والجزائر يملكوها وبدريس الخزعى والاعادى
شبيب التبعى بالشام يقتل وتترك جثته فوق الجساد
وسركيس بن نازب سوش يقتل بسيف دياب قهار الاعادى
يمروا على الزناتى بأرض تونس يذقوه المنية فى الجيادى
وبعده يظهر الاشطان ظالم خبيث الاصل من قوم شداد
بنوا أيوب يظهر بعد منه يقيموا الدين من بعد الفساد
ويظهر بن عثمان المساعد بأرض الشرق يحكم فى العباد
ملوك الارض تخشى من لقاهم لان جيوشهم مثل الجراد
عداد ملوكهم عشرة وعشرة وتسعة بعدهم دون ازدياد
ويظهر تمرلك من الاعاجم وجنكز خان من قوم كراد
ويظهر بعده ملكا قويا يثير الحرب فى كل البلاد
طويل الجسم ذو همة عليه له اسمين من ظاهر وباد
يقيم السيف فى الاسلام عمدا ويجرى الدم فى كل البوادى
ويظهر فارس يدعى قطيمة فعشر سنين يظلم العباد
ويظهر بعده الدجال حقا فتبعه الورى أهل الفساد

يطوف الأرض من شرق وغرب ... ويفعل معجزات في البلاد
ويظهر ضده المهدي سريعا ... ويسطع نوره في كل وادي
فهو عيسى المسمى بابن مريم ... فيقتله ويملك في العباد
وبعده دية تظهر سريعا ... فتفعل معجزات في البـــلاد
ونار من عدن تظهر وتطلع ... فتشكوا الناس من هول النكاد
وبعده الشمس تظهر من مغيب ... وتزداد الخلائق في الفساد
ويأجوج ومأجوج جميعا ... تحيط رجالهم كل البلاد
فلا نهر الفراط لهم يروى ... ولا سيحون والدجلة والمسداد
ويغشى الأرض موتا ياكليبا ... وجوع وقتل في كل العباد
ونيران تعم الأرض وطرا ... على أعلى الجبال وكل وادي
وبعد يغتلق باب المراحم ... وباب الشر يفتح باقتصاد
فلا يصعد ولا يأتي جواب ... فذاك الوقت تحترق العباد
وبعده يظهر ريح من جهنم ... وينفخ ريح من أقصى البلاد
يموت الخلق منه ليس يبقى ... سوى الرحمن خلاق العباد
وبعده يظهر الدنيا حقا ... إله العرش ديان العباد
فعندي الخبر قد أخبر مؤكد ... بما أخبرتكم دون ازدياد
وأسمع يا أمـــير كليب مني ... حقايتي تصتي وافهم مرادي
ولا تفرح على حالي وضعني ... أجرني يا ملك واطلق قيادي
وأعلم يا أمير أني عفيتك ... مدى عمري إلى يوم الميعاد

(قال الراوي) فلما فرغ الملك من هذه الملحمة وسمع كليب مافيها من الاخبار المتأخرة والمتقدمه تعجب غاية العجب وقال لست أعفوا عن قطع رأسك واخاد أنفاسكم لانك افتريت وظلمت وتعديت ثم أجابه بهذا القصيد على سبيل التهكم والتهديد

يقول كليب قهار الاعادي ... كلام أشد من ضرب الهناد
أنا قد صرت هذا اليوم حاكم ... أتاني السعد مع نيل المراد

أيا تبع الينا جيت عاجل ... قتلت أبي وأخربت البلاد
ولا ابقيت قيمة للأمارة ... وقد ألبستم ثوب السواد
هتكت الارض يا تبع بقتلك ... وصيرت الانام لك أعادي

جعلت رجالنا تشبه نسانا   وزلت الأمارة فى البــلاد
فوالله ثم والله ثم والله   إله خالق كل السوادى
فلست براجها عن قطع رأسك   ولو ملكتنى كل البوادى

(قال الراوى) فلما فرغ الأمير كليب من كلامه وفهم تبع فحوى قصده ومرامه قال بالله عليك أيها السيد المحترم أن تعفوا عنى وتجعلنى من جملة الخدم فقال لا بد من قطع رأسك بامهان ولكن أسالك كيف قتلت أبى غدرا أو بالميدان فقال تبع إذا كان لا بد من ذلك يا فارس فامهلنى ساعة حتى أخبرك عن سبب قتل أبيك وأتودع من هذه الدنيا قليلا ثم أنه أبدى حزنا وعويلا وأشار يقول من فؤاد مبتول وعمر السامعين يطول

قال الملك تبع حسان   ظلنى دهرى دون الناس
يا أبا ربيعة يا مخدوم   أنت مخذول أمير شديد البأس
طويل الباع يوم نزاع   عفيت شجاع نقبل الرأس
تسألنى عن قتل أبيك   فكل بناية لهــا أساس
فلما جيت لأرض الشام   أتى اقانا على الناس
أتانى كل أكابر قيس   وكل أمــير ادى باس
إلا أبوك فقــد خالف   ولم يفعل كباقى الناس
فؤاد الغيظ بوسط القلب   أمرت بشنقه الحراس
وهــذا بأمر الله ميلة   فوق جبينه بأعلى الراس
وأنا بقيت بهــذا اليوم   وحيد فريد بلا إيناس
أريد العفو عمــا جنيت   بحيات عمك مع جساس
أنى كنت زعيم القــوم   وحكمى نافذ بين الناس
فلمــا أتانى وعــد الله   بطل العزم وظنى خاس
دهتنى الجليلة بالحيــلة   وغابت عنى كل الناس
فهــذا امر الله محتوم   وأمره نافذ فوق الراس

(قال الراوى) فلما فرغ تبع من هذا النظام قال له كليب لا بد من قتلك بحد الحسام حتى ترتاح الناس من شرك وتأمن من غدرك ثم ضربه بالسيف على عاتقة خرج يلمع من علائقه فوقع على الأرض قتيلا وفى دمه جديلا فلما رأته الجليلة قد مال زادها الافراح فنهضت واعتنقت ابن عمها قبلته وقالت له مثلك تكون الفرسان يا ليث الميدان فشكرها كليب وهناها بسلامتها وزادفى إعزازها وكرامتها ثم خرج من ذلك المخدع وأعلم الفرسان بقتل الملك تبع وقال لهم لقد بلغنا المراد فكونوا على حذر واستعداد لامتلاك البلاد فقالوا من بين يديك ولا نبخل بارواحنا

عليك ثم وضع رأس الملك على السنان وخرج بالابطال والفرسان وطافوا فى شوارع البلد وضربوا من وجدوه بالسيف المهدوم يقولون عن فرد لسان هذا رأس سيدكم حسان فقد أعدمناه وقتلناه وأرحنا الناس من شره وبلاه فمن عصى أهلكناه ومن أطاع أبقيناه على قيد الحياة قال الراوى فكانت أكثر أهل الشام تكره التبع لظلمه وتتمنى هلاكه وشره فاجتمعت العساكر والاعيان وطلبوا من كليب أنهم يكونوا له من جملة الرعايا فاجابهم كليب إلى ذلك الطلب وأوعدهم بالجميل والخيرات وسمح بخراج عشر سنوات فدعوا له بطول العمر ودوام العز والنصر ثم اجتمعت بنوا مرة وأكابر العشائر وأعيان الشام وقواد العساكر ألبسوه تاجا مرصعا بالجواهر وأجلسوه على كرسى المملكة وجلس بقربه وزير الميمنة وهو وزير تبع حسان ووقف أمامه الحجاب والامراء والنواب فحكم معاملا الناس بالجود والكرم ومنصفا المظلوم من ظالم وفى الليلة الثانية اجتمعت سادات القبيلة وزفوا اليه ابنة عمه الجليلة وقد كنا ذكرنا فى أول السيرة عن أوصاف هذه السيدة وما احتوت عليه من حسن وجمال وزال عنهما الغم والاكتئاب وباتا فى حظ وانشراح إلى وقت الصباح وفى اليوم الثانى وردت اليه المدائح والتهانى واشتهر ذكره فى البلدان وهابته ملوك الزمان

(قال الراوى) وكانت الجليلة طلبت من كليب أن يبنى لها قصرا من أجمل القصور ويلشىء فيه بستانا يحوى جميع أنواع الزهور فاجابها إلى ذلك ووعدها ببناء قصر لا مثيل له فى الماليك ثم جمع الوزراء والاعيان وأعلمهم بذلك الشأن فقال له الوزير نبهان اعلم يا ملك الزمان انه لا يوجد فى هذه الايام من يقدر ان يبنى لك ذلك القصر طبق المرام سوى معمر ى المختص بالريان ملك مصر لانه ماهر ببناء القصور الحسان وهو الذى عمل قصر تبع حسان فارسل كليب واستدعاه اليه ولما حضر بين يديه قبل الأرض وسلم عليه فقال كليب أريد منك أن تبنى لى قصرا من القصور الحسان لا يوجد مثله فى جميع المدن والبلدان ويكون له جنينه جميلة المنظر تحتوى على جميع الاشجار والخضر فان اتقنت الصنعة طبق المرغـــوب نلت المقصود والمطلوب فاجابه معمر بالسمع والطاعة وباشر فى بناء القصر

(قال الراوى) ولما اشتهر قتل تبع فى اليمن واتصل الخبر إلى صنعاء وعدن هاجت الرجال وكثر القيل وكان للملك تبع ابن عم من الامراء والمشاهير يقال له عمران القصير وكان شديد البأس قوى المراس فلما بلغته تلك الاخبار صمم غزو بنوا قيس بعسكر جرار فجمع العساكر والجنود وفرق الرايات والبنود وركب فى مائة ألف مقاتل وجد فى قطع المراحل قاصدا بلاد الشام بكل سرعة فلما بلغ كليب هذه الاخبار استعد للحرب والقتال وخرج للقائه الفرسان والابطال ولما التقى الجيشان أمر كليب أن تتقدم الفوارس إلى ساحة الميدان وأخذ ينشطهم بكلام على قتال

الاخصام فهاجت الشعوب وتبادرت الضرب و الطعان والامير كليب أول المعسكر كانه الاسد الغضنفر وعلى رأسه البيارق والرايات ثم التقت الرجل بالرجال واشتعلت بين الفريقين نيران الحرب والقتال حتى عظمت تلك الاهوال فللهدر الامير كليب بطل الابطال ومافعل ذلك اليوم من الفعال فانه هجم هجوم الاسود وانطبق على العساكر والجنود بقلب أقوى من الجلمود فبارز فرسان الكفاح وخطف المهج والارواح الدم يبذل والرجال تقتل إلى أن ولى النهار وأقبل الليل فافترقت العساكر بعضها البعض وباتوا في الارض وعند الصباح رجعوا إلى الحرب والكفاح فبرز الامير عمران إلى ساحة الميدان فصال وجال وطلب براز الابطال فاراد كليب أن يبرز اليه فمانعه حجابه وقالوا أيها الملك ان فينا أبطال وفرسان نستطيع أن نحاربه ثم برز اليه فارس من الصناديد يقال له ميمون بن الرشيد فالتقاه الامير عمران بقلب أقوى من الصوان ولم تكن ساعة من الزمان حتى استظهر عمران وطعن ميمون بالرمح فوقع قتيلا وفي دمه جديل فاملبه حصانه ثم قوم سنانه وتقدم إلى معركة الحرب وقال أين فرسان الطعن والضرب تبين الفروسية والشجاعة اليمنية من القيسية فبرز اليه آخر فاذاقه الموت الاحمر ومازالت تبرز اليه الفرسان وهو يجندلها على بساط الرمال حتى مال سبعة من الابطال وكانوا أكابر السادات قد اشتهروا في الحروب والغزوات واستمر القتال على هذا الحال تسعة أيام وهم في براز واقتحام وفي اليوم العاشر برز الامير مدة لقتال عمران صار في الميدان تقنطر على ظهر الحصان فدركانه هام وجاء به إلى الخيام فعند ذلك برز إلى عمران الامير جساس وصدمه بقوة قلب وشدة بأس أنه لم يفلح قتاله وارتجع عنه المساء عن حربه وانزاله فوقعت هيبة الامير عمران في قلوب الفرسان والشجعان فاستعظم كليب ذلك الامر واشتعل قلبه بلهب الجمر وقال ما يزيد إلا عمرو فاذا كان الصباح بارزته في معركة الكفاح لانه قد طغى وتجبر وقتل منا كل أسد غضنفر وبات تلك الليلة وهو في قلق شديد ما عليه من مزيد فما أقبل الصباح حتى ركب كليب وبرز إلى الميدان لقتال الامير عمران الذي برز ذلك اليوم وهو ينادي أين الابطال أين الصناديد لا يبرز لي إلا كليب المحتال الذي قتل تبع بالغدر والاحتيال فما تم كلامه حتى صار الامير كليب أمامه وصدمه صدمة منكرة أشد من صدمات عنترة فقال له عمران من تكون من الفرسان فقال اعلم أيها التيس اني ملك من بني قيس فسوف ترى مني ضربا يقد الحديد ويذهل أبصار الفرسان الصناديد فقال انت مسخرة النسوان واحقر من كل دليل مهان ولو كنت من الفرسان لما غدرت تبع بالحيلة مع ابنة عمك الجليلة فقال كليب أما علمت يا فرار ان الرجال عند أغراضها نسوان واني قتلت الملك تبع إلا لغدره وقلة حياه وكثرة شره فانه قتل ولدي وكان عوني ومساعدي وهذا الذي أوجب ذلك اليوم سالحقك به وأسقيك كاس المهالك فلما سمع عمران من كليب هذا الكلام قد

أشتد بينهم الخصام فكانوا تارة يتقدمان وتارة يتأخران كانهما أسدان درغامان فانبهرت من فعالهما الفرسان وأحدقت اليهما الأبصار من ليمين واليسار واستمر على تلك الحال إلى قرب الزوال حتى تعجب عمران من ثبات كليب أمامه لأنه كان يظن أنه لا يوجد فى الدنيا من يقدر أن يقف قدامه وطعنه بالرمح قاصد إهلاكه وفناه فخلى كليب من الطعنة فراحت خايبة بعد ما كانت صايبة ثم هجم عليه كليب وقال خذها يا عمران من يد فارس الميدان وليث الحرب والطعان وضربه بالسيف نوقع على الأرض قطعتين وبعد ذلك حملت على بعضها العساكر وتقاتلت بالسيف والخناجر فكثر القتل والجرح وجرى الدم وزهقت النفوس والأرواح من ضرب السيوف وطعن الرماح وكان بعد قتل عمران تضعضعت جميع عساكر اليمن الاركان فولوا الأدبار وارتكنوا إلى الهرب والفرار فتبعهم كليب بالعساكر وقتل منهم أكثر من عشرة آلاف فارس فاتفق ذات يوم من الأيام أن مرةزار ابن أخيه كليب جماعة من بنى الاعمام وبعد أن دار بينهما الكلام قال مرة يا ابن أخى لقد كثرت عليك الرجال والاغنام لسبب كثرة المواشى والازدحام فرادى الآن أن أرحل عنك بأغنامى ورجالى وباقى أموالى ولا شك أننا بهذا الرحيل والانتقال تتحسن بنا الاحوال فقال كليب افعل ياعم ماتحب وانزل فى أى مكان تريد من قريب الديار فان البلاد بلادنا ونحن ملوك الاقطار قال الراوى فرحل مرة بقومه ورجاله ونوقه وجماله ونزل فى وادى كثير النبات ببعد مسافة تسع ساعات وكان مرة قد شاخ وكبر فى العمر فاقام مكانه الامير جساس على بنى بكر فكان يحسن اليهم ويحكم بالانصاف عليها فشاع ذكره فكانت تقصد الشعراء والفرسان ولم تكن إلا سنة من الزمان حتى صار يحكم على مائة وعشرين ألف عنان وكان هذا ما كان من أمر جساس وأما كليب الفارس الدعاس فانه كان عند سنوح الفرص يخرج إلى الصيد والقنص وكان له عدة اخوة كل منهم مشهور بالمروءة والنخوة من جملتهم المهلهل الملقب بالزير وكان جميل الصورة كأنه البدر وهو صاحب هذه السيرة والوقائع الشهيرة وكان فى تلك الأيام بن عشرة أعوام وكان فى الشجاعه كسبع الغاب لا يخاف من أحد ولا يهاب فصيح الكلام منعكفا عن شرب المدام وسماع أصوات الانغام ينشد الاشعار البديعة ويأتى بالمعانى النفيسة الرفيعة وكان كليب لحبه اياه لا يعرضه بأمر من الامور بل يقابله بالفرح والسرور وكان الزير يتباهى بشجاعته أمام أخيه وأنه لا فى الفرسان من يضاهيه فقال له كليب فى بعض الأيام أراك يا أخى مشتغلا بالملاهى وشرب المدام فقلبك خالى من الهموم والاحزان كانك لا تسأل عن تقلبات الزمان فن الواجب أن تحسب

حساب العواقب لأن الدهر دولاب سريع الانقلاب إذا أضحك يوماً أبكاك سنة وليس له على أحد جميل ولا حسنة فقال المهلهل مادمت فى الوجود انا فى خير لا أحسب حساب للغير ولكن إن جار بك الزمان وأحاطت بك الحساد والخوان فانا أردعنك الأثقال وأجندل أمامك الأبطال أنا الأسد الغالب فارس الكتائب والمواكب أنا قهار الأعادى إذا نادى المنادى فتبسم كليب من كلامه وتركه ملتشغلا بشرب مدامه وارتد راجعاً إلى الديوان وقد راق له بعد ذلك بعشرة شهور تم له القصر المذكور فكان من عجائب الزمان وغرائب الأوان لأنه كان فى غاية الاتقان ولا سيما البستان فانه كفردوس الجنان فيه من جميع الاشجار والفواكه والأثمار والمياه الغزيرة والزهور الكثيرة حتى فرح كليب منه فانعم على بانيه وفرح بالفراش الفاخر الذى يبهر النواظر ويحير العقول والخواطر

(قال الراوى) وقد اتفق بعد ذلك بايام أن أولاد مرة قد اجتمعوا مع بعضهم فى الخيام وضربوا تختا من الرمل ليروا ما يحل بهم وما يجرى عليهم ويصيبهم فبان لهم أن الامير جساس لا بد أن يقتل الأمير كليب ويظهر الزير ويأخذ ثاره بدون ريب ويقتل منهم كل أمـــير وجبار بعد وقائع تستحق الاعتبار فاعتراهم القلق والكدر وأجمعوا رأيهم على أن يقتلوا الزير قبل أن يكبر فجعل الامير سلطان بن مرة ينشدهم ويقول

على ما قال سلطان بن مرة ... مبيد الضد فى يوم النزال
تبين عندنا جساس يقتل ... كليب بن ربيعة ولا يبال
ويأتى الزير بعده يا أمارة ... يشتت جمعنا بين الجبال
ويمحى ذكرنا من كل أرض ... ويفنينا ويسبى العيال
هلموا نقتله ونبيد اسمه ... ونسلم من تصاريف الليالى
فيلزم أن نروح إلى الجليلة ... ونعلمها على ما قد بدالى
فهذه أختنا ليست غريبة ... فتسعفنا على نيل الامانى
جليلة عارفة فى كل فن ... وتعرف بالزبارج والرمال
فقوموا كلنا نذهب اليها ... ونقضى شغلنا قبل الوبال

فلما انتهى سلطان من الشعر والنظام الامير جساس ومن حضر من أبناء مرة فاستحسنه جميع القوم وركبوا من ذلك اليوم وخرجوا من القبيلة قاصدين أختهم الجليلة وكانوا ثلاثاً وأربعين ولداً ذكر كل منهم أسد غضنفر ولما وصلوا اليها دخلوا وسلموا عليها فلقتهم بالترحاب وأقاموا عندها ثلاثة أيام ثم قالوا لها عن فرد لسان وقد ظهر لنا فى الرمل

بانه سوف يظهر للزير شأن وأى شأن فيقهر الابطال وتهابه ملوك الزمان ويعاملنا بالجور وسوء الادب وتنحط منزلتنا بين ملوك العرب فاتفق رأينا على أن نقتله قبل أن يكبر وأتينا اليك لنعلمك بالخبر فما هو رأيك فى هذا الامر المنكر فقالت فاذا قتلتموه فينكشف الامر وأخذ بثاره منكم فيزداد الشر ومادام الامر كذلك فانا اجعل كليب يلقيه فى المهالك ثم أنشدت تقول

مقالات الجليلة بنت مرة ... تعلموا اخوانه أصغوا لقولى
تريدوا قتل أبو ليلى المهلهل ... أخوه كليب خلفه مثل غولى
ومن خلفه غدير ورقان ... سباع الغاب فى اليوم الهول
وست وأربعون بنو أبيه ... يجوكم راكبين على الخيول
وتركب خلفهم كل الفوارس ... فوارس تغلب مثل الفحول
ولكن سوف أرميه بحيلة ... تحير كل أصحاب العقول
ويبقى كليب يقتله بيده ... ويجعله طريحا على السهول

قال الراوى فلما فرغت الجليلة من شعرها شكروها اخوانها على حسن اهتمامها وركبوا وراحوا فى حال سبيلهم وصبرت الجليلة الى وقت العصر حتى حضر كليب الى القصر وكانت قد شقت ما عليها من الثياب وظهرت الغم والاكتئاب فلما رآها كليب على تلك الحال تغيرت منه الاحوال لانه كان يحبها محبة عظيمة ويودها مودة جسيمة ولا سيما أنها ابنة عمه ومن لحمه ودمه فقال لها علامك ياجليلية مالى أراك فى هذه الحالة الوبيلة فبكت من فؤاد المبتول وأجابته بهذه الابيات تقول

مقالات الجليلة بنت مرة ... كليب أنت قيدوم السرايا
وتحكم فى القبائل والعشائر ... وفى كل المداين والقرايا
وحكمك نافذ فى كل أرض ... وتخدمك الملوك مع الرعايا
وانى بنت عمك يامسمى ... ومثلى ليس يوجد فى البرايا
أتانى دين أخاك فى غيابك ... يريد فضيحتى بين الصبايا
قبضت عليه من عنقه فولى ... راح بسرعة وسط الخلايا
ألا ياأمير قول لى كيف تعمل ... فاقتله وأورده المنايا
وان لم تقتله حالا فانى ... أروح اليوم من وسط الخبايا
تبقى الناس تشتم فى قفانا ... وتبلى بالدواهى والرزايا
وهذا الامر لايصلح لمثلك ... كريم الاصل عقار المطايا

فاقتله واخلص من بـلاه ولا تخشى آثام ولا خطـايا
فقتل الزير أصوب من حياته لانه خائن دون البـرايا

فلما سمع كليب منها هذا الشعر والخطاب غاب عن الصواب وأرسل أحد الرجال ليأتيه باخيه الزير فى الحال نذهب الرسول واستدعاه فامتنع عن الحضور لانه كان فى الوقت يشرب الخمر مع جلسائه وهم فى فرح وسرور فرجع الرسول على الاثر وحدث الامير كليب بذلك الخبر فازداد كدر على كدر وأرسل الرسول اليه ثانيا فما حضر فعند ذلك سار كليب اليه وقد عظم الامر لديه فلما دخل عليه نهض الزير فسبه كليب وشتمه وضربه حتى آلمه ثم نزع عنه ثياب الحرير حتى صار معيرة للكبير والصغير وأرسله مع الرعيان ليرعى النوق والفصلان ورجع الى الجليلة وأعلمها بما فعل مع أخيه المهلهل فلما رأت أنها لم تبلغ الأمل ازدادت غما وكدرا وأخذت تدور على هلاكه بحيلة فقالت ذات يوم الى كليب أما تخشى من الهتيكة والعيب أما فى رأسك نخوة وناموس من جهة أخيك المهان المعكوس فقال لها ما معنى هذا الكلام وما هو المراد بهذا التوبيخ والملام قالت بلغنى من بعض الغلمان الذين يدورون مع الرعيان بانهم فعلوا به القبيح وأنت جالس مستريح ليس عندك علم ولا خبر وقد تحدثت فيك جميع البشر ثم شرحت له واقعة الحال بهذا الشعر والمقال

تقول الجليله يامحفوظ	أتانى علم بحال أخوك
وشاع العلم بكل القوم	غنى الناس مع الصعلوك
وصار الناس بقيل وقال	وكل البدو عليك ضحوك
أنت أمير كبير القوم	وقيس وحمير قد هابوك
فكيف يكون أخيك الزير	وقومه من أجله يجفوك
كيف يرابك رأس يقوم	والرعيان لقد عابوك
فاقتل أخيك بسيفك	والا قومك قد لاموك
فكل العالم تحكى فيه	يقولوا الزير بقى مهتوك
فهذا الاخ ومثله الف	بيوم الضيف فما عابوك
أخاف يقول كل أهله	مثله والعالم يشكوك

فلما فرغت الجليلة من هذا الشعر ووقف كليب على حقيقة الامر التهب فؤاده واضطرب من شديد الغيظ والغضب وأخذته الحميه وعصفت فى رأسه نخوة الجاهلية وقد صمم النية على أن يقتل أخاه ويسقيه كاس المنية فقالت الجليله لا تقتله بيدك يا أمير لأن كلام الناس كثير فالاوفق أرسله الى وادى العباس وهو مكان منقطع عن الناس كثير النمورة والاسود فتقتله هناك وتعود

تفترسه الوحوش وتتخلص من كلام العباد فقال هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب به ومن وقته ركب ظهر جواده واعتد بآلة حربه وجلاده واستدعى الزير اليه فلما مثل بين يديه قال له مرادى أذهب للصيد والقنص لأزيل ما قلبى من الغصص فسر امامى وامشى قدامى فامتثل امره وسارا حتى وصلا إلى الوادى المذكور وهو مكان مهجور وماز الا سائران حتى صارا فى وسط ذلك المكان وإذا بجواد كليب قد شخر ونخر وضرب بحافره الأرض وتأخر وإذا بسبع من بطن الوادى قد ظهر فلما رآه الزير كليب هجم عليه بالجواد ورماه بالرمح فاخطاه فتبعه الاسد فانهزم كليب من أمامه خوفا من العطب فلما رأى الزير أخاه قد هرب تقدم نحو الاسد بقلب أقوى من الحجر وطعنه بخنجر كان معه فقده قسمين وأخرج قلبه فاكله وصاح على أخيه ارجع لا تخاف فرجع كليب وهو يتعجب من أفعال الزير فنزل عن ظهر الحصان وقبله بين عينيه وصفا له وقال فى سره من يكون له أخ مثل هذا البطل فان عاش هذا الغلام يكون من عجائب الأيام ثم رجع هو وأخيه فلما رأته الجليلة قالت لماذا رجعت فاخبرها بواقعة الحال وكيف أنه قتل الأسد وقال الذى يكون مثله لا يستاهل القتل بل يجب له الإكرام ثم أشار اليها يقول وعمر السامعين يطول

يقول كليب من صفوة ربيعة	شديد الباس وعزم رجيح
كريم الأصل سلطان متوج	وفى طارق الكرم مانى شحيح
لا يا بنت عمى يا جليلة	ألا يا صاحبة الوجه المليح
فكر السبع نحو الوزير هاجم	فعاد الزير واقف مستريح
ولما قد دنا منه وقارب	فعار عليه كالسبع الجريح
طعنه الزير بالخنجر فقده	والقاه على الغبرا طريح
فلما شفت هذا الفعل منه	علمت بانه فارس رجيح
رجعت اليه من فرحى سريعا	وصحت عليه فى قول مليح
مهلهل يا مهلهل يا مهلهل	فانت اليوم أولى بالمديح

(قال الراوى) فلما فرغ كليب من شعره زاد كدر الجليلة وقالت لكليب وهى تبكى مادام الامر كذلك فانى ساذهب نهار غد إلى بيت أهلى وأعلمهم بما ظهر من الزير فى خفى فهم يقتلوه لأنى لست آمنه على نفسى إذا بقيت عندك لانه لابد أن يغدر بى لأن عيونه محمرة على وأنت بعد كل هذا ليس لك نخوة ولا ناموس فقال لها أذكرى الله يا جليلة ودعينا من هذا الامر فكيف اسمع بقتل أخى وهو من لحمى ودمى ولاسيما أنه شديد البأس ومن أشجع الناس فاذا قتلته أفضحت بين العرب وتحدثت فى الناس لابد من قتله على غير هذه الطريقة وهو أن تأخذه

إلى بير صندل السباغ وتدليه بحبل على أن ينشل الماء وحينئذ تقع الحبل فى البير ويموت ولا يعلم أحد وأشارت تقول

ما قالت الجليلة بنت مرة	ودمعى فوق وجناتى غزارة
أخوك الزير ما هو كثير فالح	يلعب مع وليدات الصقارة
أخوك الزير شوفه مثل ضبع	كما المجنون يلعب بالحجارة
قتل الزير أحسن من حياته	ولا تهلك ما بين الأمارة
أقتل هذا رضى لا عاش عمره	دا همه فى حسامى خسارة
أنت أبن عمى نور عينى	وشورى لك ما هو تشارة
ما قالت الجليلة بنت مرة	ونارى علقه من زى شرارة

(قال الراوى) وكان كليب يحب الجليلة محبة عظيمه وكان لايخالفها فى أمر أبدا ولما الحت عليه وافقها على ذلك إكراما لخاطرها فنهض فى ثانى يوم ركب جواده وأخذ فى صحبته أخيه الزير ومائة من الفرسان وسار بهم الى بير صندل السباع وعند وصولهم قال كليب يازير سالم خيولنا قد عطشت فرادنا أن تنزل و نسقيها وأنت تنزل إلى البير فتملأ لنا كم دلو فقال حبا وكرامة ياأخى فدلوه فى حبل وأخذ يلى الادلية وهم ينشلوه ويسقوها حتى ملؤا الحوض الذى على باب البير وجاؤا بالخيل ليسقوها فتزاحمت على بعضها البعض وأخذت بالصهيل والازدحام فعجز كليب وجماعته عن ردها عن بعضها البعض فسمع وهو فى البير صهيل الخيل وجميرها فصرخ الزير بصوت مثل الرعد القاصب حتى ارتجت منه الوديان واضطربت منه الفرسان فجفلت الخيل وتأخرت وانفصلت عن بعضها فلما رأى كليب ما فعله أخوه سالم تعجب غاية العجب وندم على ما فعل وفى الحال أخرجه من البير وزادت محبته عنده ورجع به إلى الديار فلما رأته الجليلة غابت عن الوجود من شدة الغيظ وقالت لكليب بارك الله فيك أهكذا كانت المفارقة فقال لها والله ياجليلة من كان هذا الفعل فعله يحرم قتله ثم حدثها بما جرى وأنشد يقول وعمر السامعين يطول

يقول كليب من شعر نفيس	قصيد ما نظمه قط قائل
جليلة اسمعى يا بنت عمى	أرى عقلك بهـذا اليوم زائل
أقتله ليشفى اليوم قلبك	ومنـه قد نظرت أنا فعايل
سباع الغـاب هابت من لقاه	كـذلك الخيل صبرنا جفايل
ثلاث الوف يلاقاهم بصدره	من الشجعان فرسان القبائل
تقولى أقتله وأرتاح منه	فقولك جهل ما هول عاقل

فانى لا أبيعه بالف مثلك ولو مهما جرى منه فعايل
أراك تطلبى قتله سريعا فقولك ليس عنه دلايل
فقولك يا جليلة قول باطل فحاشى الزير أن يتبع رزايل
فقلى من كلامك لا تعيدى أيا بنت الأماجيد الاصايل

فلما فرغ كليب من شعره ونظامه وفهمت الجليلة هوى كلامه اغتاظت فى الباطن ولكنها اظهرت السرور وقالت أنا قصدى أمتحانك لارى هل تحبه او تبغضه لأنه فصيح اللسان ومن اشد الفرسان وأخذت تمازح كليب بكلام النفاق حتى صفا قلبه وراق ثم أنها صبرت مدة أيام وبعد ذلك أظهرت على نفسها أنها مريضة فرقدت فى الفراش وقالت ان لى حاجة اليك ولا يقدر عليها سوى أخوك الزير فقال لها وما حاجتك قالت أريد كاسين من حليب السباع لانه يقوى الاعصاب وأنا فى غاية الضعف والعناء . وقد وصفت لى داية هذا علاجا لمرضى وقالت أن هذا الدواء يأتى لى بولد ذكر

(قال الراوى) وقد صدق كليب وأرسل فى الحال يطلب الزير فدخل وسلم عليه وقبل يديه وقال بقلب جسور أنا عبد مأمور ولا اخالفك بامر من الامور فاعلمه كليب فى واقعة الحال وقال أريد منك يا أخى تأخذ هذا الحق الصغير وتملأه حليب لبوة فقال على الرأس والعين لكن يا أخى اعطنى سيفا أتسلح به خوفا من هجوم السباع فقال كليب للجليلة أن تعطيه السيف فقالت ألا تستحق يا زير أن تطلب سيف وأنت فى هذه الشجاعة فخجل وأطرق رأسه وسار من وقته وساعته وتأكد عنده أنها تريد هلاكه وضرره ومازال يسير حتى وصل غابة كبيرة وكثيرة الاشجار وليس معه سوى سكين وعصا فبينما هو ينظر من خلف ومن قدام وإذا بأسد قد ظهر وهو هائل المنظر وعيناه تتقدح بالشرور

(قال الراوى) فلما اقترب عليه قبض عليه الزير من زيله ونشله بقوة ساعده وزنده ولوحه بيده مثل المقلاع وخبط به الارض عظامه ثم نزل عليه بالعصا حتى قتله وأراد أن يجز رأسه وإذا بلبوة أقبلت عليه ومن خلفها سبعة أشبال فلما رأت ذكرها قد مات احمرت عيناها فاراد الزير أن يلاعبها قليلا وقد علم أنها مغتاظة فجعل نفسه خائفا منها فركض من امامها فتبعته وكان قد وصل إلى شجرة كبيرة فطلع اليها وبقيت هى تنظر اليه وتهمهم ثم اقبلت اشبالها يرضعون من ثديها فوجد الزير لها ثدى مثل الحق فقال هذا الذى طالبه أخى منى وأراد النزول فقال ان نزلت تفترسنى من رجلى ثم رمى نفسه من الشجرة فجاء راكبا عليها فقبض عنقها من رقبتها وألصق رجليه ببطنها بقوة وعزم شديد حتى لم يعد لها سبيل ان تتحرك من مكانها ثم سحب السكين وهو يضحك ونحرها كما ينحر الجزار الغنم وملا الحق من لبنها وقطع رأسها بعد ربط أعناق اشبالها بالحبال وساقهم امامه كالكلاب فلما أقبل إلى الحى ورأته فرسان العرب اصحاب المناصب

والرتب واستعظموا ذلك الامر واعتراهم العجب وعند وصوله إلى القصر سمعت الجليلة الضجة فطلت رأسها من الشباك فرأت الزير وهو مقبل على تلك الحالة فالتهب قلبها بنار الغضب لأنها كانت تظن أنه يموت أو يهلك ثم دخل الزير على الجليلة وكان كليب جالس معها فسلم عليهما وأرمى الرؤس أمامها وقدمها لحق لامرة أخيه وقال لها هل تريدين شيئا آخر حتى أقضيه فقالت بارك الله فيك يا سبع الرجال فانك تستحق المدح والثناء وكان كليب لما رأى رؤوس السباع تعجب من قوة قلبه وشدة بأسه وقال له كيف عملت وإلى أين وصلت فاشار الزير يقول

يقول الزير قهار المواكب	رمانى الدهر فى كل المصايب
فلا تسمع أخى قول الأعادى	لأن الضد شورة ليس صايب
يشور عليك فى رأى وخيم	يسقوك أخى كاس المعاطب
فاهل العقل لا تسمع لأنثى	لأن كلامهم لا شك كاذب
فاعلم يا أخى فيما جرا لى	بهذا اليوم فى وادى الثعالب
وجدت سبع فى وسط الغاب دائر	كأنه جائع للصيد طالب
فلما شافنى حالا أتى لى	وكشر عن سنانه المخالب
فصحت عليه صيحة جاعلته	تقدم يا أخى هاجم وطالب
حززت بخنجرى رأسه فاهوى	على وجه الثرى بالأرض قالب
أتتنى بعده لبوة مغيرة	فلما شفتها وليت هارب
رأيت شبالها سبعة وراها	فداروا لجهتى من كل جانب
فلما شفتهم جاؤا لنحوى	طلعت لشجرة ذات الشناغب
فداروا حولها فرميت نفسى	فصرت لظهرها بالحال راكب
حززت لرأسها ومليت نفسى	حليبا بعد أن نلت المآرب
ورأس السبع واللبوة قطعته	علامة للأغار والأقارب
وسقت ولادها السبع أمامى	فلما صرت فى وسط المضارب
فلاقتنى جميع رجال قومى	وحيتنى الاقارب والاجانب
وهـــذا ما جرالى فى نهارى	وما قسيت من هول المصايب

قال الراوى فلما فرغ الزير من شعره ونظامه وأخوه كليب مع الجليلة يسمعوا كلامه فغضبت الجليلة من كلام الزير كيف أنه لمح فى شعره عليها فقالت فى سرها لا بد أن أعمل على قتله وبعدها به قالت لزوجها كليب كيف يعرف انى ساعية فى قتله ولم يكن عارف بما فعله معى فوالله إن الموت ألذ عندى من الحياة فلابد أن أشنق نفسى وأستريح من جور أخيك القبيح ثم صارت تصيح وتبكى فقال كليب اخزى الشيطان ودعينا من هـــذا الكلام الآن وأخذ يتلطف

اطرها ويقول لها كم مرة من الأمرار أرمينا في الاخطار وهو يرجع سالما كاسبا غانما فقالت
الليلة مرادى أن تسمع منى ما أقول لك الآن ولا عدت تسمع منى غير هذه المرة وهو أن تجعل
سك مريضا وترقد على الفراش فاذا أتاك الزير حتى يراك فتقول له أصابك مرض شديد
وصفت لك الاطباء شربة الماء من بين السباع فاذا سمع منك هذا الكلام فتأخذه النخوة
الغيرة ويذهب فى الحال لقضاء حاجتك فاذا راح لا يعود يرجع أبدا من كثرة وجود السباع
ذلك المكان والكثرة تغلب الشجاعة فيقترسوه فى الحال ونكون بلغنا الآمال لأننى كلما تذكرت
يد أن أحقق حالى والغرض عند الحرنالى أنشدت تقول من فؤاد مبتول وعمر السامعين يطول

ألا اسمع لقولى ما أقولك على علم الصحيح أنا أدلك
أخوك هبيل مايسوى السله ولو قلع الجبال والف نله
فارسله غــدا لبير ضــد وان أرسلته لهناك يقتل
وقلبه مستريح مدى الدهر وتحظى بالمقاصد والسرور

فلما سمعها أجابها الى مرامها وانقطع عن الديوان ومقابلة الناس وجعل نفسه مريض
أقام بالفراش أيام ولما شاع الخبر وعلم الزير بذلك تشوق خاطره لأنه كان يحبه محبة عظيمة
خل عليه فرآه راقد فى الفراش وهو يئن من قلب حزين فقال لمسلامتك يا أخى ثم جلس بقربه
هو يتوجع عليه ويتأسف ويسليه بالكلام فقال له كليب اعلم أن مرضى شديد وأنا خايف منه
قد وصفت لى الأطباء شربة من ماء بير السباع فان شربتها شفيت من هذا الداء وليس لى غيرك
أخى من يأتينى بها فان كنت تحبنى أريد منك الآن يا فارس الفرسان وقهار العدا فى ساحة الميدان
ن تذهب الى ذلك المكان وتأتينى بالمطلوب والمقصود من بير الأسود فقال الزير أبشر يا أمير
م نزل من عنده وجاء بقربتين فحزمهما على حمار ساقه أمامه وجد فى قطع القفار الى أن وصل
لى بير السباع وكانت السباع فى ذلك الوقت سارحة فى البرية سوى سبع واحد كان راقد على
حافة البير وهو واضع يديه على فمه وهو نايم فقال الزير فى سره هذا نايم وعيب على أن أقتله غدرا فتركه
فك القرب وربط الحمار من يديه ورجليه ونزل البير من الدرج فملا القرب واتفق انه عند نزوله
ق الحمار فوعى السبع ولما رأى الحمار هجم عليه وضربه بمخلبه فقتله وجعل يأكله فلما خرج الزير
ن البير ووجد السبع قد قتل الحمار وهو يأكله اغتاظ جدا فوضع القرب على الأرض وقصد
و السبع كالحديد وقال له ياويلك يا مشوم الناصية كيف تأكل حمارى أما علمت بطشى
اقتدارى فوحق ذمة العرب لابد تحميلك القرب وكان الأسد قد وثب اليه ونهض على رجليه
التقاه الزير بالعصا وضربه ضربة شديدة وقعت على رأسه فدوخته فوقع على الأرض طائشا
جاء الزير بالحبل وجعله لجاما قويا ووضع عليه بردعة الحمار على ظهره ووضع عليها القرب وركبه
رجاله فنهض مثل السكران فقال له الزير يا قليل الأدب الذى يأكل حمير فرسان العرب فهو أولى

أن يحمل القرب وركب على ظهره وساقه مثل الكلب وكان كلما عرج عن الطريق يضربه بالعصا على رأسه حتى طاعه قهرا ثم سار وجد فى قطع القفار حتى اقترب من الديار فعند ذلك



ماجرى له مع أخيه والأسد وكيف أنه عاد ظافرا منصورا فجاء الشعر فى خاطره فانشد يقول

أنا مهلهل فعزمى يفلق الحجرا   والانس والجن تخشى سطوتى حذرا

قالوا أخوك كليب اليوم منطرحا   على الفراش ضعيف الجسم والبصرا

فجئته عاجلا حتى أسائله والعقل فى حيرة مما عليه جرى
قلت له كيف حالك أنت أخبرنى فقال لى يا مهلهل كيف أنت ترى
أريد شربة ماء اطفى بها ظمئى من بير صندل يزول الهم الكدرا
فسرت حالا لذاك البير فى عجل فبلغت قصدى وعدت اليوم مفتخرا
هذى فعاله وكل الناس ترهبنى حتى الأسود وأهل البأس والأمرا

(قال الراوى) ومازال ينشد الأشعار حتى وصل إلى الديار وهو راكب أسدا غير مبال بأحد لانه بلغ المقصود وفعل أفعال تعجز الفرسان ولما دخل الحى جفلت الخيل والجمال والناس لما رأوا الأسد على تلك الحال وتصايحت الاولاد والبنات وسمع كليب والجليلة تلك الضجة فطلا رأسيهما من الشباك بهذا البطل ان يقتل فقد جاء بالاسد وعلى ظهره القرب وهذا أعجب من العجب فاشتغل قلبها حتى كادت تموت ثم نزل كليب اليه وقبله بين عينيه وقال له لله درك يا فارس الميدان وزينة الأبطال الشجعان وبعد ذلك اسأله عما جرى وحصل فانشد الزير وقال

يقول الزير أبو ليلى المهلهل ودمعى فوق وجناتى سواجم
ذهبت اليوم نحو البير قاصد أجيب الماء يا ابن الأكارم
وجدت السبع قرب البير راقد فقلت بخاطرى إذا السبع نايم
نزلت البير أميز منه ماء وربى بالذى قد قلت عالم
ملأت للقربتان وعدت حالا لارجع للقبيلة والمعالم
وجدت السبع قد أكل البهيمة ضربته بالعصا فعاد نايم
وحملت القرب من فوق ظهره وجئت اليك يافخر أكارم
أطال الله أيامك وعزك على طول الزمان وأنت دايم

فلما سمع كليب منه هذا المقال أجابه على شعره وقال

يقول كليب اسمع يا مهلهل فمالك من مثيل فى العالم
سباع التى خافت من قتالك وولت فى الفلا منك هزايم
سألت الله أن يحفظك دوما ويحظى بالسرور وبالغنايم
فقم البس ثيابا من الحرير وأفعل ماتريد ياابن الاكارم
خى ما عاد عندى أعز منك وحق الله خلاق العوالم

فلما فرغ من كلامه أنزل الزير عن ظهر الأسد وضربه بالسيف القاه قتيلا ثم قطع

رأسه وطرحه أمام أخيه وقال الله أكبر فقد أخذنا بثار الحار وذهب عند أخيه فقام له على الاقدام وأكرمه غاية الإكرام فقال له كليب ذات يوم اطلب يا أخي مهما تريد فان شئت مدينة أوهبتك إياها وامرأة جميلة أزوجك إياها فمالى جميعه بين يديك فلا أبخل بشيء عليك لأنك اليوم مساعدى وزندى وأنت الحاكم من بعدى فقال إنى أريد سوى سلامتك والذى أريده منك أن تأمر لى بصيوان يكون كبير ومفروش بالفرش الفاخرة تنصبه لى عند بير السباع ويكون عندى جماعة من الخدام يقدمون لى ما أحتاجه من الأكل والخمر لأنى أنفرد عن باقى الناس وأكون وحدي خصوصا من كيد النساء وعندما تشتاق الى تزورنى فقال كليب ماهذا العمل فوالله ماعادلى صبر على فراقك يامهلهل ولاعدت اسمع فيك كلام الاعدى اللئام فابق عندى فى العز والاكرام فقال يا أخى قد صممت النية على الانحال فان الانعزال أفضل للرجال الاحرار ولا سيما قد صار لى على السباع ثار على قتل الحار ولا بد لى من قتل جميع الأسود أو ان الحار يرجع ويعود فضحك كليب من كلامه وتعجب وأمر له بما طلب وقدم له جوادا من أطيب الخيول وجميع مايحتاج اليه من السلاح والنصول والمأكول والمشروب وأرسل معه عبدان يخدمانه ثم ودعه وسار حتى وصل إلى بير السباع فنصبوا له الصيوان وأقام فى ذلك المكان وهو يأكل ويشرب المدام وكان فى كل يوم يلبس عدته ويركب جواده ويصيد السباع وكان كلما قتل أسد يقول يالثارات الحار ومازال على تلك الحال حتى أفناهم وبنى له قصرا من رؤوسهم فلما طيل عليه الزمان أخذه القلق والضجر لانفراده عن البشر وكان بينه وبين همام بن مرة محبة ووداد فزاره الامير همام فى بعض الأيام ففرح بقدومه عليه وقال أهلا وسهلا يا ابن العم ورحب به غاية الترحيب وقال له لقد ضاقت نفسى من الوحشة والانفراد فوالله مادمت أدعيك تذهب من عندى أبدا وكانا ينشدان الاشعار فى الليل والنهار ومازالوا فى بسط وانشراح وطرب وأفراح وشرب مدام وسماع أنغام مدة ثلاث أعوام هذا ما كان من حديثهم فى تلك الأيام

(حرب السبوع بين بنى بكر وتغلب)

(قال الراوى) وأعجب ما اتفق وتسطر من الاحاديث التى تروى وتذكر وحديث العجوز الشاعر أخت الملك تبع حسان الذى قتله كليب كما شرحنا قبل الآن وهى المرأة التى ذكرها تبع لكليب فى ملحمته بانها سوف تظهر بعده وتلقى الفتنة فى القبائل وبسببها يقتل كليب وتثير الحرب بين بنى بكر ويلتقى عشائر العرب وكانت هذه العجوز من عجائب الزمن وغرائب

الأوان ذات مكر واحتيال وخداع ساحرة ماكرة وكان لها أربعة أسماء سعاد وتاج وبخت وهند والبسوس وكان التبع عن ولادتها سماها سعاد لأنها فى يوم ولادتها وردت اليه أسواق السبعة أقاليم وأما سمتها تاج بخت وهند لأنها كانت تأكل كثيراً من جوز الهند وكانت مع هذه الأوصاف القبيحة جميلة المنظر فصيحة الكلام شديدة البأس ولما كبرت وانتشت وصارت بنت عشرين سنة فكانت تسارع الطواشيه وتركب الخليل فى الميدان وتبارز الأبطال والفرسان فشاع صيتها فى كل مكان وتواردت اليها الخطاب من جميع المدن والبلدان فكانت تقول انى لا أتزوج بانسان الا من يقهرنى فى الميدان فكانت تقهرهم فى القتال وتسلم عليهم فى ساحة المجال فاقتصرت عنها الخطاب وتباعدت عنها الطلاب وكان قد سمع بخبرها ملك عظيم اسمه سعد اليمان وكان ملك السرور وابن عم أخوها تبع وهو بطل أروع وليث صميد وصاحب مدن وبلدان وجيش وفرسان فهام قلبه فى جهاد فركب فى جماعة من أبطاله وصار قاصداً ديار ابن عمه تبع ليخطب أخته سعاد فلما وصل الى تلك البلاد رحب به الملك تبع وأضافه ضيافة عظيمة لأنه ملك وأمره نافذ فى قبائل العربان فلما كان اليوم الثالث قال سعد للتبع اعلم يا ابن العم بانى حضرت من بلادى لأخطب أختك سعاد الدرة المصونة والجوهرة المكنونة فلا تردنى خائباً لأنها بنت عمى ومن لحمى ودمى وأنا أحق بها من كل أحد فقال تبع بأنى أرغب بذلك الاعلى هذا الشرط فعند ذلك دخل عليها ليخبرها بقدوم الأمير سعد ابن عمها وأنه قد جاء يخطبها ويتزوجها بعد أن يبارزها ويحاربها فاجابته الى ذلك المرام وفى ثانى الأيام اعتدت بآلة الحرب والجلاد وركبت على ظهر الجواد وبرزت الى الميدان ومحل الضرب والطعان وكان الأمير سعد قد ركب حصانه وبرز الى الميدان والتقاها بقوة قلب وجنان وأخذا يتقابلان نحو ساعة من الزمان وكان الأمير سعد صاحب نخوة وحميه ومن أشد فرسان الجاهليه فحاربها حتى اتعبها ثم اقتلعها من نحو سرجها فاقرت له بالعليه بعد ذلك تزوجها أمام الحفل ٧ أيام ورجع بها الى بلاده وكانت قد أخذت معها جميع ما تملكه من متعة أموال وعبيد وغلمان وأقامت مع زوجها فى أرغد عيش وهنا مدة عشر سنين الى أن عمى وفقد البصر فصارت بحكم مكانه وأطاعتها العرب وعظم أمرها واشتهر ذكرها ومازالت على تلك الحال وهى فى أرغد عيش وأنعم بال الى أن كليب قتل أخوها تبع كما سبق الكلام فلما بلغها هذا الخبر أخذها القلق والضجر وتنغص عيشها وترمو وقالت لا بد لى من المسير الى تلك الديار وقتل كليب الغدار فاذا قتلته انطفت نارى وأكون قد أخذت بثارى فاقامت مكانها وكيلا يحكم بالنيابة عنها وركبت هى وزوجها وبناته وأخذت معها عبدان ومازالت تقطع البرارى والاكام حتى صاوت الى بلاد الشام فسألت عن حلة بنى مرة فارشدوها اليها فلما صارت هناك قصدت الأمير جساس دون باقى الناس ودخلت عليه وهو فى الديوان وحوله جماعة من الامراء والأعيان

فتقدمت اليه وسلمت عليه ودعت وترحمت وبأفصح لسان تكلمت وقالت أدام الله أيامك ورفع على ملوك الأرض قدرك ومقامك وبلغك ربك مناك ونصرك على حسادك وأعدائك فتعجب جساس من فصاحة مقالها فأثنى عليها وسألها عن حالها فقالت انى شاعرة أطوف القبائل والعشائر وأمدح السادات والأكابر وقد سمعت بجــودك وكرمك ولطفك ومحاسن شيمتك فأتيت الى دارك حتى أعيش فى جوارك وأكون مشمولة بأنظـارك ثم أنها بعد هذا الثناء والمديح أشارت اليه بهذا الشعر الفصيح

تقول سعاد من قلب موجع ... زمان السوء أبقانا زلائل
وبعد علانا صرنا غصاصا ... وبعد الكثرة قد صرنا قلائل
وبعد العز قد صرنا أذلا ... وبعد السمن قد صرنا هزائل
وذا يبكى وذا يضحك ويلعب ... وبعد السمن قد صرنا هزائل
فسبحان الذى قدر علينا ... وذا يندب عياله والخــلائل
فبعد ان كنت فى خــير ونعمة ... بغربتنا وتشتيت الشمائل
أدور على المناصب والأمارة ... دعانا الدهر كالطلاب سائل
سمعت يذكركم ياآل مرة ... وانزل فى القرايا والمنـازل
أيا جساس يافخر البرايا ... ياكهف اليتامى والأرامل
قصدتك لاتخيب فيك ظنى ... أيا ابن الأماجيد الاصائل
فاجبر خاطرى ربى يجبرك ... ويعطيك السعادة الفضائل
فكم أوهبت من مال ونوق ... وكم فرقت من خيل أصائل
فانت اليوم بين الناس فردا ... ثناه مشاع فى كل القبائل
عديم المثل مابين الأمارا ... وفيك تفاخرت عربان أوائل
عساك اليوم تنعم لى بمال ... ولا تصغى الى واش وقائل
فارجع بالغنايم والعطايا ... وبالخيل المسومة الصواهل

(قال الراوى) فلما فرغت العجوز من شعرها ونظمها وفهم جساس فحوى كلامها قال لها مرحبا بك ياعجوز الأرض ارضى والديار ديارى وأنت نزيلتى فى جوارى فكل تعدى عليك فتنته ولو كان من سلاطين الزمان ثم أشار يترحب بها ويقول

قال جساس بن مرة ياعجوز ... مرحبا بك جاورينا بلا بطا
مرحبا بك مرحبا بك مرحبا ... عدد ماشنت الركائب بلابطا
فى قدومك حلت البركة لنـــا ... فابشرى بالخير مع كثير معطا
اسرحى ثم امرحى فى حينا ... ما أغيظك لو بدا منك خطا

(قال الراوى) فلما فرغ جساس من كلامه دعت له العجوزة بالنصر وقالت فى سرها والله لقد نلت المراد بعون الله وأقامت عنده مدة شهرين وجساس زايد فى إكرامها وكانت قد رأت إتفاق القوم مع بنى مرة وهم فى محبة عظيمة واجتماعات كثيره فما هان عليها ذلك الأمر فأخذت تلقى الفتنة والفساد بين الامراء والقواد حتى زعق بينهم الشر والنزاع ولما أشتد الامر اجتمعت أكابر الناس بالأمير جساس وأخذوا يشكون له من بنى ثعلب وعن سوء معاملتهم وأنهم يعتدون عليهم فى الاوقات بدون سبب وهذا كله من يوم قتل كليب التبع اليمانى وامتد ملكه فى أقطار فابتدأ يجور ويظلم ولا يحسب حساب أحد وهكذا قومه أيضا تفعل كفعله وكان مرادهم بهذا الكلام حتى يحمسوا الامير جساس ويهيجوه على قتل كليب ولكنه لم يصغ لهم أو لم يطاوعهم على مرامهم وقال لهم إنه من الصواب إن اجتمع أولا مع ابن عمى كليب وأعلمه بتعديات قومه وجورهم علينا فان وجدت كلامه قاسيا يكون هو السبب فى تقويتهم وإن أمر بتأدب المتمردين تكون قد نلنا مرادنا

(قال الراوى) ومازالت الفتنة بين الفريقين تمتد واشتد حتى سمع كليب بأن بنى مرة هم أصل ذلك الخصام أنهم كل يوم فى جمعيات فضاق صدره وأرسل جساس بذلك الخبر طالبا منه أن يبادر بالحال بقصاص المذنبين وتوقيف الحركة وإخراج تلك العجوز من القبيلة التى كانت سببا لهذه الورطة الوبيلة فاغتاظ جساس من ذلك وعلم أن أصل ذلك البلاء من كليب فلم يجبه بكلام ولا بخطاب وأخذ جساس من ذلك اليوم يجمع الجموع ويفرق على قومه السلاح ويقويهم الات الحرب والكفاح وبلغ ذلك الامير كليب فازداد كدره واحتار فى أمره وحس بزوال ملكه وكان قد تذكر أخاه الزير فارس التحرير فركب من يومه فى جماعة من الفرسان وقصد بير السباع فوجده جالسا على السفرة مع ابن عمه همام وهما يتناشدان الاشعار ويتحادثان فنهضا على الاقـــدام وجلساه فى أعلى مقام وفرح الزير بقدوم أخيه لأنه كان له مـــدة طويلة غائبا عنه غير أنه علم بان مجيئه لم يكن بانج إلا عن سبب ضرورى وبعد أن جلس قليلا قال كليب للزير أعلم أخى أن سبب مجىء اليك أولا لاجل المشاهده وثانيا حتى أخذك إلى القبيلة وأقيمك ملكا مكانى لأنى كبرت ولم يعد لى طاقة ولا سيما قد تغيرت الأحوال ووقع بين الطائفتين النزاع فاشتغل من القلب والبال فقم الآن معى ياسيد الفرسان فقال الزير والله لقد اشتغل بالى بهذا المقال فعند ذلك أنشد كليب وقال

أخى سالم اسمع ما أقول ... ففكرك دبره والذهن ليا
أراك اليوم فى زمر ولهو ... ولا تدرى بما قد حل فينا

بنو قيس لقد وقعوا بخلف وجساس نوى يركب عليا
فقوم وشد عزمك يامهلهل لأنك أنت جبار عتيا
وإلا راحت البلدان منا وصرنا معيرة عند البقية

(قال الراوى) فلما فرغ كليب من شعره ضحك الزير حتى استلقى على ظهره فقال كليب وماهو ضحكك قال لقلة عقلك قال أنا قليل العقل قال نعم لو لم تكن قليل العقل ما كنت تكلمت بهذا الكلام بعد أن نظرت هذا القصر الذى هو أمامك قال وما يكون هذا القصر قال المهلهل هذا قصر قد بنيته من رؤوس السباع الذين قتلهم بثارا لحمار ومع كل ذلك أنت ملك عظيم وصاحب ولايات وأقاليم فكيف أنت تكون خائف وفزعان وأخوك المهلهل فارس الفرسان فكن فى أمان واطمأنان من نوائب الزمان فان كنت بثار الحمار الذى ليس له قدر ولا مقدار بنيت قصرا من رؤس السباع ألا أبنى رؤوس الأعادى مداين وضياع وحصون وقلاع فاذهب بالسلام ولا ترتاع ثم أجابه على شعره يقول

يقول الزير أبو ليلى المهلهل أنا فى الحرب لى عزما قويا
سباع الغاب خافت من قتالى وتخشانى ولم تقدر عليا
فاذهب يا كليب ولا تباع واحكم على القبائل بالسوية
فان جارت بنو بكر وخانت فلا أترك أخى منهم بقية

فلما سمع كليب شعره واختار من فعله وندم على محبته ثم كرر عليه السؤال وطلب منه أن يسير معه خوفا من حدوث أمر من الامور فقال الزير سر أنت أولا وأنا أتبعك فيما بعد فقال كليب لماذا لاتسير الآن قال لا اخفاك لما حضرت إلى هذا المكان قتلت جميع السباع عدا سبعين أو ثلاثه فتى قتلتهم أدركك فى الحال الى طلال فعند ذلك ركب جواده وسار وسلم أمره للواحد القهار إلى أن وصل إلى الديار وهو فى افتكار هذا ما كان من أمر كليب ويرجع الكلام والسياق إلى حديث الشاعرة الساحرة الماكرة فانها لما أثارت الفتنة بين القوم صار عندها بنى مرة ذلك القول وجميع كلامها عند جساس مقبول أخذت طاسة من الفضة وملأتها من المسك والزباد والعطر وخفقت الجميع فى بعضها البعض ثم عادت إلى ناقتها الجرباء نه أخذت تطلى أجنابها ودهنتها بذلك الطيب وأمرت بعد العبدان يأخذها للرعى ويمر بها قرب صيوان جساس فى الصباح والمساء وأوصته إذا سأله أحد عنها وعن سبب رائحتها يقول له لا أعلم إنما مولاتى تعلم فاخذ العبد الناقة ومر من ذلك المكان تعقبت الرائحة الطيب واستنشق جساس الرائحة وكانت ذكية جدا فتعجب وكان قد نظر إلى تلك العبد وتلك الناقة فامر باحضار العبد وكان يظن بان تلك الرائحة عاتقه منه فلما حضر واذا ريحته كريهة جدا فسأله عن تلك الرائحة فقال من الناقة فازداد تعجبا

وسأله عن سبب ذلك فقال لست أعلم يامولاى ومولاتى سعاد الشاعرة تعلم لك فقال اجلس هذا امر غريب فاستدعى العجوز اليه فحضرت فى الحال تمثلت بين يديه فترحب بها أمرها بالجلوس فجلست ثم سألها عن قضية الناقة فتنهدت من فؤاد موجوع وقالت الاجابة أطال الله عمرك وابقاك ان هذه من سلالة ناقة صالح وفيها خواص غريبة ياابن الاجواد بعرها من المسك وعرقها من الرباد فتعجب جساس من ذلك غاية العجب وقال فى نفسه تبارك الله رب العالمين فلابد لى من أخذ هذه الناقة فافتخر بها على جميع الملوك فقال لها هل تبيعيلى أياها ياحرة العرب وأنا أعطيك مهما تطلبين من الفضة والذهب فلما سمعت كلامه بكت ولطمت وجهها وقالت والله هذا الحساب الذى كنت أحسبه فانى ماهجرت بلادى الالاجل هذه الناقة وكلما نظرها أمير وملك يطلبها منى ومادام الامر كذلك فانى سارحل من عندك ثم بكت من قلب حزين وأنشدت تقول

تقول سعاد من قلب موجع سقانى الدهر كاسات الحمام
ضنى منى الفؤاد وطار نومى عمى بعلى وقد زادت سقامى
أنا حرمة ولى يد قصيرة ولا لى قيمة بين الانام
وهـــذه ناقتى قد شتتنى عن الاوطان ياابن الكرام
فكم من سيد جاء يشتريها فما نالوا بها نيل المرام
وقد جينا اليكم والتجينا وقلنا قد حظينا بالسلام

(قال الراوى) فلما فرغت العجوز من كلامها أخذ جساس يتعطف بها ويقول لها أن كلامى معك هو على سبيل المزاح فناقتك مباركة عليك وأنت المعززة المكرمة فقال أريد من افضالك واحسانك ان كنت معززة عندك ان تجعل ناقتى دون باقى النواق والجمال لانها قد تربت وأريد مرعى يليق بها فقال إرسليها إلى المرعى مع نوقى فقالت أنها لا تأكل إلا من الرياحين وزهر البساتين فقال لها ليس لنا كرم ولا بساتين قالت وهذه الكروم التى أرها بجانب القبيلة من هو صاحبها قال هى لابن عمى كليب زوج أختى الجليلة وهمام أخى متزوج بأخته ضياع قالت مادام أنكم أهل وأقارب وأنت ملك نظيره لماذا يكون كليب أعظم منك فقال لها انه من بعد قتله الملك تبع عظم أمره وتملك على البلاد وطاعته العباد فلما سمعت هذا الكلام قالت والله لقد أخطأت وبئس مافعلت فانى تركت البحر وأتيت إلى الساقية وتعلقت بالذنب وتركت الرأس فاغتاظ جساس وقال مامعنى هذا الكلام ياحرة العرب فانك قد خرجت عن دائرة الصواب وباديتنا بقلة الأدب هذا جزاء المعروف والاحسان فقالت لاتغضب وماقولى هذا الاعلى سبيل المحبة فكيف يكون بن عمك وصهرك زوج اختك ويملك كل هذه الأراضى العظيمة وأنت ليس لك عنده قدر ولاقيمة اهكذا تكون الأهل وأبناء الاعمام أيها الملك الهمام فقال جساس وذمة العرب وشهر رجب لقد تكلمت الصواب وأنا من الآن

وصاعد لم أحسب له أدنى حساب لأنه قد أعتز وتمرد ولا عاد يحسب حساب أحد وأنا لا بد أن أطالبه أن يقاسمني على أملاك المملكة والا ألقيه فى التهلكة فروحي واطلق ناقتك ترعى فى أحسن البساتين والمراعى فلما سمعت العجوز الكلام فرحت وانشرح خاطرها فقبلت يده وخرجت من عنده وقالت لعبيدها خذوا هذه الناقة واتركوها ترعى فى البستان المعروف بحمى كليب واجعلوها تأكل الأغصان وإذا أعترض لكم أحد فسبوه وأشتموه وإذا اقتضى الامر اقتلوه ولا تخافوا فقالوا سمعا وطاعة ثم أخذوا الناقة وساروا بها إلى ذلك المكان

(قال الراوى) وكان هذا البستان روضة جنان وكان كليب قد اعتنى بها حتى صار من أعظم منتزهات الدنيا وكان لا يسمح لاحد أن يدخل فيها سوى هو وأولاده فلما أخذت العبيد الناقة دخلوا بها إلى ملك الحى بعد أن هدموا الحائط وصاروا يقلعون الاشجار وكانت الناقة أكلت أثمار الكروم وكان حارسا يحرسها اسمه ياقوت فلما نظر الحارس تلك الفعال هجم على العبيد بالعصا وقال لهم اخرجوا يا كلاب من البساتين قبل أن يحل بكم الهوان فشتموه ثم ضربوه فهرب من بين أيديهم وجاء إلى كليب وأعلمه بواقعة الحال فاغتاظ غيظا شديدا وجاء إلى ذلك المكان ومعه أربعة من العبيد فرأى العبدين أحداهما جالس على سريره الذى كان يجلس فيه وقت النزهه والآخر مع الناقة بين الكروم والزهور وهو يسب الامير كليب ويشتمه فعند ذلك اركضت غلمان كليب على العبيد ليقبضوا عليهما فتركا الناقه وهربا فاحضرت الغلمان الناقة أمام كليب فامر بذبحها فذبحوها وطرحوها خارج البستان وكانت العجوز تعز مايجرى للناقة ولما شاهدا ماكان من أمرها رجعوا على الاعقاب وكيف أن غلمان كليب ذبحوا الناقه بامر مولاهم وطرحوها خارج الحمى فقالت الآن قد بلغت مرادي وأخذت ثاري من الاعادى ثم أمرت أحد العبدين يذهب ويسلخ الناقة ويأتيها بجلدها فسار العبد وسلخها وجاء بجلدها اليها فقامت من وقتها ووضعت التراب فوق رأسها وشقت ثيابها وبناتها وعبيدها وجواريها وسارت بهم إلى عند الامير جساس فدخلت عليه وهو فى الديوان مع الاكابر والاعيان وصارت تندب وتبكى وألقت الجلد بين يديه فقال علامك أيها العجوز وما الذى أصابك فحدثته بالقصة وقالت له آخر الكلام لو كنت أعلم بان ليس لك عند بن عمك كليب قدر ومقام ما كنت تركت ناقتى ترعى فى حماه حتى يذبحها بل انى اعتمد على كلامك نظرا لعلى برفعة مقامك بين أقوامك حتى جرى ماجرى بسببك ثم أنشدت تقول

تقول سعاد من قلب موجع أيا جساس فى عابوا نزالك
أتيتك اليوم مع أهلى وبعلى لحيك ياقتى نطاب جيلك

نزلنا فى جوارك يامعظم — وقلنا ليس فى الدنيا مثيلك
فرحت طلقتهم وسمعت قولك — ذبحها جئت حالا اشتكى لك
فان كنت لكم ذمة وحرمة — فانهض يا أمير وشد حيلك
وخذ حقى من الباغى كليب — فرب العرش مولانا كفيلك

فلما فرغت العجوز من كلامها استعظم جساس هذه القضية وعصفت فى رأسه نخوة الجاهلية وقال للعجوز اذهبي يامان فانا أعرف شغلى هذا ذهبت الى خدامها وقد استبشر



ببلوغ مرامها ثم التفت الأمير جساس لمن حوله من الامراء وقال انظروا ما فعله ابن عمنا فى حقنا وهو صهرنا فقد أهاننا بهذا العمل وأنا لابد لى أن أقاتله من هذا اليوم فاما أقتله أو أبلغ الامل فقالت أكابر العشيرة تمهل ياأمير فانه لربما لم يعلم أنها ناقة ومن الصواب أن ترسل له كتابا على سبيل العتاب وتطلب منه ثمن الناقة وتنظر ما يكون جوابه فان أرسل الثمن واعتذر كان خيرا وإن أبى فحينئذ تفعل ماتريد

فاستصوب جساس هذا الرأى وكتب كتابا إلى كليب يعلمه بذلك الحال ويطلب منه ثمن الناقة وأرسل الكتاب مع عبده أبو يقظان فأخذ أبو يقظان الكتاب فى طريقه مر على تلك لعجوز وأخبرها بالقصة فترحبت به ولاطفته بالكلام وقدمت له الطعام ثم أخذت تسقيه المدام حتى سكر وغاب عن الصواب فعند ذلك فتشت فى ثيابه حتى عثرت بذلك الكتاب فقرأته فوجدته كتابا بسيطا خاليا من التهديد والوعد والوعيد فزقته وأضافت اليه كلاما مغيظا وهى هذه الأبيات

أمير كليب يا كليب الأغارب   أيا ابن العم لاتكثر عليه
فلاذم أذبحك من حد سيفى   وأنت شبيه حرمة أجنبيه

ثم طوت الكتاب ووضعته مكانه وأقامت العبد فنهض وركب جواده حتى وصل إلى ديوان كليب فنزل ودخل عليه فقبل الأرض بين يديه وناوله الكتاب فاخذه وقرأه ولما وقف على معناه اغتاظ غيظ شديدا وأراد أن يقتل الغدو ولكنه كان رجل عاقلا موصوفا بالحلم والحرام فطرق رأسه إلى الأرض وفكر قليلا فى سره وقال لعل الأمير جساس كتب هذه الكتاب وهو فى حالة السكر غائب عن الصواب فزق الورقة وأمر بضرب العبد فضربه وقال له اذهب يا ابن اللئام إلى مولاك بسلام وإلا سقيتك كاس الحمام فقام وهو على آخر رمق ح ركب حصانك وسار عند جساس وقال انه يحال ماقرأ كليب كتابك مزقه وأمر بضربى وقد شتمك وسبك وهذا الذى تم وجرى (قال الراوى) فلما سمع جساس هذا الكلام صار الضياء فى عينه كالظلام فنهض فى الحال ودخل إلى خزانة السلاح ولبس آلة الحرب والكفاح وركب ظهر حصانه ودار حول صيوانه وصاح على أبطاله واخوته وفرسانه فجاؤا اليه ودا روا حوله فاعلمهم بواقعة الحال وماجرى بينه وبين كليب من النزاع والجدال وقال لهم استعدوا لقتال بنى ثعلب الانذال وأخذ يترنم هذا الشعر والنظام

يقول جساس ونار القلب مشتعلة   على الضمائر لها يا قوم لهيب
يا قومنا اسمعوا قولى واصغوا لى   قول صحيح بلا قول ولا تكذيب
كليب خلى أحوالنا عبرة   حكم البلاد مشارق ومغارب
وليس يحسب لنا قدر ومنزلة   الكل عنده غنم وهو بينهم ديب
ناقه تزيل ذبحها ما اخشى أحد   أجرى إلى دمها شبه الانانيب
أأنت عجوز فألقت جلد ناقتها   بعد ماقد بكت بدمع سكيب
تنهدت ثم قالت ياولد مرة   ابن عمك كليب عليك يعيب
اهكذا كليب فى نزيلك   مالك قيمة عنده ولا ترحيب
فقلت لها اصبرى يا عجوز على   فأنا لك منه ثمنها أجيب
أرسلت له أبو اليقظان عبدى   بكتاب مافيه أسى ولا تعتيب

شق الكتاب وأرى العبد يضربه   ومن كثرة الضرب ما أظنه يطيب
الذى ما يرضاه سوى كل معيب   أترضون المذلة يا أهل قومى

(قال الراوى) فلما فرغ جساس من شعره ونظامه وعرف فحوى قصده ومرامه فما أحد طاوعه على هذا المرام وقالوا له عن فرد لسان هذا بئس الرأى وهل يجوز لنا يا أمير لأجل ناقة حقيرة تقاتل ابن عم كليب وترفع فى وجه السلاح بعد أن صاننا وحمانا بسيفه وقتل الملك تبع حسان واستولى على الأقاليم والبلدان وحل لنا ذكرا عظيما فى قبائل العربان على طول الزمان فان كان لك عليه دم أو ثأر فدونك وإياه فلا تطلب منا مساعدة ولا نجدة فلما سمع كلامهم تركهم وقصد بيت العجوز لما اجتمع بها قال لها قد جئت لأرضيك بالعطا خوفا من ازدياد الشر ووقع البلايا فاطلبى ثمن ناقتك فأنا أعطيك إياه ولو كان مهما كان قالت أريد واحدة من ثلاثة أشياء قال وما هو قالت أريد أن تملأ خرجى بالنجوم أو أن تضع جلد الناقة على جثتها فيقوم أو رأس كليب بالدما يعود فقال لها ما ملو خرجك بالنجوم أو الناقة تعيش وتقوم بهذا لا يقدر عليه الا الحى القيوم أما رأس كليب فابشرى ثم قوم السنان وأطلق العنان وقصد حى بنى قيس فقالت العجوز لعبدها سعد خذ هذه السكين والمنديل الأبيض واتبع جساس من وراءه فاذا رأيته قد قتل كليب فاسرع واذبحه والطخ هذا المنديل من دمه فى فعلت ذلك فانى أطلقك لوجه الله تعالى فامتثل أمرها وتبع آثار جساس وأما جساس فلم يزل سائرا حتى وصل قصر كليب وسأل عنه وقالت له أخته الجليلة قد ركب الآن يطمع مهره فى وادى الحصا والجندل فقصده حتى التقى به وهو يطبع المهر وكان كليب بدون سلاح ولم يكن معه سوى خيزرانة فقط وكان كليب دائر ظهره الى جساس لأنه كان من عادته لا يلتفت فى أيام الحرب ان أقل من مائة فارس فاراد جساس أن يغدر به من قفاه فما طاوعته يده على ذلك مهابة ووقار فلما وصل اليه وسلم عليه فرد عليه السلام فرآه مسربل بالسلاح فاستعظم كليب الأمر وقال علامك يا ابن عمى أراك بالسلاح الكامل قال مرادى الصيد والقنص ولكنى لما القيت بك عرجت بك لأسألك سؤال واحد أو أعاتبك على ما فعلت قبل كان لك بساتين وكروم ونحن ما الناشى وأنت عندنا عجوز شاعرة مع بعل لها أعمى ورعت ناقتها فى بستانك على جاهنا فكيف تقتلها أما لنا عندك قيمة ولا اعتبار بهذا المقدار فضرب كليب كفا على كف من شدة الأسف قال والله يا ابن عمى ما عرفت أنها ناقة بريلك ثم ذكر له عن سوء أدب الرعيان وما فعلوا من الضرر فى البستان ومع كل ذلك فانى أعوض عليها وأعطيها أربعمائة ناقة واذا أرادت أكثر فأعطيها ولا يكون سببا للنزاع بيننا فاننا أولاد عم فقـــال جساس على سبيل الخداع فانى سأرضيها وهو قاصد قتله قال مرادى العرب معك طاقين الجريد فقال كليب أنت راكب قير وأنا راكب مهرا جاهل فقال أنا أسوق أمامك والمهر يتبع الفرس فساق الفرس فتبعه كليب حتى حكمه فى يمينه وضربه بالجريدة فأصابت ظهره فأقبلته

عن ظفر الفرس فانحدر الدم من فه فقال كليب قم يا ابن العم ان كنت لا تريد أن تلعب غير هذه الجريدة فاضربنى بها فينتهى الحال ثم نزل عن المهر ومشى وأما جساس فانه كان قد تألم بهذا المقدار حتى لم يعد يمكنه القيام واذا بعبد العجوز قد أقبل اليه وجزبه فأونفه وقال والله انك دون أحقر الرجال ثم أعلمه بماله وكيف العجوز أرسلته خلفه لأجل تلك القضية فتحمس جساس ومسك العبد الركاب فركب ثم تقدم نحو كليب وهز فى يده الرمح وطعنه فى صدره خرج يلمع من ظهره فوقع كليب على ظهره يختبط بدمه فبكى ودمعه يسيل عليه فلما رآه جساس على تلك الحالة ندم وتأسف على مافعل فتقدم اليه وقبله وضمه الى صدره ووضع رأسه على ركبتيه وقال سلامتك يا ابن عمى فقد حلت بى الندامة فوا الله انى فعلت ذلك بدون عقل فسامحنى على هذا الارتكاب فأجابه كليب من حلاوة الروح وقال هذا حكم الاله المتعال وما كان أملى منك أن تبادينى بهذا وتشمت فى الأعداء وتفرق بنى وبين اليتامى والاطفال وما بكائى الا على اليتامى ولكن لهم رب لا يغفل ولا ينام وأبكى بعضا على غدر لا فانك قتلتنى بالعدوان ولست ملتقى الفرسان ولكن سوف يجازيك العادل الديان سوف ترى مايحصل بك من الهوان فقم واذهب الى الخيام وأقرىء الأيتام السلام ولكنى أسقنى قبل رواحك شربة ماء لأن قلبى قد احترق من شدة الظمأ ثم أشار بهذه القصيدة يقول

يقول كليب اسمع يا ابن عمى	أيا جساس قد أهرقت دمى
أيا غدار طعننى برمح	ولست بأنت فى الميدان خصمى
وشمت الحواسد والأعادى	وباتت اخواتى تبكى وأمى
على ناقة اتقتل ابن عمى	أمير كريم من لحمك ودمك
بيوم الضيق كان يزيل همك	ويردى الضد فى يوم النزال

فلما فرغ من شعره خاف جساس واصفر لونه وقال والله لا يعرف الانسان ماذا مقدر عليه ثم أنه رفع رأسه على ركبته وأتى له بماء وأسقاه ثم ركب وتركه وبلتفت الى وراءه قاصد أهله وأما عبد العجوز فانه بعد ذهاب جساس تقدم ليذبح كليب حسب ما أمرته العجوز فلما اقترب منه رآه يجود بنفسه وهو على آخر رمق فتأمل فيه العبد فوجده ذات هيبة ووجهه يتلألأ بالانوار فتأخر عنه وخاف منه فنظر اليه كليب فافاق من حلاوة الروح وقال له أنت عبد من وما هو قصدك ومرامك فاعلمنى فقال أنا عبد التبع فلما قتلته حضرت أخته سعاد العجوز الساحرة الى هذه البلاد لتأخذ بثأرها وتطفىء لهيب نارها وهى التى القت بينك وبين ابن عمك حتى قتلك وأرسلتنى

لأذبحك وآخذ لها من دمك فقال كليب لقد صدقت فقد ذكر لى تبع هذا الكلام وهذ تقدير رب الامام وأريد منك يا عبد الخير قبل أن تذبحنى تفعل هــذا الجميل وهو أن تلقينى بالقرب من هذه البلاطه حتى أكتب وصيتى إلى أخى سالم الزير وأوصيه بأولادى وبعد ذلك أفعل ما تريد فسحبه العبد إلى البلاطه والرمح غارس فيه والدم يقطر منه فبكى كليب ويتأمل على ما أصابه ثم أخذ عودا وغطسه بالدم وأشار يقول



كليب يكتب وصيته للزير على البلاطه

يقول كليب اسمع يا مهلهل مذل الخيل قهار الاسود
على ما حل من جساس فى طعنى طعنة منه يعود
وأسمع ما أقول لك يا مهلهل وصايا عشر أنهم بالأكيد
فأول شرط أحوى لا تصالح ولو أعطوك زينات النهود
وثانى شرط أحوى لا تصالح ولو أعطوك مالا مع عقود

وثالث شرط أخوى لا تصالح ولو أعطوك نوقا مع نقود
ورابع شرط أخوى لا تصالح واحفظ لى زمامى مع عهودى
وخامس شرط أخوى لا تصالح فان صالحت لست أخى أكيد
وسادس شرط أخوى لا تصالح فقد زادت نيران الوقود
وسابع شرط أخوى لا تصالح وأسفك دمهم فى وسط بيد
وثامن شرط أخوى لا تصالح وأحصد جمعهم مثل الحصيد
وتاسع شرط أخوى لا تصالح فانى اليوم فى ألم شديد
وعاشر شرط أخوى لا تصالح وإلا قد شكوتك للودود

(قال الراوى) فلما انتهى كليب من شعره بكى العبد عليه ورثى لحاله ثم تنفس كليب وهو مطروح وجعل يقول من حلاوة الروح أين الأحباب أين الأعوان أين جندى ودولتى أين ملكى وصولتى تباً لحكم مصيره للزوال يتجبرون على الإله المتعال ثم قال للعبد بالله عليك أن تمهل على قليلا حتى أودع من دار الدنيا واكتب لأخى هذه الوصية فقال العبد أكتب يامولاى رحمك الله ثم أخذ العود وكتب يقول

يقول كليب من سادات ربيعة ودمعى فوق الخد كالفناه
جرحت أنا على مهرى أسير فليس بيدى أنا سوى العصاه
فاذا ابن مرة جاء خلفى يريد قتلى وإبليس طغاه
ضربته بعصاتى فوق ظهره تقنطر راح من فوق الوطاه
أتى من خلفه عبد غريب سريعا أركبه ووقف حداه
يا حاكم طعنة فى سريعا وراح جساس هارب بالفلاه
هديت اليك هدية يا مهلهل عشر أبيات تفهمها الذكاه
أول بيت أقول أستغفر الله إله العرش لايعبد سواه
وثانى بيت أقول الملك الله بسط الأرض ورفع السماه
وثالث بيت توصى باليتامى واحفظ العهد ولا تنسى وطاه
ورابع بيت أقول الله أكبر على الغدار لاتنسى أذاه
وخامس بيت جساس غدرنى أنظر الجراح يعطيك الباه
وسادس بيت قلت الزير أخى شديد البأس قهار العداه
وسابع بيت سالم كان رجل لأخذ الثار لايعطى ورياه
وثامن بيت بالك لاتخلى لاشيخ كبير ولا فتاه

وتاسع بيت بالك لا تصالح وان صالحت شكوتك للاله
وعاشر بيت ان خالفت قولى أنا وإياك قاضى القضاء

ولما انتهى كليب من كلامه التفت الى العبد وقال له افعل ماتريد فقال ياأمير والله ماتستحق الى كل خير وان يدى لا نبطلوا عن ذبحك فقال اذبحنى لانى فى ألم شديد وعن قريب تأتى اخوتى وباقى الرجال والحريم فعند ذلك أخذ العبد السكين وذبحه من الوريد ولوث المنديل بدمه ورجع الى عند سيدته فاعلمها بقتل كليب وأراها دمه ففرحت فرحة شديد وصبرت الى الليل ثم حلت وسارت بمن معها من تلك القبيلة سراحتى لايعلم بها أحد وقالت لقد أخذت بثارى وطفيت نارى هذا ما كان منها وأما جساس فانه لما رمى كليب ولى هارب وسار حتى وصل الى قومه وهو فى خوف عظيم مصفر اللون متغير الكون فقال له أبوه الامير مرة أين كنت قل فى البريه يابن عم كليب فقتلته وزال همى وغمى فلما سمع مرة هذا الخبر تبــــدل صار عيشه بالكدر وقبض على جساس من ذراعيه كاد أن يخرج روحه من بين جنبيه وقال له ياعديم الزمان واخبث الانام اتقتل بن عمك لاجل ناقة حقيرة وصاحبتها سائلة فقيرة فماذا نقول العرب ياغدار اذاسمعت عنك هذه الاخبار فقد أجلبت علينا الأذى والضرر وفضحتنا بين البشر ومازال يوبخه بالكلام حتى جاءت اخوته فخلصوه من بين يديه وأخذوا يلوموه ويسبوه ويشتموه ماعدا الامير همام فانه كان عند الزير وهما يتنادمان ويشربان المدام على بير السباع كما تقدم الكلام عندهم بعد هذه الأمور والاحكام ثم التفت الامير مرة الى أولاده وقال لقد حلت بنا المصائب من كل جانب فما الذى يخلصنا من الزير ليث الوادى وقهار الأعادى فوالله ليقطع آثارنا ويسجل دمارنا ثم بعد هذا الكلام أنشد يقول

يقول أمير مرة من قصيد ان العار لايمحوه صباح
جلبت اليوم ياجساس حربا علينا فى المساء وفى الصباح
وقطعت النار فى بكر جميعهم يعم لهيبها كل النواحى
أيا جساس تقتل بن عمك كليب البر مكى ليث البطاح
أمير كان ليس له مثيل شديد البأس فى يوم الكفاح
أيا جساس من قتل بن عمه يبيت الليل يسهر للصباح
وشوف الآن مايجرى علينا اذابرز الرشيد المهلهل للكفاح

(قال الراوى) فلما فرغ مرة من هذا النشيد أجاب جساس بهذا القصيد

تاهب ان جلبت عليك حربا … فان الأمر زاد عن التلاحى
فكيف عن الغلام فلست أخشى … فانى ليث حرب فى الكفاح
فانى ان جلبت عليك حربا … بيوم الحرب من طرق الرماح
تعد ثعلب ظلم علينا … أعيد الرمح فى أثر الجراح
وانى حين اشتجر العوالى … بلا ذنب يعد ولا صباح
وما لى همة أبدا وقصد … سوى قتل العدا يوم الكفاح

فلما فرغ جساس من كلامه قال أبوه سوف ترى مايحل بنا من الويل من سيف المهلهل ثم صار يبكى ويلطم كفا على كف ثم قال لأولاده أن الرأى عندى أن نكتفه ونرسله الى الزير واخوته ليقتلوه بثأر كليب بهذه الوسيلة تزول الفتنة وتطفى النار وتزول فان المصيبة عظيمة وعاقبتها ذميمة فقالت أولاده ما هذا الكلام يا أبانا فهل بعد كليب غير جساس ياق أن يكون ملكا فان كنت تحسب جساس المهلهل فما هو الا كالأهبل وليس له أدب الا أكل الكباب وشرب الشراب فقال مرة العياذ بالله من كيد الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم قال لأولاده أن أخوكم همام له عند الزير مدة أيام فخاف أن يعلم الزير بقتل أخيه فيقتله ولا يبقيه

وكان لهمام جارية اسمها رباب فاستدعاها مرة اليه وقال لها اقطعى البقاع وسيرى الى بير السباع واعلمى همام سرا بما جرى وقولى له أن يرجع بالعجل خوفا من أن يقتل فسارت حتى وصلت هناك فوجدت الزير وهمام على سفرة الطعام وهما يأكلان فلما رآها همام قام اليها وقال لها مادهاك يالت شرطويل وحزن وعويل ثم أعلمته سرا واقعة الحال وطلبت منه المسير الى الاطلال فلما وقف على حقيقة الأحوال اعتراه الاذهال وغاب عن الصواب وتبدل انشراحة الحزن والاكتئاب فلما طال بينهما الحديث خرج الزير من بير الاطناب كانه أسد الغاب فوجدهما يتكلمان سرا ويوميان عليه فعظم الأمر لديه فسل الحسام وقال ماهو الخبر ياهمام فانى أراك فى قلق واهتمام وأشار يقول

يقول الزير أبو ليلى المهلهل … أحس النار فى قلبى لهيب
فقلبى موجع والجسم ناحل … ولا ألقى لجسمى طبيب
وشاب الرأس منى والعوارض … فانى صرت فى حال عجيب
وأنكر فى الزمان وشؤم فعله … وهذا الدهر يتقلب قليب
أيا همام الا يا ابن عمى … فما لك خائف واقف رعيب
فما لى أبصر الحرمة تقلك … تناديك وأنت لها تجيب
أراكم تكتموا الأسرار عنى … كانى بينكم رجل غريب

أراكم حديث وفى وشاش ... وبين ذا وذا أمر عجيب
فلا تخلو الأمور من الحوادث ... يا هماما أعلمنى تصيب
وإلا أفتحوا لى الباب حتى ... أروح عسى بذا قلبى يطيب

(قال الراوى) فلما فرغ الزير من شعره أجابه همام يقول

يقال همام إسمع يامهلهل ... فدمعى فوق الخدود سكيب
وبارى بالحشا قد أحرقنى ... أحسن لها طى الفؤاد لهيب
أقول وأنت تسمع يامهلهل ... بأنك صاحبى نعم الحبيب
فما نحن يا مهلهل فى وشاوش ... ولا أنت بيننا رجل غريب
أنا وإياك فى طرب ولهو ... ولا يحسب حسابات الحبيب
جمالنا يافتى نيب جمالكم ... جرى دمه على نحره سكيب
جملنا ذاك هو جساس أخى ... قتل أخاك كليب عن قريب

فلما سمع منه الزير هذا الشعر توقد قلبه بلهيب الجمر وأجابه يقول

يقول الزير يا همام اسمع ... أنت ابن عمى إلى نسيب
فما لك علم فى قتله كليب ... ولا فى هذه القضية لك طايب
فقم إذهب إلى أهلك يانسيبى ... بل تطويل من قبل المغيب
فتأتى أخواتى ثم يقتلونك ... ويدعونك على الغبرا كئيب
فما أقدر أن أحيك منهم ... وأنت محب يا أنعم الحبيب
فوالله ثم والله ثم والله ... ثلاث أقسام يحلفها الخطيب
فلولا حبنا ما عيش أكلنا ... ولا كاسات شربناها بطيب
لكنت أمد يدى نحو سيفى ... وآخذ ثأر أخوى عن قريب

فلما فرغ الزير من هذا الشعر قال الهمام وأنت من دور بنى مرة صديقى وزوج أختى وليس عندى علم بهذا الخبر المنكر فلا تخاف ولا تفزع فقال همام لقد جرى القلم الذى مضى لايرجع فاما أن تقتلنى عوض أخيك أو تأخذ منا مايرضيك وترفع عنا القتال وتتركنا فى الاطلاق فوالله لقد صعب على هذا الامر والتهب قلبى بنار الجمر لما سمعت بهذا الخبر المهول فلاكان جساس المهان المذلول قال الزير وحق من يعلم الغيب وروح أخى كليب إنى لا أرفع السيف عنكم حتى اشفى غليلى منكم ثم أقتلكم وألا شيكم عن بكرة أبيكم وأهتك النساء والبنات وأجعلكم مثلا فى الكائنات ولو لم تكن زوج أختى ماكنت أعلمتك بما فى ضميرى بل كنت قتلتك فى الحال وأورثتك النكال فسر الآن إلى الاطلال ولا عدت ترينى وجهك فى الحرب فلما سمع همام ذلك الكلام ركب

ظهر الحصان واوما إلى أبنه شوما ن الذي كان معهما فى ذلك المكان ان يسير معه إلى الاوطان فامتنع عن المسير وقال أنى سأبقى مع خالى الزير فسار همام وقد عظم عليه الامر وهو ينفض عنان الموت عن عقبه حتى وصل إلى زويه واجتمع بأبيه وأخوته فاخذ يلوم جساس على ما فعله وكيف أنه تجاسر على كليب وقتله واعلم قومه على ما عزم عليه الزير وخاف منه الكبير والصغير وأيقنوا بالهلاك واستعدوا من يومهم للحرب والكفاح هذا ما كان من بنى مرة وأما الزير صاحب الشجاعة والقدرة فانه اشتغلت فى قلبه لهيب النار واعتراه الاصفرار فصار يلطم وجهه وقد عظم الامر عليه حتى رقصت شعرات رأسه ومع ذلك لم تنزل من عينيه دمعه لأنه كان من الجبابرة السبعة وكان يقول وحق رب العباد لابد أن أقتل بنى بكر الاوغاد وأقتل الشيوخ والاولاد ولما طال عليه المطال وهو على هذه الحال قال له شيبان بن همام دع عنك الكلام واشرب المدام فانك عاجز يا خال عن هذا القتال فمن أنت من الأبطال حتى تتكلم بهذا المقال وتتباهى على الأمراء كأبى همام وعمى جساس وأنشد يقول

أنشد شيبان وقال بيوت	ودمعى من عينى هطال
يا خالى اسمع ما أقولك	وحط قولى وسط البال
خلى الهرج وطى النفس	واترك عنك قيل وقال
تقول تكيد من بنى مرة	وتقتل الى كل الابطال
غــدا يا خال هم يجيو لك	بخيل كثير وهم رجال
تظهر خيول عليك تجول	ودق طبول كما الزلزال
تروج الأرض بطول وعرض	تروحوا قتلى بضرب صقال
يجى جساس قوى البأس	كذا العباس زكى الخال
وتأتى عمر يحمل ضمر	وصقر ونمر وأبو جفال
بى ملك القوم كأن	بيوم الكون كسبع صال
وأخى شيبان بطل مجنون	وأبى همام إن جال ومال
وتأتى الشوش وكل عبوس	يخلو الرؤس تلال تلال

فلما انتهى شيبان من كلامه أجابه الزير على شعره يقول

ويقول الزير أواه أواه	يابن أخى عقلى زال
أكيد الشوش بقطع الرؤس	أنا الجبار أمــير عال
وبعد كليب لابيع الروح	أشلكم بالرمح شــلال

أنت يا ابن أخي اليـــوم فطوري عدت بغير محـــال
وأبوك أغدى سبق فيـــه وعشى الرمح من الابطال

فلما فرغ الزير من أنشاده نهض الغلام ليركب جواده ويلحق بأبيه وأعمامه فضربه الزير فألقاه على الأرض قتيلا ثم قطع عنقه ووضع فى مخلاته ولفها فى قربوس السلك وتركه فسار الجواد حتى وصل الى القبلة وسار الى بيت مولاه فلما رأت أم الولد جواده الغلام على تلك الصفة قالت للجرية دونك جواد سيدك فتقدمت وأخذت المخلاه فوجدت رأس شيبان فاستعظمت ذلك الشأن وأعلمت مولاتها بواقعة الحال فطار عقلها لما نظرت ابنها مقطوع فضجت بالبكاء فاجتمعت النساء من كل مكان وسمع همام الخبر فبكى واشتكى وقال لزوجته ضباع أنظرت مافعل أخوك فو الله لم يبق لى غـــريم سواه فشقت ثيابها وسارت الى أخيها لمهلهل ولامته على مافعـــل وقالت له تقتل ابن أختك بثأر أخيك ثم أشارت تقول

تقول ضباع يا سالم علامك بجاه الله ما سويت يابنى
بثأر كليب تقتل ابن اختك وتحرق مهجتى وتزيد حزنى
حزنت على كليب وماجرا له وحزنى فى صميم القلب مبنى
ولكن قد حكم ربى مراده وربى ما كتبه لى يصيبنى

فاجابها الزير يقول فى هذه الابيات :

يقول الزير من قلب حريق يقول كليب زاد اليوم حزنى
ألا يا أخت قلى من بكاك ولا تخشين من أمر يعنى
فو الله ثم والله ثم والله إله العرش قد أدعنى يجبنى
فلابد لى من حرب الاعادى واقتل كل جبـــار طلبنى

فلما فرغ من كلامه قالت مرادك ياسالم لقد زلت لوعتى وخفت عنى الاحزان لما سمعت شعرك وعرفت ما أنت معول عليه من الحرب والطعان وأخذ بثار وكشف ثم رجعت الى الديار وهى فى قلق وأنكار هذا ماكان من أمرها ولما اشتهر قتل كليب ووصل الخبر الى أبياته وعلمت بذلك جميع أهله فرقوا الثياب وأكثروا من البكاء والانتحاب وبكت الوجوه ووقع فى الحى العويل وكسرت الفرسان والسيوف والرماح وخرجت بنات كليب وهن مهتكات الستور ناشرات الشعور حافيـــات الاقدام يقطعن السهول والآكام وقدامهن أختهـن اليمامة وكان ذلك اليـــوم مثل يوم القيـــامة ولما وصلن اليه وجدن الطيور حائمة عليه فوقفن على جثته وقبلن يديه وارتمين حواليه ولما فرأوا ذلك الشعر الذى كتبه على الصخر زادت أحزانهن وأخذن يلطمن على وجوههن

ثم أقبلت أخوة كليب الى ذلك المكان وازدحموا الرجال والنسوان والفرسان والسادات والاعيان يرثوه بالاشعار وجرى دمعهم كالانهار أما ابنته اليمامة فعلمت أنه لا يوجد من يأخذ بثارها ويطفى لهيب نارها سوى البطل الاوحد السيف المهند الشجاع الذى ليس له نظير عمها المهلهل الملقب بسالم الزير فسارت هى وأختها اليه وقالت والله ياعماه حزنا عما جرى علينا وكان من طوارق الزمان يقتل أخوك كليب ملك العصر ثم وقعت مغشيا عليها فى حجره فضمها الى صدره وقد حار فى أمره ولما أفاقت اشتدت عليها الحسرات فانشدت هذه الابيات

مات أبى ياعم فى طعن القنا ... غدر به جساس ذا الكلب المشوم
يا مهلهل ضاقت الدنيا على ... وسقانى البين كاسات السموم

(قال الراوى) فلما فرغت اليمامة من هذا الشعر والنظام زاد على المهلهل الآلام فنهض على الاقدام كانه سبع الاجام وصار النهار فى وجهه كالظلام وقال لبنات أخيه سوف ترون ما أفعله وأجريه ثم امتد آلة حربه وجلاده وركب جواده وسار مع البنات يقطع الأراضى والفلوات حتى وصل الى ذلك المكان فوجده مملوء بالابطال والفرسان والنسوان يبكون ويلطمون وينوحون ويندبون فلما رأى المهلهل قد أقبل فتحوا له طريقا حتى دخل فوجد أخاه وهو مطروح والدماء من جيده يقطر والناس واقفة حواليه فالقى نفسه عليه وهو يبكى من ملو عينه يقول سلامتك يا أبا اليمامة ياصاحب الجاه ثم الكرامة فقد أحرقت قلبى بفقدك فلا كان من يعيش بعدك فلما اشتد عليه الامر تلته اليمامة وصية أخيه المكتوبة على الصخر فقرأها وقال وحق الاله المتعال انى لا أصالح الى الابد ما دامت روحى فى هذا الجسد ثم بكى متنهد وفاه بهذه القصيدة أمام السادات والعمد وهى من أجود مراثى العمد وأحسن اشعار أهل الفضل والادب

كليب لا خير فى الدنيا ومافيها ... ان أنت خليتها من يبق واليها
نعى النعاه كليبات فقلت لهم ... مالت بنا الارض أم مالت رواسيها
ليت السماء على من تحتها وقعت ... وحالت الأرض فاندكت أعاليها
الناحر النوق للضيفان يطعمها ... والواهب المنية الحمراء يرعاها
الحلم والجود كان من طبائعه ... ما كل الطلبة ياقوم تحصيها
أصحت منازل بالسلان قد درست ... يبكى كليب نهارا مع لياليها
كليب أى فتى زين ومكرمة ... تقول خيلا الى خيل تلاقيها
تكدن أولها فى حين كرتها ... وأنت بالكر يوم الكر حاميها

غدرك جساس ياعزيزى وسندى ... وليت جساس من يحب تواليها
لا أصلح الله منا من يصالحهم ... حتى يصالح ديب المعز راعيها
تولد البغلا الخضراء خدالجة ... وأنت تحنى من الغيرا تلبيها
وتحلب الشاة من أسنانها لبن ... وتسرع النوق لاترعى مراعيها

(قال الراوى) فلما انتهى الزير من هذه المرثاة وسمعتها السادات تعجبوا من فصاحته وما أحتوت عليه من الالفاظ الرقيقة والمعانى البليغة وقالوا والله لقد أجاد سالم الزير شعره بهذا الكلام الذى هو كالدر النضير ثم أجتمعت الامراء وقالوا للعرب المجتمعين إنه ماعاد ينفع البكاء والانتحاب وأن أكرام الميت دفنه فى التراب ثم أتو بكليبا إلى الديار ودفنوه بكل احترام بنفائس الاشعار وبنو على قبره قبة من أعظم القبب وطلوا حيطانها بالفضة والذهب فكانت من عجيب العجب فى بلاد العرب وزخرفوها بالنقش الفاخرة وكتبوا عليها أسماء الله الحسنى وقد أثبتناها فى الكتاب أفادة للطلاب وهى هذه

﴿ أسماء الله الحسنى ﴾

هو الله الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارىء المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلى الكبير الحفيظ المميت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوى المتين الوالى الحميد المحصى المبدىء المعيد المحى المميت الحى القيوم الواجد الماجد الواحد الصمد القادر المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الوالى المتعال البر التواب المنتقم العفو الرؤف مالك الملك ذو الجلال والاكرام المقسط الجامع الغنى المغنى المانع الضار النافع النور الهادى البديع الباقى الوارث الرشيد الصبور .

بعد أن تلوا أسماء الله الحسنى وسمعتها السادات ورؤساهم ودفنوا كليب كما سبق وذبح الزير على قبره الأغنام وفرق المال على الارامل والايتام ثم جلس فى الديوان وجمع الاكابر والاعيان والابطال والفرسان وإخوته الشجعان وقال لهم اعلموا أيها الامراء أن جساسا قد أهانكم وقتل ابن عمكم فاستعدوا لأخذ الثأر وكشف العار من بنى بكر الاشرار فلما سمعوا الكلام أجابوه إلى ذلك المرام وقالوا إننا بين يديك ولا نبخل بأرواحنا عليك لأن الأمير كليب لايتنى ولم تلد مثله النساء ثم أنهم تحالفوا معه وعاهدوه وعلى كرسى المملكة بايعوه وأجلسوه فلما تملك على القبيلة طرد امرأة

وخيه الجليلة فسارت إلى بيت أبيها وكانت حاملة بولد سوف يأتى عنه الخبر واستعد الزير من ذلك اليوم للقتال وحلف بأعظم الاقسام أنه لايشرب المدام ويتلذذ بطعام حتى يأخذ بثاره بحد الحسام وينتقم من بنى بكر أو أنه يموت تحت أرجل الخيل ولا يبالى بالويل ثم أمر الرؤساء والأبطال حتى امتلأت الزواتى والتلال وقد انضمت اليه عدة قبائل وأمدوه بالعساكر حتى صار فى أربعمائة فارس مقاتل ولما بلغ بنى بكر هذا الخبر ضجروا وخافوا من العراقب وحلول النوائب فجمعوا المواكب الكتائب. وسار بهم الامير مرة إلى الذنائب وهو مكان شهير يبعد ثلاثة أيام عن قبيلة الزير وهناك انضمت اليهم بعض قبائل العربان فكانوا نحو ثلاثمائة الف عنان وأقاموا فى المكان ولما سمع الزير برحيل مرة وأولاده إلى تلك الديار قال لابد أقتفى منهم الآثار وأفق الكبار ثم أمر القائد الكبير بسرعة المسير فامتثلوا أمره وفعلوا كما ذكر وفى الحال دق طبل الرجوع فارتجت منه السهول والمروج وهو الطبل الذى كان للتبيع حسسا ولم تكن إلا ساعة من الزمان حتى ركبت الابطال والفرسان وركب المهلهل متسربلا بالسلاح كأنه ليث البطاح وعلى رأسه الرايات والبتود ومن حوله القواد والجنود فعندها سارت المواكب قاصده الذنائب ومازاله العسكر تقطع البر إلى أن أشرف على تلك الديار فى اليوم الثالث عند نصف النهار ولما اقترب وانكشف للميان ورآه الامير مرة ومن معه من الرجال والفرسان قالوا وحق الاله القدير لقد أقل علينا الزير بالجوع والجماهير والفرسان المشاهير اليوم تباع الارواح تبع السماح وفى عاجل الحال انتخب الامير مرة مائه ألف فارس من الابطاله لملاقاة الاعداء فى تلك البيدا وكان المقدم عليهم ابنه الامير جساس وجماعه من عظماء الناس فسار ذلك الجحفل طالبا جيش المهلهل ثم فرق مائة ألف أخرى فى جانب الصحراء وقدم عليها أبنه همام وحثهم على الحرب والصدام وقام هو بباقى العسكر فى الجانب الايسر حتى إذا انكسرت الفرقتان يحمل بمن معه من الفرسان ولما شاهد المهلهل تلك الحاله قسم عسكره إلى ثلاث أقسام وتقدم ولما أقتربت العساكر من بعضها البعض وانشرت جموعها فى تلك الأرض حلت الطرق على الفرق وهجم الجيش على بعضه وأنطبقوا قصد المهلهل فرقة الامير مرة بـ ١٠٠٠٠ من أهل الشجاعة والقدرة وفى الحال اشتبك القتاله وعظمت الاهوال وجرى الدم وسال وارتجت الوديان والتلال من النضال فكان يوما مريعا يشيب منه رأس الغلام قبل الفطام فما كنت ترى إلا رؤسا طائرة ودماء فائرة وفرسان غائرة فلله در المهلهل وما فعل فى ذلك اليوم من العمل فانه هجم هجوم

الأسود وفرق المواكب والجنود وتكسر الرايات والبنوز وقتل كل جبار وكان كلما دخل فارس يقول كليب ملك العرب ويلق بنفسه فى العطب أملا بالنصر وبلوغ الأرب



وقتل خمسمائة من الابطال ولما اشتدت الاهوال تاخرت عنه الرجال خوفا من الهلاك وهو يجول ويدور كالأسود ويقول واكليباه قتنل جساس أين عيناك اليوم يرانى وتشاهد حربى وطعانى فيا ليتنى كنت فداك ولا كان من يسلاك (قال الراوى) وكانت نيران المعامع والحروب والوقايع مشتبكة فى ثلاثة مواضع واستظهرت جيوش المهلهل على أعداء ما وبلغت غاية مناها وفعلت باقى الفرق فعل سيدها واستمرت القتال على هذا الحال من الظهر إلى غروب الشمس وكان قد قتل من بنى بكر ثلاثين الف ومن جماعة المهلهل نحو خمسة آلاف بطل فعند ذلك دقت الطبول فارتدت عن بعضها البعض ونزلوا الخيام ورجع المهلهل وهو غالب كانه حلة مما سال عليه من أدمية الفرسان فاجتمع السادات والأعيان فى الصيوان يهنوه بالسلامة وقالوا مثلك تكون الشجعان زينة الاكوان وجوهرة هذا الأوان فشكرهم على الكلام وأوعدهم بالخير والانعام ثم أكلوا الطعام وأخذ يتذكرون أمر الحرب وكان للمهلهل صديق يركن اليه ويعتمد عليه فى أموره

عليه قوى الجنان فصيح اللسان يقال له امرؤ القيس بن أبان وكان يقاربه بالروسية ويساويه بالفصاحة والهمة لعله قاتل معه فى ذلك اليوم وفتك فى صناديد القوم وكان لا يارق الزير فى القتال يحميه من غدر الرجال فقال له المهلهل ماهو رأيك يابن أبان فى الهجوم على الأعداء تحت جنح الظلام فأنا والله كلما تذكرت بقتل كليب تتوقد بقلبى النيران وليس لى صبر وسلوان. فقال تمهل ياأمير مهلهل فان النهار قد اقترب ولا دلنا من بلوغ الأرب لان القتال فى الليل يجلب علينا الهم والويل فتختلط الاحزاب لانعود تعرف الاعداء من الاحباب لان الظلام يحجبنا عن بعضنا وتتشتت فى هذه الأرض فاستوصب الزير مقاله وهكذا أشارت فرسانه وأبطاله

(قال الراوى) وبات الجيشان يتحدثان وأوقد النيران كانت بنو بكر وباقى قبائل العرب باتت فى شدة وتعب وأيقن الأمير مرة أنه سيغلب بقهر من سيف الزير الأسد ولما أصبح الصبح وأضاء بنوره ولاح تبادرت العساكر الى ميدان الحرب واصطفت الفرق الصفوف وترتبت المئات والألوف وتأهب المهلهل للحرب والطعن والضرب فركب ظهر الحصان وتقدم الى معركة الطعان وتبعه امرؤ القيس وأيضا القواد والأبطال والفرسان بقلب أقوى من الصوان وكذلك ركب الأمير مرة والفرق وانتقلوا بالسلاح فعند ذلك دقت الطبول وصهلت الخيول وارتفعت الرايات على روس الأمراء والسادات من جميع الجوانب وهجم كل فريق على فريق وتقاتلوا بالسيوف والمزلرق والتفت الامم بالامم وقام الحرب بقدم وما مضى ساعة النهار حتى اشتد لهيب النار وانذل الجبـــان وحار وارتفع وعلا وارتجت أقطار الفلا ولبست الأرض من الدما حللا وعظم بينهم البلاء والويل وعاد بياض النهار كسواد الليل وقاتل المهلهل فى ذلك اليوم وما قصر وفعل فعالا وتذكر بانه اقتحم صوت الأعادى مثل ليث الوادى وجال عن الميامن والمياسر وطعن فيهم طعنا يذهل النواظر ويحير العقول والبصائر ويقول بثارات كليب مهجة فؤادى ومن كان سندى واعتمادى ولما طال المطال وشفى غليله من الأبطال أنشد وقال

ذهب الصلح أو تردوا كليب	أو نبيد الحيين بكرا ودهلا
ذهب الصلح أو تردوا كليبا	أو أبقى الرجال قهرا وزلا
ذهب الصلح أو تردوا كليبا	وتعم السيوف شيبان قتلا

فتعجب الفرسان من شعره ومقاله واندهلت من قول قتاله وكذلك اندهشت باقى أبطاله ومازال الحرب والذل يبدل والرجال تقتل الى أن ولى النهار ودخل الليل وأقبل رجع المهلهل وباقى الجيش والجحفل وجمع أكابر عشيرته وأهله واخوته وأخذوا يتحـــدثون فيما يجرى ويكون فاستقر الرأى على سرعة الجهاد فى الحرب والبراز قبل أن يطول الامر وتفوتهم الغلبة والنصر ثم انهم كلوا الطعام وباتوا فى الخيام ولما طلع النهار واشرقت الشمس

بانوار تأهبوا للحرب فتقلدوا بالسيوف ودقوا الطبول وركبوا الخيول وتقدمت الفرسان والابطال الى ساحة القتال وكذلك فعل الامير مرة وجساس ويلوذ بهم من عظماء الناس والتقت العساكر بالعساكر وتقاتلوا بالسيوف وكان الامير المهلهل فى أول الجحفل فصاح والتقى الفرسان بقلب قوى وهو يهدر كالأسد ويضرب فيهم بالسيف ويقول بالثارات كليب لبس الصدام وزينة الليالى وكان كلما قتل فارسا يعيد هذا الكلام فقصدته الابطال من اليمين والشمال وهو يضرب فيها الضرب الصايب ولا يبالى بالعواقب حتى مزق الصفوف بحملاته وفرق الالوف يتواتر طعانه وما تنصف النهار حتى قتل مائة بطل كرار وكان من الابطال والفرسان المذكور وكذلك فعل امرؤ قيس بن أبان وباقى القواد والشجعان ومازالوا على تلك الحال الى أن ولى النهار بالارتحال ارتدوا عن الحرب ورجعوا عن المضارب والخيام وكان قد قتل من عند جساس فى ذلك النهار عشرون الف بطل كرار ومن عرب المهلهل نحو ثلاثة آلاف بطل ولما أصبح الصباح استعدت الفرسان للحرب والكفاح وركبوا الخيول وتقاتلوا بالسيوف وهجم المهلهل على الفرسان الفحول كأنه الغول وهو ينشد ويقول

هلموا اليوم نلقى آل مرة	ولو كانوا ثلاثين الف كرة
وسيف المهند يقطع فى يمينى	فلا تخشى المهالك والمضرة
فاحموا بابن عمى اظهرى	فتحظوا بالتهانى والمسرة
فكل الناس ترهب من قتالى	اذا ماجلت فى الميدان كره
فسوف أبيد جساسا وقومه	وأسقيهم بحربى كاس مرة

ثم أنه حمل على الكتائب والمواكب وأظهر العجائب وقتل كل شجاع غالب ومازال القوم فى حرب وقتال وخصام مدة ثلاثة شهور على التمام حتى أفنى الزير من بنى بكر كل سيد خليل وفارس نبيل وكان عدد من قتل منهم فى تلك الوقائع نحو مائة الف مقاتل بين فرسان ورجال وقتل من جماعة المهلهل نحو عشرة آلاف بطل فلما رأى جساس ماحل بقومه من النوائب خاف من العواقب وانهم اذا أثبتوا أمامهم يهلكون هلاك الابد ولا يبقى منهم أحد فهرب مع باقى طوائف العرب وغنم غنايم كثيرة وأموال غزيرة ورجع بمن بقى معه من الأبطال الى الاطلال فى أحسن حال ونزل فى قصر أخيه وصارت ملوك العرب تهاديه وكان يقترب الاوقات للحروب والغازات فشكرته اليمامة على ما فعل وقال لاعدمنك أيها البطل فانك أخذت الثار وطفيت لهيب النار ورجعت بالانتصار فشكرها على هذا الكلام وقال وحق رب الانام لايشفى فؤادك ولا يطيب لذيذ رقادى حتى أقتل الامير جساس واجعله مثلا بين الناس هذا الامر سيتم عن قريب باذن الله السميع

العجيب (قال الراوى) وبينما هو يترقب الاخبار ويقتفى من القوم الآثار اذ دخل عليه العابد النعمان الذى تقدم ذكره قبل الآن وكان من أصحاب الزير وأصدقائه المشاهير فسلم عليه وتمثل بين يديه فنهض له قائم على الاقدام وأكرمه غاية الاكرام وبعد أن جلس قال للزير اعلم يا أمير قد أتيت الآن من بعد ما كان أولا لاهنيك الانتصار وأعرب على فقد ذلك الاسد الكرار وكان ثانيا لاعلمك أنه ظهر لى فى المنام من مدة عشرة أيام رؤيا عجيبة تشير الى أحوال غريبة وهو أنه قادم عليك سبعة سنين منحوسة وأيامها عليك معكوسة فاياك من هذا النهار أن تحارب أحد مع ملوك الاقدار بل تجنب وقوع الفتن وتبقى مرتاحا فى الوطن فتى تمت هذه الايام والليالى وافقك السعد والاقبال باذن الاله المتعال فان حاربت انتصرت فشكره المهلهل على ذلك الاهتمام وغمره بجزيل الانعام ومن ذلك اليوم أخذ لنفسه الحذر وتجنب مخالطه البشر وكان يصرف أيامه بشرب المدام وأكل الطعام وأشاع فى القبائل بأن الزير أوقف الحرب سبع سنين كوامل

(قال الراوى) وكانت بنو مرة هجت فى الاقطار خوفا من الهلاك والدمار وندم جساس غاية الندم بقتل كليب الاسد الغشمشم ومازال قومه فى خوف وحذر من عواقب الامور الى أن بلغهم خبر توقيف القتال فزالت عن قلوبهم الهموم والاوجاع ورجعوا الى الاوطان هذا ما كان من بنى مرة وجساس وأما المهلهل الفارس المهاب فانه استمر على تلك الحال وهو فى أرغد عيش وأنعم بال الى أن كانت نهاية السنة السادسة فركب الى الصيد والقنص فى جماعة من فرسانه وابتعد عن الديار نحو ثلاثة أيام ومن الاتفاق الغريب أن الامير جساس رأى حلما بعض الليالى وأنه وجد بقرب صوانه حوض من الماء فبينما كان قومه تشرب واذا بذئب كاسر قد جاء الى ذلك الحوض وهو بصفة جمل كبير وله ثمانية أنياب فشرب من الحوض ثم ضرب الحوض بنابه فانشق من جانبه وتهور ذلك الماء حتى كادت قومه أن تهلك من شدة العطش والظمأ ورأى النساء والاولاد شياب السواد والدم جارى مثل المجارى والجمال تهش بعضها البعض ودمها يسيل على الارض فاستيقظ جساس خائفا من هول ذلك المنام فاستدعى اخوته وبنى الاعمام وقص عليهم ما رأى وأبصر فاستعظموا ذلك الامر ولو لا يوجد من يقدر على تفسيره سوى المنجمين فالاحسن عندك أرسل واستدعى عمار الرياحى فانه يفسره لك على يقين فارسل اليه وحضر وقص عليه ذلك الخبر فضرب الرمل ورسم فبانت الاحوال ثم التفت الى جساس ومن حضر هناك من الناس وقال لهذا المنام عن عجائب الايام وهو يدل على شر عظيم وخطب جسيم سوف يحل عليكم من سالم بوقت قصير وقد ظهر لى أيضا بان عدية أخو المهلهل عندهم مرادهم اسمه عندى قوى الصعب والخيل عديم المثال فى الخيول فسعد الزير مقرون بهذا الحصان وبه ينتصر فى الحرب والطعان فاذا ملكتم هذا الجواد نلتم المراد وأسرتموه فى القتال فلما سمع جساس هذا الكلام استبشر ببلوغ المراد وقال لهم بلغنا بان الزير غائب عن القبيلة وما فى الحى غير النساء

والحصان موجود فى الديار وهذه أوقات انفرصة وإزالة الغصة ثم أرسل رجلا ليكشف الخبر فسار ثم رجع وأخبره بصحة الكلام فعند ذلك ركب جساس فى ثلاثة آلاف بطل وطرق ديار المهلهل على عجل وأحاط بساحة الدار من اليمين واليسار فاستعظمن بنات كليب ذلك الامر ولم يعلمن السبب فطلت اليمامه رأسها من الشباك وقالت له وهو راكب على الفرس ماهو الداعى ياخالى بقدومك إلى الحى وهو خالى من الرجال فقال لها جينا نطلب المهر الادهم المدعو عندهم فقالت له أهلا وسهلا وعما طلبت فلا نمسكه عنك غير انه لايخفاك بان المهر خاصة عمى غدية فلا يمكننا أن نسمح فيه وأشارت تقول

لقد قالت يمامة فى بيوت ألا يا مرحبا فيكم خوالى

ألا يا مرحبا فيكم جميعا عداد القطر مع عدد الرمالى

بكم قد حلت البركة علينا وزال الشر عنا والنكالى

فمهما تطلبوا تشرنوا خيولا مع بغال مع جمالى

ولكن مهر عمى غير ممكن أسلمه فان المهر غالى

(قال الراوى) فلما سمع جساس شعرها أجابها يقول على كلامها

تعالوا اسمعوا قول اليمامة تقول المهر لا أعطيه غالى

فانى قاصد أخذه سريعا ولا أخشى العداة ولا أبالى

(قال الراوى) فلما فرغ من شعره نزل عن ظهر الفرس ودخل إلى الاصطبل وأخذ ذلك المهر ووضع عليه العدة وركبه وقال لليمامة لقد أخذت الحصان وغدا أطاردكم على ظهره ثم سار وهو فرحان حتى وصل إلى الأوطان فقال لإخوته أتيت بالحصان ومرادى أجربه فى الميدان فانتخبوا الآن ثلاثين رأس من جياد الخيل فاركبوهم واكمنوا فى عشرة مكامن وأنا أمر عليكم أسرع من الريح أنبئونى فى البر الفسيح فان سبق هذا الجواد بلغنا المراد فى الحرب والطراد فأجابوه إلى ما أراد وركبوا الخيل الجياد ركب جساس أخو كليب القميرة ووقف فى آخر كمين وركب جساس ذلك الحصان وأطلق له العنان فسار به فى تلك القفار أسرع من الطير إذا طار ولما اقترب من الخيل فسبقهم جميعا ماعدا القميرة ففرح جساس ثم نزل عن ظهره وأمر العبد أن يربطوه بقرب صيوانه ووكل به مائة عبد وقال أقبل علينا السعد وسوف نقتل هذا الوعد هذا ماكان من أمر جساس وأما الزير فانه عند رجوعه من الصيد استفقد ذلك الحصان فلم يجده مع الخيل فصعد إلى القصر وسأل اليمامة عنه وأشار يقول

يقول الزير أبو ليلى المهلهل بدمع قد جرى منه بداد

يمامه رحت أنا الصيد قاصد وقومى واخوتى ثم الجناد

صدنا الطير ووحوش كثيرة　　وردينا رجعنا للبلاد
طالبت لمهر أخى فما لقيته　　شرد عقلى وعنى راح عاد
فأين المهر قواطر يا يمامة　　عدم صبرى وفارقنى رشادى
أمات المهر أم أحد أخذه　　من الاوباش والناس الاعادى

فلما سمعت اليمامة شعر عمها أجابته تقول

تقول يمامة الا يا عم اسمع　　الا يا عم جاءنا الأعادى
أتى جساس أخذه غصب عنى　　أنا حرمه ومالى من جلاد
فقلت تأخذه ياخال تندم　　يجيكم غدا على خيل جياد
فقال غدا ألاقيكم بعزمى　　على شهره وأوريكم طرادى
له ياعم ثلاث أيام غائب　　وقد زادت غمومى بازدياده
فقم ياعم شد الخيل واركب　　بعسكر كأنه ردف الجراد
اضرب فى بنى مرة بسيفك　　واحصد جمعتهم مثل الحصاد
ياعم عدية اليوم يومك　　ياعزى وفخرى واعتمادى
هاتوا رأس جساس سريعا　　وتجبر خاطرى واشفى فؤادى

(قال الراوى) فلما فرغت من شعرها فأجابها الزير يقول

يقول الزير قهار الأعادى　　أنا السبع الجسور بكل وادى
غدا لابد أجد فى انتقامى　　واحصد جمعهم يوم الجلاد
وآخذ ثأرنا من آل بكر　　واطفى النار من الفؤاد
وأخذ مهرنا المدعو بعندم　　ويظهر ذكرنا بين العباد
فمن يذهب بخبر آل مرة　　أتاكم اليوم دباح الاعادى
أتاكم مهلهل مع آل ثعلب　　أسود الحرب فى يوم الطراد
ألا ياآل مرة سوف أشفى　　بقتل جميع ساداتكم فؤادى
ولا يخافكم ياآل مرة　　بقتل كليب صرتم لى أعادى

فلما انتهى جلس فى الديوان وجمع اخوته والامراء وأخبرهم بواقعة الحال وقال لهم ماهو رأيكم فى استجلاب الحصان فقالوا الرأى رأيك فى الصباح تركبوا فى ثلاثة آلاف فارس وتكمنوا فى وادى هجين وأتاكم فى وادى المعلا وكان هذا المكان يبعد عن بنى مرة مسافة ميل ثم قال لأخيه عدية وأنت قم الآن وغير زيك حتى لاتعود تعرف واذهب الى بنى مرة بصفة سايس واحتال على جلب الحصان والحقا الى ذلك المكان فانهم اذا لحقونا الى هنا أبيدهم أجمعين بعون رب العباد وأخذ ثأرنا من جساس

اللعين فاستصوب الجميع رأيه ثم أوعديه قام من ساعته والبس ثيابا ممزقة وتعمم بعمامة والتحف بحزام عتيق وغير زيه وتنكر وسار يقطع البر الاقفر الى أن دخل حى بنى مرة فقصد جساس عند الظلام فركض بين أطناب الخيام ولما كان الصباح جلس الامير جساس واجتمعت أكابر الناس ثم وضعوا موائد الطعام وأخذوا يتذاكرون بالسلام فبينما كذلك حانت من جساس التفاته فرأى عدية وهو على تلك الصفات فشفق عليه وأمر بعض غلمانه يطعم ذلك الفقير ويسأله عن حاجته ومن أى بلاد فاخذ له الغلام صحن الطعام وسأله عن بلاده فقال من الصعيد وصنعتى سايس خيول أماجد فقد جارعنا الزمان فاتيت من الاوطان أقاصد أهل الاحسان الى أن وصلت الى هذا المكان فطيب الغلام خاطره واعلم مولاه بحال جساس اذا كان من الصعيد فهو على سياسة الخيول من العبيد فدعوه يسوس لنا عندم المهر الجديد وأنا أعطيه كلما يريد وان وجدته من الماهرين سلمته جميع خيلى وجعلته رئيس اصطبلى فلما بلغنا الغلام ذلك الكلام دعا له جساس بطول العمر ثم تقدم الى المهر فكك قيوده وقبله بين عينيه وقال يومك أيها الجواد فقد بلغت المراد وكان المهر لما رأى صاحبه مال اليه وقبله فتعجب جساس وباقى الناس لأن الجواد كان يألف أحد من العبيد الموكلين عليه وكل من قاربه ضربه بيده ورجليه فقال جساس وحق رب الانام هذا السايس يستحق الاكرام ياعدية فانه لما تمكن من المهر وركب ظهره ثم لكزه برجليه فسار به كهبوب الرياح وجد فى قطع البطاح كطير بلا جناح فرأى جساس الحال تغيرت منه الاحوال وعلم أنها حيلة تمت عليه فلطم خديه وصاح على الابطال والفرسان وقال دونكم هذا الشيطان فقد احتال علينا بالمقال وخدعنا بالمكر والاحتيال حتى بلغ منا الارب فعند ذلك ركب الفرسان ظهور الخيل واستقبلوا بالسيوف والنصول واتبعوه فى تلك السهول وهم يصيحا الى أن وصلوا ذلك الوادى الغدير فوجد أخاه سالم الزير وهو مع جماعة من الابطال المغاوير فاعلمه بواقعة الحال وقال له خذ حذرك الآن فقد أتتك الفرسان من كل جانب ومكان فتبسم المهلهل وقال سوف ترى ماذا أفعل ثم نزل عن ظهر حصانه وأعطاه لأخيه وأخذ المهر الادهم ووضع عليه عدة الحرب ثم ركب عليه وتعلوا اذا بالفرسان قد أحاطته من كل مكان فصاح عليهم وحمل بقلب أقوى من الجبل ومال عليهم بالحسام كانه ليث الآجام فطير الرؤوس عن الاجسام وفتك فيهم فتك الذئب بالاغنام وفى أقل من ساعة أدركته باقى الجماعة الذين كانوا كامنين فى وادى الهجين كالشواهين من الشمال واليمين والخبر قد وصل الى جساس فاخذه القلق والوسواس فركب فى باقى الابطال ومن يعتمد عليهم من الرجال وقصد ذلك المكان وقاتل قتال الشجعان والرجال بالرجال وتزلزلت الارض من هول القتال وكانت وقعة عظيمة هزم فيها جساس أقبح هزيمة وغنم المهلهل غنيمة جسيمة ثم رجع الى الديار بالعز والانتصار فالتقته النساء بالدفوف.

والمزاهر والدفوف الى القصر منشرح الصدر فشكرته بنات أخيه على مافعل فقد أخذت الثأر وطفيت من القلوب لهيب النار فانه يحفظك لنا ويبقيك وينصرك على أعاديك فشكرهن على ذلك الكلام ثم جلس للطعام وشرب المدام ثم دخلت عليه أمه فقبلته بين عينيه وهنأته بذلك الانتصار وطلبت منه أن يرفع عن بنى مرة السيف فاستقبلها بالوقار والاعتبار وقال لها والله انى لاأصالحهم ياأماه حتى يعود أخى الى قيد الحياة ثم تذكر تلك الواقعة وماجرى له فى ذلك اليوم فأنشد يقول

يقول الزير أبو ليلى المهلهل	وقلب الزير قاسى ما يلينا
وان لان الحديد ما لان قلبى	وقلبى من حديد القاسينا
تريدى يا أميمه أن أصالح	وما تدرى بما فعلوه فينا
فسبع سنين قد مرت على	بيت الليل مهموما حزينا
أبيت الليل أنعى فى كليب	أقول لعله يأتى الينا
كان كليب فى رؤوس العلا	تغشاه ذئاب جائعينا
أتتنى بناته تبكى وتنعى	تقول اليوم صرنا حايرينا
لقد غابت عيون أخيك عنا	وخلانا يتامى قاصرينا
وأنت اليوم ياعمى مكانه	وليس لنا غيرك معينا
سللت السيف فى وجه البسامة	وقلت لها أمام الحاضرينا
فقولى يا يامه ما تقول	أنا عمك حماة الخائفينا
مثل السبع أسطوا على الاعادى	أفنيهم شمالا مع يمينا
خدوسى يا يمامة فوق رأسى	على شاشا اذا كنا نسينا
فان دارت رجالنا رحاهم	طحناهم وكنا الطاحنينا
أقاتلهم على ظهر المشهر	أبو حجلان مطلوق اليمينا
فشدى يا يمامة المهر شدى	وأكسى ظهره السرج المتينا
وهاتى حربتى رطلين وازود	وحطيها على عود ستينا
ونادوا اخوتى يأتوا سريعا	التقى جيش بكر أجمعينا
فنادتهم أتوا كاسود غاب	وقالوا لقد أتينا ياأخينا

فلما فرغ من شعره شكروه الجميع على ما قاله وباتوا تلك الليلة فى بسط وانشراح وفى الصباح أمر الزير قومه بالاستعداد للحرب والطراد فركب حصانه وتبعته الفرسان

وقصدوا بنى مرة بقلوب قوية وهمم علية فالتقاهم الجساس مع اخوته وأشتبك بينهم القتال بأسوأ حال وكان الزير يفعل فيهم كالمنجنيق واستمروا على تلك الحالة سنتين حتى فقد من بنى مرة فى هذا الحرب الأخير نحو إثنى عشر الف أمير عدا السادات والعساكر وكان الزير يأمر قومه بقطع الرؤوس ووضعها فى المخازن أقسم بالله أنه سيملى البيوت من جماجمهم وباقى الاماكن فلما طال الحال واشتد على بنى بكر الاهوال اجتمعت أكابر الناس مع جساس وأخذوا يتفاوضون كيف يتخلصون لأن الزير كان لايقبل منهم فدى وجمع وسائطهم فقال سلطان لأخيه جساس أعلم يا أخى أن الزير كل صباح يمر على قبر أخيه كليب فيحيه ويقول له لقد قتلت فى تارك كذا من الفرسان فهل اكتفيت أم لا فلا يجيبه أحد فالرأى أن تضعوا رجلا داخل القبة بحيث لايراه أحد فاذا مر الزير على القبر وسأل أخاه ذلك السؤال يجيبه الرجل بسيف خفيف لقد أكتفيت يا أخى فاغمد سيفك من هذا اليوم عن قتال القوم وإياك وأذية البشر فان ذلك مما يجلب الضرر فاذا سمع هذا المقال فربما ينطلى عليه المحال فيكف عن الحرب وتستريح من القيل والقال فاستصوب جساس وباقى الاعيان رأى سلطان وكان فى القبيلة رجل فقير الحال عديم الأشغال فاستدعاه جساس اليه وقص ذلك الكلام عليه وقال إذا بلغنا الارب جبتنا إلى هذا الطلب أعطيك ماتريد من النقود والعبيد فقال الأجرة مليحة لكن الطريق خرة قبيحة فأخذ جساس يحمسه بالكلام ويشجعه بهذا الشعر والنظام

على ما قال جساس بن مرة — ألا يا فارغ الأشغال اسمع
فلى عندك أنا حاجة صغيره — فتقضيها سريعا ثم ترجع
فان الزير أفنانا جميعا — وفرق جمعنا فى كل موضع
ولا يقبل رجاء ولا عطايا — وعن أفعاله ما كان يرجع
بنار كليب صبرنا شرايد — وأعد فى الوغى كل ليث أروع
يمر بقربه فى كل صحيح — ويزعق صوت للأكباد يصدع
يقول له نعمت أخى صباحا — أيكفى ما قتلت أريد أرجع
فاذهب واختبى فى القبر حالا — إذا صاح المهلهل أنت تسمع
اذا سألك أحارب أم أصالح — أجبه أنت يا محفوظ أرجع
رضيت أنا منهم ثلث تارى — وأنت بقتلهم لا عدت تطمع
عساه يظن أنك أنت أخوه — وعن قتالنا يرحل ويرجع

فلما فرغ جساس من هذا الكلام قال له عديم الاشغال على معين والرأس ولما أمسى المساء حفروا سردابا أوصلوه الى القبر وأدخلوا ذلك الرجل فيه ولما كان الصباح ركب الزير الحصان وتبعته الفرسان ومر على قبر أخيه حسب عادته ونادى بصوت عالى نعمت صباحا ياأخى كليب فقد قتلت فى ثأرك أمس خمسة آلاف نفس أيكفى ماقتلت منهم أم أرجع فافنيهم عن بكرة أبيهم فأجابه من القبر صوت خفيف وأنت نعمت صباحا ياأخى الحنون ياساقى الضدكاس المنون كف الحرب فقد اكتفيت وشفيت وان قاتلتهم بعد اليوم تكون قد تعديت وبغيت لتريدنى ضررا وغما وكدرا فان نفسى قد بلغت مداها ونالت مشتهاها - فكثر الله خيراتك وزاد فى الدنيا مسراتك

(قال الراوى) فلما سمع الزير هذا الكلام زالت أفراحه زاد انشراحه وقال سبحان الله الرحمن الرحيم محيى العظام وهى رميم أنت ياأخى بخير ونحن بعدك نقاسى الضنك ثم نزل عن الحصان ودخل القبر وهو فرحان وقال اذا كنت بخير يا أبا اليمامة فما هى السكتة بعد العز فقم الى عند بناتك فانهن فى حزن وكدر ثم جذبه من لحيته وأخرجه من السرداب وقال له أصدقنى الخطاب من أنت ومن تكون قبل أن تشرب كاس المنون فأعلمه الخبر وأوقفه وسل السيف ليقتله وقد أعاقه فعله فصاح أنا فى جيرة كليب أخيك فلا كان من يعاديك فقد غرنى جهلى لقلة عقلى حتى جرى ماجرى فلما سمع الزير كلامه أبدى ابتسامة فصفح عنه وأعطاه جواد وألف دينار من الذهب فدعا له بطول العمر وخرج من القبر وهو يقول والله أن الأمير كليب يحمى اليوم الخائف من مماته كما كان يحميه فى حياته ثم رقد الزير الى القبيلة وهو يتعجب من تلك الحيلة وفى الغد ركب فى فرقة من الابطال وقصد بنو مرة واشتبك بينهم القتال ومازالوا فى حرب وصدام مدة عشرة أيام نكسرت بنو مرة أشد انكسار وقتل الزير مقتلة عظيمة المقدار وكان يأتى برؤوس جماعة فيضعها على قبر كليب مقدار ساعة ثم يدفنها تحت الثرى وكان كلما أقبل من الحرب عند المساء تلقيه اليمامة مع باقى اخوتها فتقول له ياسيد الناس هل أتيت برأس جساس حتى تخلع السودا ويطلب الفؤاد فيقول لها كونى براحة فسوف تنالين الأرب

هذا ماكان المهلهل وأما جساس فلما ضاقت به الحيل اجتمع مع أهله وعشيرته وعقدوا بينهم ديوانا فاستقر رأيهم على أن يذهبوا الى بلاد الحبش والسودان ويلتجؤا بالملك الربيعى عن

أخت تبع حسان فركب جساس فى ثانى الايام مع أخوبه وأكابر مملكته وعشيرته وأخذ معه أخته الجليلة لتشفع فيهم عند غزيم الملك وبقى أخوه جاويش فى الحى وكان الأمير يصحب الزير من أيام صباه فبعد رحيلهم حضر جاويش عنده وأخبره بما جرى وكان مسير أخوته الى ملك الحبش والسودان فاعطاه الزير الامان وقال له انى ماعدت أحاربكم من الآن حتى تحضر اخوتك الى الاوطان وتوقف الزير من ذلك اليوم عن محاربة القوم وصار يصرف أوقاته بالصيد والقنص هذا ماكان من المهلهل وأما ما كان من جساس فانه قد قطع القفار حتى وصل الى بلاد الحبشة وتلك الديار ودخل على الملك الرعينى وقد أعلمه بحالهم الحاضرة وطلب النجدة والمساعدة على حرب الزير وذكر له أيضا بان كليب قتل خاله تبع حسان وبقتله قام أخوه الزير يطلب الثار حتى كاد يفنيهم فلما سمع الرعينى هذا الكلام قال فقد بلغت اليوم منكم المرام فلابد من زيحكم بحد الحسام لانكم من أهل لئام قتلتم خالى وأتيتم الآن تستجيرون بى ثم أمر بالقبض عليهم وكانت الجليلة واقفة فى باب الصيوان لابسة أفخر ملبوس كانها العروس فلما رأت ماجرى على قومها خافت من العواقب فسقت المواكب وتمثلت أمام الرعينى فقبلت أياديه ودعت له بطول العمر فلما رآها من فرط جمالها ووقع فى شرك هواها فقال لها من تكونين يامهجة الفؤاد فقالت أنا أخت القوم الذين قبضت عليهم بدون ذنب وأشارت تقول

مقالات الجليلة بنت مرة	أيا بو فهد اصحى دير بالك
وانظر ياسياج البيض فينا	وانظر للذين وقفوا قبالك
أنا أتيك ياملك البوادى	أيامن بالملا شاعن فعالك
ملوك الارض كنا يامسمى	فانت نظيرنا نحن مثالك
فما قد جرى كله مقدر	أيا فخر الورى من قتل خالك
قتل خالك كليب فى جسامه	وقام أخى الذى واقف قبالك
قتل لكليب عن خالك بسيفه	كرامة خاطرك واصغى لبالك
ظهر لكليب أخ اسمه مهلهل	حرمنا النوم زاد الله مالك
قتل منا أماجيد كثيرة	أتينا واقعين على ديالك
فهذا اليوم يومك يامسمى	فدق الطبل واركب برجالك
وسر معنا الى الزير المهلهل	فاقتله ودوسه فى نعالك
واحكم سائر العربان واملك	على أموالهم تبقى حلالك

ولا تشتق العدايا أمير فينا   أتينا لك وصرنا من عيالك
وأنت صميدع شهم كريم   جميع الخلق تفزع من خيالك

فلما فرغت الجليلة من نظامها وفهم الملك فحوى قصدها ومرامها ثارت فى رأسه الحمية وقال لها لقد فهمت كلامك ياصبية ثم أشار يقول وعمر السامعين يطول

قال الرعينى أبو فهد قال   ألا ياجليلة إسمعى المقال
وأنتم افهموا قولى ياملوك   أولاد مرة ترون الهم زال
أتيتوا تلتجوا فى الجميع   وقعتم على وقع العيال
من جور الزير ياأهل الكرم   دهاكم ضناكم رماكم بحال
فوا حياة رأسى ورحمة أبى   وخالق الأرض وراسى الجبال
لأركب عليهم بكل الفحول   وأجرد عساكر شبيه الرمالى
وأقتل عداكم بحد السيوف   وأدع أنا الزير بأسوأ حال
جليلة طيبى أنت وأبشرى   أنا فدا أخوك بحد النضال
أيا أخى غطاس انهض الآن   وأجمع الفوارس والأبطال
ونادى الجيش بأن يركبوا   ويتقلدوا السيوف الصقال
ودقوا الطبول وشدوا الخيول   ومشوا الفحول شبيه العدال
قدعنا نسير يزيل السعير   عن بنى مرة هذا النكال

فلما فرغ الرعينى من كلامه نهض أخيه غطاس والوزير وجمعوا الأبطال من عسكر السودان ونادى المنادى أن السفر يكون بعد ٣ أيام ولما تجهزت العساكر كان عددهم ستمائة الف بطل ففرح جساس ومن معه من الناس لما رأوا السهول قد امتلأت بالخيول وفى اليوم الثالث دقت الطبول وسارت العساكر كالبحور وفى أوائلهم الملك الرعينى وأكابر دولته وجساس وباقى عشيرته وما زالوا يقطعون البرارى والآكام حتى وصلوا إلى بلاد الشام فأرسل جساس يعلم قومه بقدوم هذا العسكر وأن لهم الأطعمة والزخر فلما سمعوا الخبر فرحوا فرحا عظيما وهيأوا لهم جميع مايحتاجونه من الطعام والمدام وخرجت الرجال والنساء للقاهم فلما وصلوا إلى الديار نزلوا فى المضارب والخيام وقد تباشر قوم جساس بالظفر وبلوغ الآمال .

كل ذلك يجرى والزير ليس عنده علم بشىء من هذا الأمور بل كان مواظبا على الشرب فبينما هو كذلك إذا دخل عليه أخوه عندى وقال له أنت جالس فى صفاك ولا تدرى الذى

حسالك وأشار يقول :

لقد قال الفتى المدعو عدايا	ودمع العين فوق الخد ساجم
أراك اليوم فى زهو ولهو	قلبه يا أخى إن كنت نايم
فقم أنظر إلى ماسوى يجرى	من الأعداء ياابن الاكارم
أتونا قوم مرة بالرعينى	ملك جبار بالاحكام ظالم
فقد ذهبوا اليه يا مهلهل	فجاء بست كرات عوالم
بهم من كل قرم ليث أروع	وهو من بينهم كالصقر حايم
تبدى الزير حالاً ثم قله	تخاف من العدو وأخوك سالم
أنا وحدى الافيهم بعزمى	أنا الدهاس فى يوم العظايم
وإنى سوف أقتلك بالرعينى	وأقطع رأسه والله عالم

(قال الراوى) فلما فرغ الزير من نظامه تعجب قومه من هذا المقال وشكروه على تلك الأفعال وأخذوا يستعدون للحرب والقتال وأما الزير فانه صبر إلى الليل فغير زيه وتنكر حتى لم يعرفه أحــــد من البشر وجعل نفسه من شعراء العرب الذين يقصدون الامراء وأرباب الرتب طمعا فى الفضة والذهب ثم ركب الحصان وتقلد بالحسام من تحت الثياب وأخذ معه بعض الغلمان وصار إلى قبيلة بنى مره ولم يعلم به انسان ولما اقترب من الحى نزل عن ظهر الجواد وسلمة للغلام وقصد المضارب والخيام حتى وصل إلى صيوان الزغبى فرآه جالس وحده فدخل وتمثل بين يديه فلما رآه الزغبى بذلك المنظر خاف فسأله عن مهنته فقال انى شاعر اقصد الأمراء فامدحهم وأنال منهم الانعام وقد سمعت أن ضيف بنى مره فأتيت من مدينه البصرة قاصد إلى أن تشرفت بطلعتك وتمثلت أمام حضرتك

(قال الراوى) فامر الملك الخازندار يعطيه مائة الف دينار فعندذلك حل الزير سيفه الابتر وضرب الرعينى على عاتقه خرج يلمع من علائقه فال عليه الطواشيه والخدم وبعد ذلك على الخيام كسبع الإجام فقتل الرجال ومدد الأبطال فوقع فى السودان الضجيج والعويل والنواح فخرجت الفرسان من المضارب وركبوا ظهور النجائب فتقلدوا بالسيوف وهجموا على بنى مرة ولم يعلموا بسبب ذلك الويل وشدة الظلام غير أنهم ظنوا أن بنو مرة قد خدعوهم حتى أتوا معهم إلى بلادهم وقتلوا ملكهم وغدروهم فلما رأى جساس ماجل بقومه من السودان استعظم هذا الشأن فركب جواده وتبعته أجواده واضطر أن يدافع عن نفسه ويحامى عن أبناء جنسه فقاتل تلك الليلة حتى استقبل وفعلت رجاله مثل مافعل

وكانت ليلة مهولة وحادثة غير مأمولة كثر فيها القتل والجراح إلى وقت الصباح وكان المهلهل لما لمغ الأمل بذلك العمل أرسل عبده فى الحال يطلب الابطال لحضروا عند طلوع النهار وأحاطوا بالأعادي يمينا ويسار وأحكموا فيهم ضرب السيف واستمر بين القوم الحرب والصدام مدة ثلاثة أيام حتى أبلاهم الزير بالويل والدمار وقتل منهم كل فارس كرار

وكان من جملة المقتولين الامير غطاس قائد جيش السودان فلما رأت ماحل لها من الهوان ولت الادبار وكذلك انهزم جساس ومن معه ورجع الزير مع قومه المتغلبين غانمين ظافرين فدخل القصر بالعز والنصر وصحبته أكابر القواد الذين عليهم الاعتماد وهم يثنون على المهلهل ويقولون بسيفك نلنا المراد وقهرنا الأعادى والحساد فلا زالت أيامك فى سعود وعدوك مكمود ثم أنهم أكلوا الطعام وشربوا وباتوا تلك الليلة فى سرور وأفراح على ذلك الانتصار وأما جساس فانه بات فى قلق ووسواس وندم على مافعل ولاسيما لما بلغته الاخبار بأن ذلك الانكسار وكان بحيلة المهلهل الاسد الكرار فزاد همه وعظم حزنه وغمه فكاتب قبائل العرب يطلب منها المساعدة على قتال بنى تغلب فانضمت اليه عدة قبائل برسم المساعدة وصاروا جميعهم يدا واحدة وكذلك انضم مع الزير جملة قبائل مشاهير حتى لم يبق قبيلة من بلاد العرب الا وانضمت مع بنى بكر وتغلب

(قال الراوى) ومن غريب الاتفاق ان الاميرمهلهل خرج ذات يوم فى عشرة آلاف بطل ومعه الامير كشيف وكان من اشراف بنى تغلب وفرسانها ليجس أخبار بنى بكر فمر بقبيلة من قبائل العرب يقال لها بنو تميم وهم فرع من تغلب وكانت هذه القبيلة ذات خيرات كثيرة فاجتمع مهلهل بفرسانها وسيدها الاميرعمر وقال لهم أركبوا معنايا بنو تميم لقتال بنو بكر فابوا وقالوا عن فرد لسان إنا لانحارب من لايحاربنا من العربان فقال مهلهل أما كل من فى شملكم الحرب لحد الان فقالوا لا يافارس الميدان فقال وحق الاله الخالق ماكنت أظن إلا أنها شملت كل من فى المغارب والمشارق ومادام الامر كذلك ياوجوه العرب تنحوا عن منازلكم خوفا من حلول العطب واقصدوا غير هذه الديار لان مرادنا الهجوم عليهم تحت ستور الاعتكار فان حاربناهم لاتأمنوا على أنفسكم من شرهم واذاهم لانكم فرع من قبيلة بنى تغلب فينتقموا منكم لهذا السبب فقالوا ما علينا من بأس فانهم يحاربون من يتفرض لهم من الناس فاغتاظ المهلهل من هذا الكلام وتركهم وسار على الاثر بمن معه من العسكر وجد فى قطع البر الاقفر فالتقى بقوم من بنى بكر فكسبهم تحت الظلام وأبلاهم بالذل والويل فسلب أموالهم وقتل رجالهم وأخذ رؤس ساداتهم العظام ورجع فى الظلام وطرح الرؤوس بين خيام القوم المنعزلين من بنى تميم المذكورين

وكانوا راقدين ثم تركهم وارتحل وسار على عجل فلما استيقظت بنو تميم من المنام ورأت الرؤوس بين الخيام أيقنوا أنها مكيدة من المهلهل وعلموا أن لابد أن العـــدو يتهمهم بذلك فنهضوا وارتحلوا من اطلالهم بمواشيهم وأموالهم وانضموا الى قبيلة بنى تغلب

ولما عظم الأمر على جساس وضاقت منه الانفاس قصد العابد نعمان الذى تقدم ذكره فوقع عليه وطلب منه أن يسير بالعجل الى المهلهل ويطلب منه كيف الحرب والطعان مدة من الزمان لاجل أخذ الراحه من هول تلك الحرب التى أهلكت الرجال ورملت النساء ويتمت الاطفال فرق لحاله وسار الى المهلهل فى تلك الساعة وطلب منه أن يكف القتال ولو برهة قصيرة ومدة يسير لراحة القبيلتين فاجابه الى ذلك المرام لانه كان يحبه دون باقى الانام وأمر بتوقيف الحرب فى ذلك اليوم واشتغل المهلهل فى تلك الايام بالملاهى وشرب المدام وكان جساس يترقب على المهلهل الفرص ليقتله ويزيل ما بقلبه من الغصص فبلغه فى بعض الايام بأن الزير طريح الفراش فى الخيام من كثرة شرب المدام وأن اخوته خرجوا للصيد ورجوعهم يكون بعد ثلاثة أيام فجمع اخوته اليه وأعلمهم بذلك الخبر فاتفق رأيهم أنه بعد غروب الشمس يركب أخوهم سلطان فى جماعة من الفوارس ويكبس الزير على حين غفلة ولما كان الليل ركب السلطان فى ثلاثة آلاف فارس وقدحى المهلهل ولما صار هناك هجم عليه وهو راقد فى الخيمة سكران فاحاطت به الفرسان وقبضوا عليه وأوثقوه كتافا ثم نزلوا عليه بالسيوف الى أن تخنوه الجراح وأتلفوه حتى صار عبرة لمن أعتبر وكان دمه يسيل كالمطر فزادت أفراحهم وزالت أتراحهم ثم وضعوه فى جلد جاموس وأخذوه الى عند أخته ضباع وقالوا لها قد أتيناك بقاتل ولدك نخذيه وأشفى منه غليل كيدك فيه لاننا قد ارتحنا من أذاه فما هان عليها ذلك الأمر ولكنها أظهرت لهم السرور والفرح وقالت أن جزاء هذا الغدار الحرق بالنار ثم تركوها وساروا وأما هى فقد احتارت فى أمرها وزادت حزنها لانها وان كان قتل ولدها فقد شيد للقبيلة ذكر الايبور مدى الدهر فبينما هى فى بحر الافكار واذا قد فاق من غشوته وصحى من سكرته وقال على آخر رمق سبحان الحى الدائم ثم صاح يطلب عبده وهو يظن أنه فى ذلك المكان فقالت له أخته ضباع لقد انتقموا منك أعداك فاصحى فقد ذقت الموت والهلاك فلما رأى ذاته وهو على تلك الحال أنشد وقال

يقول الزير أبو ليلى المهلهل ونار الحزن توقد فى حشاه
فكان كليب ملك البرايا أتى جساس غدره بالفلاه
جلست مكانه آخذ لثاره وكنت أنعيه صباح مع مساء

فقال الشيخ كف الحرب عاجل ... فلا تنقل سيف ولا قناة
جلست بخيمى والدان جلى ... وعندى العبد ماعنده سواه
وقوى كلهم للصيد راحوا ... فعرفوا القوه مع باقى العداه
أتوا بى والمقدار كان كائن ... وحبلى كل مما أن تراه
أتوا بى لعندك يا أخت حتى ... تنالى الثأر ياغاية مناه
كلينى ياضباع أو اقتلينى ... أنا أخوك اذا احتبت القناه
فانى تشبهى اللبوات حقا ... وانى مشبه سبع الفلاه
فالقينى بصندوق مزفت ... وأرمينى ببحر فى مياه
أيا أختى أصغى أنت ناصلك ... ربيعة أبينا مافيه عباه

فلما فرغ الزير من كلامه غاب عن الوجود وكانت ضباع لما سمعت كلام أخيها صار الضى ظلاما فى عينيها ثم جاءت بصندوق كبير فوضعت فيه سالم الزير وقفلته وطلته بالزفت وكان عندها عبدان فأمرتهما أن يحملا الصندوق ويلقياه فى البحر فحملاه وسارت هى معهما تحت جنح الظلام الى أن وصلا به الى البحر فطراحاه فيه ثم رجعت ضباع وهى تبكى على أخيها وتقول ياليتنى كنت فداك فقد أحرقت قلبى بفراقك ياجمل المحامل فخر الأبطال ثم أنشدت ترثيه بهذه الأبيات

تقول ضباع من قلب حزين ... أيا عينى فزيدى فى بكاها
كوانى البين فى أول زمانى ... رمانى الدهر فى أعظم بلاها
أياعينى فزيدى فى بكاك ... على محزونة فقدت أخاها
لقد كنا ملوكا للبرايا ... ومن أعلى ملوك الأرض جاها
كليب هو الذى جساس قتله ... طعنه ضربة برمحه فى قفاها
ترك دمه على الأرض فاير ... بحربة مسممة بالسم سقاها
وقام الزير كى يأخذ بثأره ... فقاتل آل مرة ثم هفاها
لقد قتله سلطانا بغدر ... اتناشر الف حاله قاها
وقال خذوه الى أخته الحزينه ... لاخذ ثأر ولدها من أخاها
فحطيته بصندوق مقفل ... ومن بنى مرة مايعلم حداها
وقلت له روح ياجمل المحامل ... أيا عامود بيتى قد أحناها
وقلت له افرح ياجمل المحامل ... أيا مشعال بيتى قد طفاها
وقلت مثنة يافخر قومك ... أيا حطاط للجائع عشاها

وقد أخذه الموج عاجل ... وموج البحر يلطم فى مداها
فقلت له روح يا سبع الغاب ... بيوم الحروب ما تعطى قفاها
وهــذا صار فى عصر الجليلة ... إله العرش يعدمها صباها
فسر يا ريح وأخبر اليمامة ... اتصبح ثم تمسى فى بـكاها

ثم رجعت إلى الحى وصبرت حتى رجعت أختها وبنى عمها من الصيد فأعلمتهم بتلك القضية وما حل بالزير وقالت والله أنكم بعد أخوكم المهلهل تتعبون مع جساس فتأسفوا جميعهم عليه وبكوا من فؤاد موجوع وضباع كتمت مافعلت بأخيها وأشاعت الخبر أنها حرقته بالنار وأخذت منه بالثار ولما شاع الخبر وانتشر بين الناس فرحت بنى مره وجساس وأما أخوه الزير فانهم شقوا ثيابهم من فرط أحزانهم وأخذوا يعددون ويندبوه بالأشعة ويذكرون ماله من محاسن الآثار وكان أكثرهما حزنا أخوه فأشار وقال :

أيا ويلى فدمع العين هلا ... على الخدين من دمعى صبابه
وعلى فقد الفتى المدعو المهلهل ... نور العين تدرى ما أصابه
غدونا كلنا للصيد عنه ... وهو جالس كأنه سبع غابة
وعند رجوعنا لم نلتقه ... فأحرق وسط مهجتنا غاية
فن يوم كليب أخيــه ولى ... فلا يسرح ويلقى صحابه
وما فارق حمله طول عمره ... ولا تعرف له مدة غيابه
مهلهل راح من أولاد مرة ... وسهم البين زد لنا غرابه
وبعده كيف عاد يصير فينـا ... لأن جساس ماتحمـل عذابه
ترى بعـده سيسحقنا جميعـا ... يشتتنا ولا يخشى عتابه
ألا يا إخوتى ماذا نسوى ... وأين نروح من هذه العصابة
تعالى أخى أبا زراعين قل ... فقلبى والحشا يا أمير دابة
أيا طراق يا ناصر تعالوا ... أيا عزوز يا منية شبابه
ويا جنبل وباقى الأمارة ... تعالوا واسمعوا منى الخطابه
تقول الزير ولى وراح منـا ... قتيلا واندفن تحت الترابه
وتحسب أننا لسنا نراه ... فن هذه النهار إلى الغيابه
وأعدنا بنى هلال ومرة ... يخلوا عارنا تغدى خرابه
فكيف الرأى يا أهـل المروءة ... فانتم عزنا و القرابه نحن

نقص ياقوم الزير منا واحد ... أنحسب مات وإلا إيش صابه
ونحن أخوته خمسون بعده ... نبيد الخصم فى يوم الحربه
وأنتم مثلنا ياقوم وأرحل ... ولا فيكم ردى بالناس عابه
فاذا الرأى ردوا إلى جوابى ... عسى منكم بطل أسمع جوابه

فلما فرغ عدى من هذا الشعر والنظام بكى الحاضرون ثم أنهم ساروا إلى منازلهم وأخفوا أحزانهم فى قلوبهم هذا ماكان من هؤلاء وأما ماكان من بنى مره فانهم لما بلغهم أن ضباع أحرقت أخاها فى النار فرحوا واستبشروا وكان جساس قد مضى إلى الصيد والقنص ذلك النهار ولم يعلم بما تجدد من الأخبار فلما رجع إلى الديار رأى النساء والبنات يتناشدان الاشعار والحى فى حفظ وأفراح فسأل عن السبب وقد أخذه العجب فأعلمه أخوه سلطان بما جرى وكان وأنشد يقول وعمر السامعين يطول

قال سلطان بن مرة فى بيوت ... يا أخى جساس اسمع لى وطيب
زال عنا الشر يافخر الملا ... وحل لينا الخير عن قريب
يا أخى فى عينك أجريت بدع ... فى مهلهل ابن عمك ها المعيب
كلهم للصيد راحو يا أمير ... والعرب كل بعيد مع قريب
والمهلهل ناصب الخيمة بعيد ... فى وسط بستان يخصه يا حبيب
وحده يسكر بليله والنهار ... رحت أنا اليه من بعد المغيب
فى ثلاثة آلاف فارس غانمين ... كل فارس مثل سبع ومثل ديب
وهجمت عليه حالا بالعجل ... ووقعنا عليه بضرب عجيب
ضربته حتى انقطع منه النفس ... وانطرح بلا مسعف لاحبيب
ثم أخذته إلى أخته ضباع ... لتأخذ تار ولدها الحبيب
أشعلت ناراً لتحرقه بها ... والقته على جمرة نار اللهيب
هذا الذى أجريت يدك يا أمير ... ياحماة البيض فى يوم النكيب

(قال الراوى) فلما انتهى سلطان من كلامه وشكره جساس على اهتمامه وقال بارك الله فيك فان فعلك سيبقى مدى الايام ثم ساروا إلى الحى ولما وصلوا إلى الصيوان جلس جساس فى الديوان وحوله الفرسان ثم أمر بدق الطبول ونفخ الزمور وعمل وليمة عظيمة ورقصت النساء والبنات ودارت بينهم الافراح والمسرات وكان عندهم ذلك النهار من أعظم الاعياد (قال الراوى) وكان بلغ بنو قيس حقيقة الخبر وأن المهلهل مات واندفن أيقنوا بالموت الاحمر فزادت

بليتهم وعظمت مصيبتهم فمنهم من ارتحلوا من الديار وقصدوا السهول وتشتتوا فى البرارى والقفار ومنهم من قصدوا الامير جساس وطلبوا منه الأمان دون باقى الناس فاعطاهم الأمان ولم يبقى عند أخوه الزير سوى شرذمة يسيرة فقصدهم جساس بالابطال ودار بهم من اليمين والشمال فسلموا أمرهم اليه وقد نهب أموالهم وساق جمالهم ثم شرط عليهم أن لا يوقدا نار فى النها ولا فى الليل ولا يركبو ظهور الخيل بل يتربصوا مكانهم فى الخيام فاجابوه الى ذلك خوفا من الاندثار بعد هذا رجع الديار بالفرح والاستبشار وصار فى مقام عظيم وحكم لسبعة أقاليم وأما أخوه المهلهل فانهم رحلوا بعد ذلك من اطلالهم ونزلوا فى واد الشعاب وهم فى بكا وانتحاب وصبر وعلى حكم رب الارباب هذا ماجرى لهؤلاء من العبر وأما الزير الاسد القسور فانه لما القته أخوته فى البحر كما سبق نقذفته الامواج الى أن ساقته المقادير الى مدينة بيروت وكان اسمها الخيرية وملكها يدعى حكمون بن عذاور كان من أجل الملوك قدرا واتفق بالامر المقدر أن ثمانية من الصيادين بينما يصطادون السمك نظروا الى ذلك الصندوق تتلاطم به الامواج فقال أحدهم لرفيقه أنظر يا صموائيل قال هذا صندوق قد ساقه الينا اله اسرائيل ثم أنهم قصدوه فى الحال وسحبوه الى الشاطىء بالحبال بعد تعب ما عليه من مزيد فقال رئيس الشختور ليلقى الاعوان تعالى قسمه علينا قبل أن نفتحه فيأخذ كل واحد حقه على قدر مايستحقه فأجابه بعض الرجال ماهو مرادك بهذا المقال فقال أن لى النصف ولكم النصف لانى صاحب الشختور فقال وحق حمار العزيز ما تنال منه شيء ثم وقع بينهم الخصام وتشاتموا بالكلام فضرب أحدهم الرئيس بسكين فقتله طمعا بالمال حتى قتل منهم عدة رجال ولم يسلم سوى رجل واحد واتفق الامر المقدر أن حكمون كان قد خرج فى تلك الساعة مع أكابر دولته للصيد والقنص فصادف مروره من ذلك المكان فوجد الصندوق وذلك الرجل والقتلى مطروحة على الارض فوقف وسأل الصياد عن السبب فاعلمه بما حصل فامر بحمله الى السرايا وارتد راجعا مع باقى حميته فامر بفتحه ففتحوه واذا رجل طويل القامة عريض الهامة واسع المنكبين كبير القدمين مسخن بالجراح من ضرب السيوف والرماح فقال لحواشيه ماذا وجدتم فيه قالوا يا ملك الزمان فيه انسان كانه من عفاريت سليمان له عيون كعيون السباع فلما نظره الملك اعتراه الخوف وقال لاتباعه كم له من الزمن فى هذا الصندوق وكان عند الملك حكمون طبيب اسمه شمعون فتقدم الى الزير وجس زلعومه وعروق الروح فوجد

يختلج فى أعضاه فقال للملك أن الرجل حى فقال هل تقدر تشفيه وأنا أعطيك العطاء قال نعم يامولاى ثم نهض على الاقدام وقال بسم الله العلى العظيم ثم أخذ اسفنجه وبلها بالماء والحار ومسح الجروح ووضع المراهم على القروح ثم جاء بعسل النحل وسقاه فى برهة قصيرة تحركت أعضاه وفتح عيناه فتأمل فى ذلك المحفل فرأى جماعة من الرجال صفر الوجوه طوال فاعتراه الانذهال وشكر الاله فقال له حكمون من أنت ومن تكون وما هو إسمك فقال اسمى موحد وأنا عبد الاله العظيم رب موسى وابراهيم فقال ماهى قصتك وسبب وضعك فى هذا الصندوق فقال كنا أربعة سياس عند أحـــد الملوك وكنت أنا المقدم عليهم فحبسونى وضربونى ذات يوم بقصد يقتلونى فغبت عن الوجود من ألم الضرب ولم أرى نفسى الا فى هذا المكان فقال الملك للحكيم خذه عندك وداوية ومتى شفى أحضرة عندى فامتثل الحكيم أمر الملك وعالجه مدة حتى ختمت جراحه وتحسنت أحواله فأتى به الى عند الملك ولما دخل عليه وتمثل بين يديه فقال له كيف أنت ياموحد فقال فاننى بحسب أنظارك الشريفة قد شفيت وحصلت على العافية فلله در هذا الحكيم لانه يستحق الانعام والاكرام فمهما أنعمت علية سأعطيك اياه فتبسم الملك من هذا الكلام وأنعم على الحكيم ثم التفت الى المهلهل وقال اعلمنى بحالك وكيفة أحوالك وأشار الملك يقول

قال أبو ستر حكمون البلاد	يا موحد استمع منى المقال
هات أحكى لى على ما صار بك	ما عملت وما نقلت من الفعال
حتى طعنت ياموحد الرماح	جرحوك كثير بسيوف صقال
يا موحد أنت اليوم رجل مليح	قوم فارس خيال ما أنت هزال
قولى على زى الجروح كيف صار	ماسبيهم قول ياسبع الرجال
ثم اعلمنى على قد ما أقول	يا زكى الاصل من عم وخال
فى بلادك أن أتوك الغانمين	يضربون الشور لك معهم مقال
بعد هـــذا قل لنا عن صنعتك	التى تأكل بها خبزك حلال

(قال الراوى) ولما فرغ حكمون من مقاله قال له الزير اعلم أيها الملك الجليل ان سألت عن حسبى ووظيفة أبى فانه كان من ملوك العرب غدر به الزمان حتى صار يسوس الخيل وأنا تبعت صنعته وهذه وظيفتى وأشار يقول وعمر السامعين يطول

قالوا أبو ليلى المهلهل فى قصد	ياملك حكمون ياحلو الخصال
فى بلادى سألت عن الجلوس	مجلسى فى الوسط فى أعلى الجبال

وان سالت الشور كل الشور لى ما أحد يقدر يخالف لى مقـال
وان وقع الحرب وضرب سيوف فالعذارى هللت فوق الجمـال
وان أتانى ضيف ياعز الضيوف وأشبع الضيف من لحم الجمال
والفتى المعروف منجد ياأمير ابن وائل ذاك يا أمير خالى
ان كنت تسأل ياملك عن صنعتى صنعتى حاصود بروس الرجال
أما أبى ذو قدر عظيم مال فيه الدهر ياحكمون مال
وبعد العز صار سايس الخيـول بالكرامة بعده عزه والدلال
وأنا قد صرت سايس بعده سائسا للخيـل ما مثلى مثال
والجروح هى من عض الجواد قد ضربنى برجله أربع نعال
قمت من كدرى ضربته فى حشاه راحت السكين تلعب للغزال
لاجل ذاك المهر سورها الفعال وارتميت بالذل مع كثر الخيال

فلما سمع حكمون كلامه غضب عليه وقال أنت كذاب لأنك أخبرتنى قبل الآن أن وفاتك ضربوك واليوم تقول الحصان ضربنى وتكذب على وتحتقرنى فلو كنت من الناس الاكارم ثم تقتله فشعب به أكابر دولته ووضعوه فى الحبس وبقى سنة كاملة وكان يسطو على المحابيس ويأكل طعامهم فضجت المحابيس وشكوه الى الملك فأمر باحضارة ولما تمثل أمامه قال له هل أنت ماهر فى سياسة الخيل قال نعم فقال لاتباعه سلموه خيلنا فان وجدنا له معرفة فى سياسة الخيل أكرمناه فسلموه الاصطبل فكان يسوس الخيل أحسن سياسة واستقام على ذلك مدة من الزمن وكان كثيرا ماينفرد بنفسه ويتذكر نفسه وما فيه من من الاهانة والاسر ويقول ياليت شعرى وما جرى عليهم من بعد وهكذا كان الزير الذى قهر الابطال فبعد أن كان صاحب العز والجاه وقع فى أسر بنو اسرائيل فكان الموت أهون عليه من هذا القبيل ولكنه سلم أمره الى الله وتأمل منه الخلاص وكان قد انتخب له فرسان أطايب الخيل وكانت طويلة العنق قصيرة الرأس أجود من القميرة فرس جساس واعتنى بتربيتها حتى حالت فأخذها شاطىء البحر وربطها هناك فخرج عليها من البحر حصان وشب عليها فراحت حامل وبعد عام ولدت له مهر فسماه الأخرج لخروج أبيه من البحر ثم عاد ذلك فى العام الثانى فولدت له مهرا آخر كأنه الا بجر حصان عنتر فسماه أبو حجلانى واعتنى بهما دون باقى الخيـل واستمر على تلك الحالة مدة أربع سنين وهو يطلب الفرج والمعونة من رب العالمين

واتفق فى تلك الايام أن برجيس الصليبى أحد ملوك الروم خرج مع أخيه فى مائتى الف عنان من بلاد كسرون أو تلك الحدود لمحاربة حكمون ملك اليهود وقد دلت الاخبار وعلماء الأعصار بان مدينة حكمون كانت نفس مدينة بيروت وكانت مزخرفة فلما اقترب اليها برجيس بالعساكر النصرانية نصب خيامه بالاشراقية وكتب كتابا الى حكمون يقول فيه من الملك برجيس بن الملك ميخائيل الى حكمون ملك اسرائيل أما بعد مخالفته الشروط ولم ترسل لنا الخروج المربوط وقد مضى خمسة أعوام وأنت تحاور بالكلام فاقتضى أن نقصدك بفرسان كأنها من مردة الجان فان قدمت لنا الخروج المطلوب منه عشر مالك توقفنا عن قتالك والا وحق من أوجد الانسان والمسيح الذى ولد بلا دنس خربنا ديارك وقلعنا آثارك وجعلنا الولايات اليهودية تابعة للاقاليم المسيحية فاسرع فى رد الجواب قبل حلول العذاب ثم أنه ختم الكلام بهذا الشعر والنظام

على ما قال برجيس الصليبى   كريم الوالدين أبا وجدا
شديد البأس مابين البرايا   على السادات دوما مستجدا
أذل القول فى سيفى ورمحى   أقد الشوس والهامات قدا
أيا قصد الحكمون اليهود   فاعلمه بما قد استجدا
وأخبره بفرسانى وجيشى   وما عولت أن أفنيه جدا
بهم من كل قرم ليث أروع   يصد الخيل فى الميدان صدا
بديد المال ارساله سريعا   وان لم يمتثل أمرى فيردا
وعشر الخيل مع العذارى   بنات قد زهوا وجها وقدا

ثم أن الملك برجيس أرسل الكتاب مع أحد قوادة وأمره أن يسير لعند حكمون فيعطيه الكتاب ويأتيه بالجواب فامتثل القائد أمر مولاه وجد فى قطع الفلاة إلى أن دخل البلد وقصد حكمون دون كل أحد فتمثل بين يديه وأعطاه الكتاب وانتظر الجواب وكان عند حكمون جماعة أخيار اليهود فلما قرأ الكتاب أحمرت عينيه وصاح على الرسول بصوت مثل الغول وهكذا يكتب لى برجيس فلولا العار لقطعت رأسك وأبعدت أنفاسك فاذهب وقل لمولاك يستعد للقتال فانى لا أهاب ولا أحسب حسابه فخرج الرسول من بين يديه وهو ينفض غبار الموت عن عينيه ثم صاح حكمون على أخيه صهيون ووزيره وقال لهما استعدا للقتال وفرقا السلاح على الابطال فقد أتتنا العساكر النصرانية عسكروا فى الاشراقية فأجابه إلى ما أمر وأمر بتجهيز العساكر وفرق عليه السلاح

ولما بلغ برجيس كلام حكمون صار كالمجنون وعول ثانى الايام على الحرب والصدام وعند الصباح استعد حكمون للقتال فخرج من البلد بالعساكر والعدد ومن حوله الكهنة والاحبار وهم يتلون التوراة وكان الملك برجيس قد ركب فى ذلك النهار وتقدم طالبا الاسوار لما التقى العسكران وتقابل الجمعان فى ساحة الميدان هجمت العساكر النصرانية على الابطال الاسرائيلية وتضاربوا بالسيوف الشرفية فاستظهر عسكر الملك برجيس على عساكر حكمون حتى أذاقوه كاسات المنون وهو يتلهف ويتأسف على ما حل بعسكره فى ذلك النهار ودخل البلد مع الجيش وأغلق الابواب وقصد قصره وهو خارج عن دائرة الصواب ونزل برجيس خارج المدينة وكان قد امتلك فى ذلك النهار ثلاث قلاع حصينة وكان المهلهل قد سمع صياح القوم فسأل عن الخبر فأعلموه بواقعة الحال فاشتاقت نفسه للقتال وأخذ قضيبه بيده وصعد إلى السور ليشاهد تلك الامور وكان ذلك المكان بقرب حكمون فنظر القوم وهم يتقاتلون فكان كلما شاهد النصارى غلبوا يقول ليهود تقدموا وكان يهدر كالرعد القاصف وهو راكب على الحيط كما يركب الحصان ويضربه برجليه ويصيح على الفرسان واستمر على تلك الحال إلى أن أرجع حكمون للبلد وهو فى غم ونكد وكان لحكمون بنت كالقمر المنير إسمها أستير فنظرت من الشباك أفعال الزير فأخذها العجب وعند رجوع أبيها سألته عن حاله وما جرى فى قتاله فأعلمها بواقعة الحال وانتصار برجيس عليه فى القتال فعند ذلك شرحت أستير لابيها ما رأت فى ذلك اليوم من أعمال الزير وقالت إذا كانت أعماله صحيحة فانه يكسر هذا العسكر ويذيقه الموت الاحمر ثم أنشدت تقول

تقول أستير أسمع لى كلامى	نظرت اليوم بعينى العجايب
نظرت اليوم من هذا الموجد	فعال قد تعيد الرأس شايب
فلما دقت الطبل النصارى	وقد هجمت العساكر تحـــارب
والتفت العساكر بالعساكر	وراح السيف يعمل بالمناكب
فقد أبصرت أحوال المواجد	غرائب قد فعلهـــا مع عجائب
ويزعق ثم يلكز فى كعابه	إلى أن قد جرى دمه سكايب
ويهدر مثل ليث أوعى	ترج الارض والكتائب
إذا ولت رجالك قال باطل	وإن ولت عداك يقول طائب
ينخى الناس واحد بعد واحد	قتل روحه وهو للحيط راكب
فهذا ما نظرته اليوم حقـــا	من الاول إلى وقت المعارب

فلا أدري عقل صيدع ولا أدرى أهو بجنون خائب

فلما فرغت أستير من كلامها تعجب أبوها وأراد أن يستدعيه فقالت له أن يركب أخوك نهار غد لقتال العدا وأنت تبق في القصر فلعله يفعل مثل أمس فتشاهدا أحواله فاستصوب أبوها كلامها وبات تلك الليلة ضجرا وفي الصباح أمر أخاه أن يخرج لقتال النصارى فامتثل وركب في عسكر اليهود فالتقته النصارى مثل الأسود واشتد بينهم القتال سمع الزير صياح الأبطال فالتهب قلبه بنار الاشتغال فصعد إلى السور وهو حزين وفعل كما فعل بالأمس كثيرا ما يقول بالثارات كليب من جساس المخذول وهو ينخي القوم ويقول اليوم ولا كل يوم وكان حكمون ينظر اليهم مع ابنته فتعجب من أفعاله ومن صورته وأمرها أن تناديه ليمتثل أمامه فنادته فالتفت اليها وقد اندهل من حسنها فقالت له أبي يدعوك أن تحضر فنزل عن السور وصعد إلى القصر ودخل على الملك وقبل الارض بين يديه فقال حكمون إن كنت قادر على ما تقول فانزل وقاتل في هذا فان لنا جيل وإن كسرت الاعداء بلغت الآمال وأغنيتك بالمال وأطلقتك من الاسر والاعتقال فأجابه الزير يقول :

يقول الزير أبو ليلى المهلهل ملك حكمون أبشر في مكانك
أبو أستير بشر بالغنيمة صفا عيشك وقد ولى نكادك
أتيني بدرع مع سيف صقيل ومهر أصيل من أحسن جيادك
فابرز للنصارى وأنت تنظر واقتل كل من يبغي عنادك
وأنت بقصرك المعمور تنظر ولا تنزل ولا تركب جوادك
فان لم أطرد الاعداء وحدى حرام على أن آكل لزادك

ولما انتهى أمر الملك أن يعطوه جواد من أطايب الخيل ودرعا وسيفا فأتوا اليه بجواد فقال هذا لايحملني ثم اتكى عليه فكسر أضلاعه فأتوه بأجبر فاتبعه وما زال على تلك الحال حتى قتل منهم فتعجب الملك من قوته ثم أتوا بعدة حرب ففعل كذلك الى أن أتوه بعدة الملك حكمون فلبسها وكانت من أحسن العدد واعتقل بالسيف المهند وركب حصانه الاحرج الذي ينتظر منه الفرج وأخذ في يمينه الرمح والتفت الى حكمون وقال له اليوم تنظر أفعالي ثم لكن الحصار وقوم السنان وانطلق إلى ساحة القتال وكانت النصارى قد كسرت اليهود وفتكت بهم فتك الاسود عندها تقدم إلى آخر الملك حكمون وقال شدوا عزمكم وقاتلوا خصمكم ثم خاض المجال وطلب الميسرة في الحال وقاتل

الابطال فددها على الرمال فلما رأت النصارى هذه الأعمال اعتراها الأندهال وهجموا عليه هجوم اليمين بالشمال فابلاهم بالذل والويل وكان كلما كثرت عليه العساكر يتذكر أخوه كليب فيهجم هجوم السباع الكواسر فعندها تأخرت عنه هجوم الابطال وكان الملك برجيس من الفرسان المعدودة فلما بلغه ذلك هجم بالعساكر والأجناد ولما اقترب من تلك الناحية وقعت عينه على أخيه الملك حكمون فتقدم اليه وضربه بالسيف فوقع على الارض قتيلا عند ذلك ضجت طوائف اليهود لما رأوا أميرهم مقتول هجموا عليه فالتقاهم برجيس بقلب لايهاب الموت وقتل منهم مقتلة عظيمة وكان المهلهل يقاتل من بعيد الفرسان فلما رأى طوائف اليهود متأخرة بعد أن كانت متقدمه وعلم بقتل صهيون أخذته الحمية وقصد الملك برجيس إلى ذلك المكان وفى الطريق التقى بأخيه سمعان وهو ينخى الفرسان فهجم عليه وضربه بالسيف على عاتقه أطلعه يلمع من علائقه ولما شاهدت النصارى أفعال الزير حملوا عليه من كل مكان وحمل أيضا الملك برجيس ولما رأت اليهود أعماله للمهلهل أيقنت ببلوغ الأمل فارتدت بعد الانهزام كما كانت حتى استقبلت ولم يزالوا على تلك الحالة إلى أن ولى النهار فافترقوا عن بعضهم البعض (قال الراوى) وكان الملك برجيس قد صعب عليه قتل أخيه وندم على مجيئه إلى تلك الاوطان ولما أصبح الصباح ركبت العساكر وانقسمت إلى ميامن ومياسر فكان الزير كالاسد الكاسر واستمروا فى قتال عشرة أيام وكان الزير قد فتك فتكا عظيما وقتل من النصارى عددا جسيما فلما رأى الملك برجيس ذلك خاف من المهالك لانه كان من الملوك الكبار فجمع أكابر دولته وعقد معهم ديوانا فاستقر رأيهم على المصالحة وتوقيف الحرب وأن يرحلوا بأمان ثم أن الملك برجيس أرسل إلى حكمون بعض وزرائه المعتبرين ليعلمه بذلك ويأتيه بالجواب فسار الوزير عند الملك حكمون واعلمه بواقعة الحال ففرح مع باقى الامة العبرانية لانهم كانوا يخافون سطوة ملوك النصرانية فأجابه إلى المطلوب وحمد الله الذى أقامه من غوائل الحروب وهكذا تم الاتفاق والصلح والوفاق ورجع برجيس من تلك الافاق بمن معه من الرفاق بعد أن رتب على الملك حكمون مالا معلوما يدفعه كل سنة إلى خزينة المملكة (قال الراوى) وعظم الزير عند حكمون وقال له أنت اليوم عندى كالولد وأعز من الروح فى الجسد فلولاك كنا فى حال تعس واستولى علينا الملك برجيس وكانت الاميرة أستير قد شاهدت أفعال الزير فاتت عليه ومال قلبها اليه ثم قالت لاعدمنا أيها النحرير فانك تستحق الاكرام والانعام وكان الملك قد مال اليه كل الميل فقدمه على جميع أبطاله

ورقع منزلته على الكبير والصغير ولقبه بالامير وأنعم عليه بالنياشين من الماس ليمتاز كبار الناس وأكرمه وأجلسه معه على سفرة الطعام ولما انتهوا من الاكل وشرب المدام قال له الملك تمنى على أيها الامير فمهما طلبت أعطيتك إياه ثم أنشد يقول وعمر السامعين يطول

يقول حكمون فى أبيات رتبها أحلا من الشهد والياقوت والمال
لله يوم به قد جئت زائرنا السعد وافى معك ياخير مفضال
الله ساقك لنا حتى هزمت لنا خيل العدا سحرا من غير اهمال
والمهر الاخراج الذى ولو طلبت منى كل أموالى

فاجابه الزير على كلامه يقول

ليت لى عمرك يزيد أيها الملك السعيد
ما أريد منكم سوى السيف والدرع الجديد
والمهر الاخراج الذى قاتلت فيه يا فريد

ثم الزير بعد هذا الكلام اعلم حكمون بنفسه وطلب منه تجهيز سفينة وأرسله بها إلى مدينة حيفا ومن هناك تسير وحدة مرج بنى عامر محل اقامته حيث اشتاقت نفسه إلى أهله وعشيرته فلما سمع حكمون بواقعة حاله وأنه وهو المهلهل زاد مقامه عنده وقال له هذه بلادى أمامك اموالى بين يديك فاقيم عندنا طول عمرك فانا لا انسى جميلك ومعروفك قال الزير لابد لى من الذهاب لانى لخذلان ما أخذت بثارى ولا طفيت من الاعادى لهيب نارى لذلك أهداه المهر الذى وأعطاه طالبه والسيف والرمح وعدة الحرب وجهز له مركبا أحسن مراكب وأصدر أوامره إلى القبطان بمداراته وامتثال أوامره وأنه بعد أن يصل به إلى حيفا يرجع معه ثم سار الملك إلى المركب مع أكابر الدولة وقال له الله يبلغك الامال فلا تقطع عنا الاخبار فشكره المهلهل ودعا له بطول العمر ثم رجع حكمون إلى المدينة وسافر المركب بالمهلهل وفى اليوم الرابع أشرفت السفينة على ميناء حيفا فالتقت مراسها ونزل المهلهل إلى البلد وأبقى الحصان فى المركب وأمر القبطان بالاحتفاظ عليه لوقت الطلب وهناك تسربل بالسلاح تحت الثياب وقصد دياره فالتقى بطراف بن ناصر حافى عريان وكان من الاكابر فناداه فاقبل اليه وسلم عليه ثم عرفه بنفسه وأخبره بما جرى له من الاول إلى الآخر فقال أهلا وسهلا بقدومك علينا فوالله قد كنا قطعنا الامل من سلامتك فالحمد لله فقم بنا إلى بيتنا حتى تنظر أهلك لازم دائما فى السؤال عنك فقال الزير أنا لا أذهب معك حتى أصل إلا حى بنى مرة وأنظر باقى قومنا الذين التجأوا إلى

بالامير سالم قاصد الصيد مع جماعته ولما اقترب من المهلهل حتى قبله لحياه بالسلام وجعل يتأمن به ويقول والله من يوم غاب حامينا فقد ذهب عزنا ثم دمعت عيونه فقال الزير كيف تبكيه وأنت ملتجى إلى أعدائه فعندما عرفه إعتنقه المهلهل وقال له أبقوا على ما كنتم عليه وعند ماتسمعون صرير السيف فى إعتناق بنى مرة حينئذ تفعلون مايجب عليكم فساروا وهم مسرورين حتى يعلوا بعضهم بعضا وأما الزير فانه سار مع أطراف وهما يتفكران حتى دخلا إلى حى جساس عند المساء فوجد الحى الجساس فرمعى فسان معه وهو فرحان حتى وصلا إلى أحياء بنى مرة فالتقيا فى طبول وأمور تدل على مسرات وأفراح فقال المهلهل ماعساه يكون هذا ولما اقترب من صيوان جساس وجـده ممتلئا من الناس وجساس جالس فى الصدور وحوله الاكابر والاعيان والمولدات تدق وبعد قليل حضرت العبيد بسفرة الطعام فقـام و جلس إلى المائدة وتقدمت بعـده الامراء وجعلت تتبادر الفرسان وتتزاحم على بعضها فعند ذلك تقدم الزير من جملة الناس بقرب جساس وأخذ يتناول من كل الاطعمة فلما رآه جساس أنكر أمره واستعظم كبر بجيئه وهو يأكل كالجمال فقال له جساس أدع لى ياشيخ فقال له ديما أدعوك ولست بناسيك فازداد جساس خوفا وارتجت أعضائه ولما قام عن العشا أمر باحضار الرمل وضربة فى الحال وظهر له انعكاس واحمر لونه وعليه أوقات منحوسة وسيظهر رجل نقى الخد عن قريب يذيقه الاهوال وقد تأكد عنده بأن ذلك الرجل نفس الزير حيث لايوجد له عدو غيره فالنهب فؤاده وصاح من ملو رأسه ياستار فجـاءت إخوته اليه وقالوا ما أصابك يا أمير فأنشد يقول

يقول جساس بن مرة فى بيوت	اسمعوا يا اخواتى أهل الوفا
ضاق صدرى وامتلأ قلبي هموم	والقلب والغم ضارب فى الحشا
جيت تحت الرمل جررته سريع	حتى أرى ماهو هذا البـلا
رأيت الجود له فى بيت ضد	والجماعة شكلهم واقع حـدا
ماعاد لى عقل لهـذا الرمل فقط	جرت فتنه اليوم يا أولى النهـا
لو يصح القـول قلت الزير جا	هاهو جالس بين الامرا

ولما انتهى جساس من شعره ونظامه وفهم الزير لحوى الطوية وضع يده على قبضة سيفه حتى إذا قال جساس اقبضوا عليه يفتك به ويعدمه الحياة ومن كثرة ماجرى على جساس من النقم

والوسواس ترك من كان عنده من الناس ودخـــل على الحريم فلما رآه الزير على تلك الحالة قال لابد من قتله فان لم يكن اليوم يكون غدا ثم طلع من الصيوان مع طراف وسار قاصدين الأوطان حتى وصلا إلى وادى الشماب ودخلا إلى الخيمة التى فيها بنات كليب فسمعت اليمامة إبنة كليب صوته فقالت من أنت وما هو إسمك فلما سمع صوتها عرفها فتقدم فوجدها مع شقيقها وعليها ثياب الحداد فقطع قلبه وهطلت عيناه بالدموع وقال لهم أتقبلوا الضيف يابنات الاماجد قالت مرحبا فانا كنا أول من ضافت ولكن قد جار علينا الزمان فاذلنا بعد العزوالجاه وصرنا فى حالة يرثى لها فاقصد محل الوليمة وهو المكان الذى تدق فيه الطبول فتحصل على بلوغ المأمول فقال بالله عليك أحكى لى واقعة حالكم فقد جرحت قلبي بهذا الكلا فقالت اليمامة لقد ذكرتنا بمصابنا وماجرى ثم أشارت تقول

قالت اليمامة ونار القلب مشتعلة	فى باطنى والحشا زادت الهـابات
كنا بخير وكان السعد يخدمنـــا	ونصرف الوقت فى أهنى المسرات
قـــد كان والدنا ذو جاه وسلطة	يدعى كليب له عز وسطوات
جا خالنا قتله غدرا	أسقاه من غـدرات البين كاسات
وفرساننا التجوا ياضيقنـا عنـده	خوفا من القتـل أيضـا والمذلات
وكان لنا عم فارس مثلك بطل	غلاب خيل العـدا فى يوم غارات
فقد وهـــذه ثمان سنين له غائب	للآن لم يأتنا بشارات

ولما فرغت اليمامة من شعرها ونظامها جلس الزير هو وطراف وأجلساها بجانبهما ثم أنه عرفها هى وباقى شقايقها بنفسه وأنه هو عمها الزير وقد نجاه وأرجعه سالما حتى ينتقم من أعدائه فلما سمعت أنه هو عمها صاحت بصوت من ملو رأسها أهذا فى الحلم أم فى اليقظة ثم وقعت عليه هى وباقى شقايقها يقبلونه فان لله الحمد الذى أرانا وجهك بخير فوالله لقد زالت أتراحنا وتجددت أفراحنا وسمع ابو شروان عنـــد الزير هذا الخبر فدخل وسلم ووقع على قدميه لانهم كانوا يظنون أنه قد مات فكانت عنـــدهم تلك الليلة من أعظم الليالى وبعد ذلك جلسوا يتحادثون فقالت اليمامة أعلمنا ياعمـــاة بقصتك وماجرى لك فى سفرك فقص عليهم الخبر وما سمع وأبصر وختم كلامه بهذه القصيدة

يقول الزير سالم أبو ليلى المهلهل	عيونى دمعهـــا جارى بكاها
بكت دما على ماصار فينـــا	ليالى السعـــد ماعدنا نراها
عنـــدها فارس الهيجا كليب	عقيب الحرب إن دارت رحاها

دهى آل مرة جنح ليل لتقتلنى وتشفى ما دهاها
فكنت بخيمتى ملقى طريحا ثلاث آلاف فارس ردتنى فناها
وجابونى لعند ضياع اختى وألقونى طريحا فى حداها
وقالوا ياضياع خذى أخوك أخذنا روحه قيمى عزاها
فالفتنى بصندق مزفت وأرمتنى بوسط البحر ماها
وساقتنى مياه البحر حالا إلى بلد اليهود على رماها
وجابونى لحكمين اليهودى أجل ملوك الأرض جاها
فداوانى وعالجنى سريعا قرت كربتى مما دهاها
بقيت أنا ثمان سنين غائب وزال الشر عنى مع عناها
أتيت لكم أشاهدكم وأشفى برؤية وجهكم نفسى مناها
سألت الله أن يحفظكم جميعا على ما طالت الدنيا مداها

وكانت تلك الليلة عند بنات كليب من أعظم الليالى حضر فيها جميع اصحاب الزير وهنوه بالسلامة فقال لهم الاوفق أن تكتموا أمرى لحينما أتجهز لقتال الأعادى واحضر جوادى وأعلمهم بخبر الحصان وأنه فى المركب عند القبطان ليكون شاهد أهله وأقاربه ولما انتصف الليل ودعهم وصار قاصد شاطىء البحر هذا ما كان منه وأما مرة أبو جساس قد ذهب إلى البحر يتجسس الأخبار ويرجع آخر النهار فاتفق أن عبدين من عبيده قد نظروا المركب عند قدومه إلى الميناء فأعلماه به فركب قاربا وقصد المركب عند وصوله اليه وجد ذلك الجواد فاندهش من رؤياه فسأل القبطان عنه فقال له القبطان هذا جواد الزير وقد حضر معنا من بيروت وسار من نحو يومين ازيارة أهله ولم يكن القبطان يعلم ماهو جارى بين القوم من العداوة فلما سمع مرة بخبر المهلهل وأنه عاد سالما تعجب ولكنه كتم الخبر وقال للقبطان أتبيعنى الحصان فقال كيف نبيعه وهو مودع على سبيل الامانة فقال لابد من ذلك فاما أن تقبض ثمنه خمسة آلاف دينار أو آخذه منكما بالقوة لأن ابنى جساس ملك هذه الديار ومازال يخوفه بالكلام إلى أن امتثل وأجاب خوفا من أن يأخـــذه بالقوة فقبض القبطان الدراهم وسار مرة بالحصان إلى ابنه جساس وهو كاسب غانم وأعلمه بواقعة الحال وقدوم المهلهل إلى الاطلال ففرح جساس بالجواد وكان أجود خيول الاعراب ولكنه خاف الغوائل وعلم أنه لابد من تجديد الحروب بين القبائل فاجتمع باهله وأعلمهم بالخبر هـــذا ما كان من جساس وأما الزير فانه

عند وصوله إلى البحر سار إلى المركب فلم يجد الجواد فسأل عنه القبطان فأخبروه بما جرى وكان فلما سمع منهم هذا الكلام أراد أن يضرب عنقه بحد الحسام ولكنه توقف عن أذاه إكراما لخاطر مولاه ثم أمر بالرجوع الى عند الملك حكمون ليقص عليه الخبر ويطلب منه الجواد الآخر فامتثل القبطان أمره وأقلع عن تلك الساعة حتى وصل الى بيروت فنزل الزير بالقارب وسار به الى عند الملك ولما دخل الزير الى السرايه ورآه الملك حكمون فرح به الفرح الشديد وقال أهلا وسهلا بالصديق العزيز ورحب به غاية الترحيب وجلسه بجانبه وقام بواجبه وأشار يقول وعمر السامعين يطول

قال حكمون اليهودى فى بيروت — تشرح الخاطر وترضى السامعين
نورت الدنيا علينا ياهمام — يامربع الخيل اذا طلع الكمين
قصدت أهلك ثم جيت لعندنا — أنت فخر الناس الماجدين
يامهلهل أنت عز المحصنات — هل شفت أهلك يامهلهل سالمين
ان كان يلزم نجدة أحكى لنا — حتى أسير بالجيش كله أجمعين
طيب قلبك يامهلهل لاتخاف — ثم اطلب ياضيا عينى اليمين

فشكره الزير وأثنى عليه وأخبره بما جرى من فقد الجواد وأن سبب حضوره الان لأجل سؤال خاطره الشريف وثانيا ليطلب منه المهر الاخر وختم كلامه بهذه الابيات

قد أتيت اليوم فى قلب حزين — على فقد مهرى الاخرج الثمين
فان شئت أعطنى أخاه — يامنجز الجار وفخر العالمين
لا أريد مال ولا كثرة نوال — غير أبو جحلان مطلوق اليمين
يا ملك حكمون أنا مالى كثير — كل مال البر فى يدى خزين

فلما سمع هـــذا الكلام تبسم وقال مهما طلبت منا لا نعز عليك وجميع أموالنا بين يديك فوالله أننا لاننسى جميلك على طول الزمان وأن أبو جحلان بعد رواحك من عندنا أظهر الوحشة حتى لم يقدر عليه أحد من السياس وطلب منه أن يبقى عندهم عدة أيام ليستريح فاعتذر وقال لابد من رجوعى اليوم فاعطاه حكمون الجواد وأخذه إلى المركب قاصدا حيفا وعند وصولهم نزل بالجواد الى المدينة قاصدا القبيلة فاتفق مرور رجل من قبيلة جساس فابصر الزير وعرفه وسار الى جساس وأخبره بقدومه وقال انى خائف عليكم من سطوته لانى شاهدته فى هذا النهار وهو مثل هذا الاسد الكرار ثم أشار يقول

يقول الشيخ ياأولاد مرة — تعالوا واسمعوا لى يا فوارس

أيا جساس ياهمام اسمع أيا ملكا ويا أهل المجالس
لقد كنت بقرب البحر سائر رأيت ظهر على اليوم فارس
على أدهم أقب الضلع قارح وفوقه درع من بولاد لابس
وفى كتفه قنا اسمر مكعب بطل صنديد يوم الروع عابس
فهذا فارس البيدا مهلهل مربع الخيل للابطال داعس
(قال الراوى) ولما فرغ الشيخ من شعره ونظامه أجابه سلطان بنى مرة يقول
يقول سلطان بن مرة كلام الشيخ صادق يافوارس
فان كان أبو ليلى عذارى يخلى دمنا مثل البواطس
ويصبى من قبائلنا عذارى ويترك أرضنا قفرا دوارس
ولا يقبل رجاء ولا عطايا ويطرحنا على الغبراء نواكس

(قال الراوى) فلما انتهى السلطان من كلامه وقع الخوف بقلوب القوم وأخذوا يستعدوا للقتال من ذلك اليوم هذا ما كان منهم وأما الزير فانه جد فى المسير حتى وصل إلى دياره والتقى بأنصاره فلما رأوه فرحوا به وأقبلت اليه اليمامة مع شقيقتها وكذلك أخوه الزير وكل من فى الحى من النساء والرجال فرقعوا عليه وقبلوا يديه وانتشرت الاخبار بقدومه الى الديار فى ذلك النهار بين الكبار والصغار حتى ملأت الاقطار فاقبلت اليه الابطال والفرسان وتواردت اليه السادات والاعيان فسلموا عليه وتمثلوا بين يديه وهنوه بالسلامة فشكرهم وأثنى عليهم وترحب بهم وذبح لهم الذبائح وأولم الولائم ووعدهم المكاسب والغنائم وبعد أن أكلوا الطعام وشربوا المدام أنشد عندى أخو الزير يقول

يقول عندى أبيات نصيحة أتانا الزير والمولى عطانا
وكنا قبل ما يأتى الينا بحال الذل فى قهر حزانا
وجساس الردى عايب علينا نريد هلاك تغلب مع أذانا
فامرنا أن نبقى جميعا على طول الليالى مع نسانا
ولا نركب خيولا صافنات ولا ننقل سيوفنا فى حمانا
الينا جيت ياجمل المحامل ويا كهف العذارة والامانا
أيا سالم فانهض شد عزمك واركب ظهر مطلوق العنانا
ونركب ثم تحمل فرد حمله على أولاد مرة فى لقانا
ونترك ديارهم بورا وقفرا ونقتلهم ونأخذ تار أخانا

(قال الراوى) فلما انتهى عدى من كلامه تقدمت اليمامة نحو عمها وشكرت الله على سلامته وأنشدت تقول

تقول اليمامة من أبيات حسان　　المنا بقدوم عمى نالنا
وأقبل السعد ياعمى وجا　　فى قدومك ياسياج غيالنا
حلت البركة علينا ياهمام　　فى قدومك نورت ديارنا
قبل ماتأتى بقينا فى عذاب　　مع بنى مره جميع رجالنا
وانت جيت اليوم ياسبع الفلا　　قوم شد العز وانظر حالنا
لاتبق منهم نفاخ نار　　ولو أنهم باسوا جميع ديالنا

(قال الراوى) فلما فرغت اليمامة من كلامها ضمها الزير إلى صدره والتفت على من حوله وأشار يقول

يقول الزير أبو ليلى المهلهل　　ألا يابنات أن السعد جاكم
وأقبل سعدكم والشر ولى　　وراح الشر عنكم لأعداكم
فقروا وابشروا منى وطيبوا　　إله العرش قد زول عنكم
ثمان سنين وسط البحر غائب　　وبالى عندكم مما دعاكم
وفرج خالقى همى وغمى　　وخلصنى وجيت إلى حماكم
وجيت أتيت زال الشر عنكم　　ونلتم يابنات بثار أباكم
غدا جساس أقتله بسيفى　　وآخذ يانات بثار أباكم
وأنتم يادريمان ثم عدى　　وباقى إخوتى تسلم لحماكم
فأتوا بالصواقر واركبوها　　وهبوا جمعكم ومن معاكم
ودقوا طبلكم ياآل قيس　　وقيموا النار فى سائر حماكم
وخبونى بعيــد عن المنازل　　غداً جساس يبرز لالقاكم
فلاقوه على الخيـل الضوامر　　وأنى سوف أهجم من وراكم

(قال الراوى) ولما فرغ الزير من كلامه طابت قلوبهم زالت عنهم الأفراح أيقنوا بالنصر والنجاح وما زالوا بنى قيس يجتمعون إلى الزير يتواردون حتى صار فى جمع غفير فاستعدوا للقتال والحرب والنزال فأطعموا الجياع وكسوا العرايا وأشعلوا النيران ورجع الحى إلى مثل عادته الأولى هذا ما كان من الزير وقومه وأما بنوا مرة فلما بلغهم الخبر أن بنى قيس التمـــوا بعد التفريق والشتات من جميع الجهات وهم فى أفراح ومسراته

اجتمعوا بجساس وقصوا عليه ذلك الخبر وقالوا له لو لم يكن الزير قد ظهر لما كانت بنى قيس اجتمعت على بعضها فى هذه الأيام وخالفت أوامرك ومراسيلك فقال لهم كفوا عن هذا المقام ولا يخطر لكم الزير ببال فاستعدوا للحرب والقتال ولا بد لنا بالنجاح وبلوغ الأرب وركب جساس الجواد الذى أخذه من المركب وسار بذلك الجمع الغفير ولما اقتربوا من حى بنى قيس وسمعت قوم الزير صوت طبولهم وصهيل خيولهم وهاجوا وماجوا وأمرهم الزير أن يتأهبوا للقتال ويلاقوهم إلى ساحة المجال فتبادروا فى الحال وتقدمت الأبطال وركب الزير على مهره أبو حجلان وسبقهم إلى الميدان وكمن فى بعض الروابى والتلال فى جماعة من الرجال ولما اقترب جساس من رجال بنى قيس وقال لهم خالفتم اوامرى وغركم الطمع فسوف ترون ما يحل بكم من الهوان بساحة الميدان ثم هجم بالرجال والأبطال وأحاط بهم من اليمين والشمال فالتقوه بقلوب كالجبال واشتد بينهم الكرب وعظمت المصائب ما بين مغلوب وغالب فلما رأى المهلهل تلك الأمور لكز الجواد وتقدم إلى ساحة الميدان فشقق الصفوف ومزق بحملته المراكب وهو يهدر فيهم ويصيح من قلب جريح أبشروا يا بنى بكر بالذل والويل فقد أتاكم المهلهل فارس الخيل فسوف ترون يا أنذال ما يحل بكم من الويل على ما عملتموه بى من سوء الفعال وقد أقسمت برب الأنام أنى لا أترك منكم شيخ ولا غلام ثم مال وجال وضرب فيهم بالسيف النضال وتبعته الرجال من اليمين والشمال فلما سمع جساس صوت المهلهل انقطع ظهره من الخوف والوجل ولكنه ثبت فى حومة الميدان خوفا من الهلاك والقلمان وأخذ يحث الفرسان عن القتال والثبات والصبر على لقاء الأعداء قبل الممات فثبتوا ثبات الجبابرة وقاتلوا قتال الأسود الكاسرة ولكنهم لم يقدروا أن أن يثبتوا أكثر من ربع النهار حتى أنصبت عليهم النكبات وبليو ببلايا لا تطاق من سيف المهلهل فولوا الأدبار وركنوا إلى الهزيمة والفرار بعد أن قتل منهم عشرة آلاف فارس وتبعهم جساس وهو فى قلق ووسواس وغنمت بنى قيس منهم غنائم عظيمة ومكاسب جسيمة ورجعت إلى الديار بالعز والانتصار والبطش والاقتدار وفى مقدمهم الأمير مهلهل الجبابرة وهو مثل شقيقه الارجوان مما سال عليه من أدميه الفرسان ولما وصل إلى المضارب بقواد الكتائب والمواكب لاقته بنات أخيه وجماعة من أقاربه وزويه وشكروه على تلك الفعال وقالوا أمثالك تكون الابطال ثم أنه جلس فى الخيام وجلست حوله السادات العظام فتحادثوا فى الكلام وشكروا رب الانام على بلوغ القصد والمرام وبعد أن أكلوا الطعام وشربوا المدام التفتت بعد القواد إلى المهلهل فارس الطراد وقال له بالله عليك أن تنشدنا شيئا من أشعارك لان قلوبنا مشتاقة إلى الوقوف على أخبارك

وما جرى لك فى أسفارك فعند ذلك أنشد يقول وعمر السامعين يطول

يقول الزير أبو ليلى المهلهل فكل مقدر لابد يأتى
نزلت باخوتى وأبناء عمى بجنح الليل لايدروا صفاتى
فقالوا ضيفنا شرطوا علينا فلا توقد النار فى الفلاة
ولا تفزع ولو فزعوا علينا ولا نركب خيولا صافنات
تكالحت اليمامة مع حمامة وقالوا عمنا هيهات يأتى
فقلت لهـا أنا لبيك جيتك أنا مروى السباع الكاسرات
جيت لعندها فى قلب جامد وجدت عيونها متقرحات
فقلت لها يايمامة ليس تبكى جرحت بالبكا قلبى فاتى
فهمك يايمامة ليس مثلى إذا ثارت حروب فى الفلاه
أنا همى كراديس الفوارس إذا ماوهجت نار العداء
وجيت أنا على جساس رائح هرب منى وقالوا أتوا العداء
وقال الزير معانا يابلانا طالب ثاره المرهفات
فقولوا لابن مرة أين بعدى أتاه الزير ذباح العداه

(قال الراوى) فلما فرغ الزير من كلامه شكروه الحاضرين وعند ذلك تقدم سلام المهيا اليه وقبله بين عينيه وأشار يقول

على ماقال سلام المهيا مهلهل جيت هـذا اليوم يومك
وزال العنا والتوفيق أقبل وأضحى الفطر يزهوا بقدمك
ولما جيت يازين الفوارس أزلت همومنا زالت همومك
فقم اركب عليهم يامهلهل نهـار وليل ما أحد يلومك
وخذ بالثار من جساس حالا وافرج غمنا وأجلى غمومك

فلمافرغ سلام من شعره طاقت قلوب الجميع وعادوا على ما كانوا عليه من الفرح والمسرة وأما بنو مرة فانهم ابتلوا بالذل والويل من حرب الزير ولما أصبح الصباح بنوره قد لاح ركب المهلهل فى مائة الف بطل وطلب حرب القوم فالتقاه الامير جساس وكان معه مائة الفه مقاتل بين فارس ورجل فانتصب بين الفريقين القتال وعظمت بينهم الاهوال وقاتل المهلهل حتى استقتل فنكر الابطال الفحول على ظهور الخيول وقتل جماعة من السادات الاعاظم الذين اشتروا بالفضل وشاع ذكرهم فى الآفاق فنهم الامير شهب المسكنى بعقاب وغيره

من السادات واستمر القتال على تلك الحال طول ذلك النهار فانكسرت بنو مرة أشد انكسار ورجع المهلهل بالعز والانتصار وفى صباح اليوم الثانى ركب بفرسان الكفاح فألقاه جساس بالرجال وتقاتلوا أشد قتال ولما تقابلت الصفوف وتبادرت المئات برز شاليس أخو جساس بين الصفوف ولعب برمحه وطلب المهلهل فانطبق عليه كان قطعة من جبل أو قلة من القلل فتطاحنا بالرماح وتضاربا بالصفاح وثبت شاليس أمامه ثبات الابطال لانه كان من الرجال المشهورة واستمر الاثنان ساعة من الزمان وهما فى ضراب وطعان وكان الامير شاليس قد ختم على نفسه أمام الابطال أن يهلك فى ذلك النهار أو يظفر بخصمه ويعيش فى عز وإقبال ثم صاح على المهلهل وطعنه بالرمح قاصدا قبض روحه فالتقاها الزير بالدرقة فراحت خائبة بعد أن كانت صائبة ثم تقدم اليه وهجم وضربه بالسيف على عاتقه طلع يلمع من علائقه فوقع قتيلا وفى دمه جديلا ثم هجم على الرايات وطعن فى الفرسان والسادات فقتل الرجال الابطال فى ساحة المجال وفتك الاسود الكاسرة وفعل أفعالا تعجز عنها الجبابرة وفعلت جميع أبطاله مثل أفعاله وقاتلوا القتال المنكر وأذاقوا الاعداء الموت الاحمر فلما رأى جساس ما حل بقومه من العذاب اشتعل قلبه التهابا وزاد اكتئابا على إكتئاب أخيه ليث الغاب لانه كان يحبه محبة عظيمة فبكى وانتحب وولى يطلب الهرب وتبعته رجاله وفرسانه ورجع الزير بباقى الفرسان المنازل والاوطان وهو مثل شقيقه الارجوان فالتقته اليمامة بالاعتزاز والكرامة ثم نزل فى الخيام مع السادات فأكلوا وشربوا المدام وكان كل يوم يركب حسب عادته لحرب القوم حتى بلغ منهم المنى وأبلاهم الذل والعنا فلما طال على بنى مرة المطال جمع جساس الرجال ومن يعتمد عليهم من الابطال وقال لهم ماقولكم فى هذا الامر العسير لقد حل بنا التدمير وهلك كل سيد وأمير وان طال القتال لم يبق أحد من الرجال فقال سلطان الرأى عندى أن تأخذ أختنا الجليلة وبعض نساء القبيلة وتذهب اليه وتقع عليه وتطلب منه كف الاذى والضرر وتعطيه دية وتقيمه ملكا على الشام وندفع له الجزية فى كل عام قال جساس ومن يذهب اليه قال أنت فتبسم جساس وقال هل أن أحدا يرى الموت أمام عينيه فيزحف اليه فقال سلطان أنا ذاهب اليه لان بينى وبينه مودة قديمة ثم نهض وتأهب للمسير وأخذ امرأة أخيه الجليلة وبعض نساء القبيلة وقصد الزير حتى وصل اليه وسلم عليه وقال بالله أصفح عنا فقد أهلكت رجالنا ولم يبق أحد منا فقد أتيت الآن مع الجليلة امرأة أخيك وأكابر نساء القبيلة

حتى تعفو عليك وتطلب العفو من جنابك ونبلغك الأرب من الفضة والذهب ونقيمك ملكا على هذه الديار وتكون طوعا لك مدى الأعصار لأنك سقينا الصقيل ورمحنا الطويل ثم أنشد هذه الابيات بحضور الامراء والسادات

قال سلطان مرة فى بيوت يامهلهل استمع منى القصيد
ليت عمرك يامهلهل الف عام ياحماة البيض فى اليوم الشديد
فاعف عنا ياسياج المحصنات ليت عمرك فى كل يوم فى مزيد
نحن منك وأنت منا ياهمام كلنا أولاد عمك يارشيد
فاعف عنا ثم دعنا فى حماك تحت ظلك عيشنا يبقى رشيد

فلما انتهى من شعره ونظامه أجابه المهلهل بهذا القصيد

افتفهم يا ابن عمى ما أريد واستمع فحوى كلامى والقصيد
ليس لى من ذنب فى هذا الامور وأنا فى حقكم لست عنيد
غصب عنى ياسياج المحصنات ليت عمرك ياولد عمى يزيد
كل دا جاوى عليكم يارجال من يمامة بنت أختك بالاكيد
اليمامة كل يوم تقول خد بثارى أيها البطل العنيد
فان عفيت أنا عنكم أعفى كل قولى صادق والله شهيد
وإن أبت لست أخالف قولها انى عن أمرها لست أحيد

(قال الراوى) فلما انتهى الزير من كلامه قال السلطان ومن حضر معه من أقوامه أنى لا أكاف الحرب والقتال ولا أدفع عنكم السيوف الصقال إلى يوم للقيامة أو أن تمنعنى اليمامه فاذهب وخاطبها كما خاطبتنى به أمام السادات فعساها أن تجيب طلبك ياسلطان فعند ذلك قصد سلطان وقبلت الجليلة بناتها وقال لهن أما كفى يابنات الاكارم فقد هلكت الفرسان والابطال وساءت أحوالنا وصرنا عبرة لمن اعتبر فأجابتها اليمامه إننا لا نصالح حتى لا يبقى منا أحد يقدر أن يكافح وأن كان عمى عجز عنقتالكم فأنا أنوبه عنه والتقى أبطالكم ثم ختمت الكلام بهذا الشعر والنظام

قالت يمامة من قول صادق ياجاهلة اتصرى عنا عناكم
أنت وأخوالى وكل عشائرى لايزيد والفظكم ولد لالقاكم
قتلتم الماجد كليبا والدى غدراً وما له ذنب معاكم

جساس طعنه من قفاه بحربة ودهاه على الغبيرا غفير حداكم
وأنا وأخوتى بقينا بذلة نمسى ونصبح لنا ننسى بلادكم
إنا لانصالح حتى يقوم والدى وزراه راكب يريد لقاكم

فلما فرغت اليمامة من شعرها ونظامها وفهمت الجليلة فحوى كلامها رجعت هى وأختها مع باقى النسا إلى الحى بدون أدنى افادة وأخبروا جساس بواقعة الحال وما سمعوه من المقال فاعتراه الخوف وأيقن بالهلاك والوبال فقال له أخوه سلطان وكان ذا مكر عظيم أنى سأهلك الزير أيها الأمير وأقوده اليك عند الصباح كالبعير فقال ماذا عولت أن تفعل وما هو العمل قال أنى أقصد الميدان فى جماعة من الأعوان وأحفر هناك ثلاث حفافير ونغطيهم بالقش حتى يختفوا عن عيون العساكر فاذا كان الصباح والتقى الجحفل بالجحفل فتبرز أنت إلى المهلهل وتكون عارف بهم فتقوده اليهم بهذه الوسيلة تتم الحيلة فيسقط فى هذا الشرك فنهلكه ونخلص من شره ودهاه فاستصوب جساس هذا الرأى وخرج فى ذلك الليل مع أخيه سلطان فى جماعة من الأعوان حتى وصلوا إلى ذلك المكان فحفروا ثلاث حفافير عميقة وغطوها بالقش ووضعوا عليها التراب حتى تختفى عن العيون ثم رجعوا إلى مكانهم وهم مسرورين وباتوا تلك الليلة على مقالى النار ينتظروا طلوع النهار هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما الزير فانه ركب عند الصباح بفرسان الكفاح وقصد الميدان وهو بقلب أقوى من الصوان فالتقاه جساس بالعساكر ثم إنفرد نحو ذلك الحفافير وأخذ يلاعب الجواد أما العساكر والقواد فرآه بعض الفرسان وهو يجول فى ذلك المكان على ظهر الجواد فأعلم المهلهل بذلك الشأن وقال أن خصمك ظاهر للعيان فى تلك الناحية من الميدان فلما رآه المهلهل قصده على عجل ليقتله ويبلغ الأمل فلما اقترب منه بعد جساس عنه فتبعه على الاثر فسقط فى إحدى الحفر فارتد عليه جساس وانطبقت عليه الناس بقصد أن يطعنوه ويهلكوه ويعدموه فلله در الحصان أبو حجلان فانه كان من عجائب الزمان أخف من الغزلان وأسبق من البرق عند اللمعان فانه عند وقوعه ضرب بحافره الارض حتى صار بين الفرسان فرجعت الخيل عنه مدبرة فاستعظم ذلك الامور المنكرة ورأى جساس ينخي الابطال فتقدم نحوه ليشفى غليله فاتفق وقوعه بالحفر الثانية فوثب به الجواد وانتصب أسرع من النمر إذا وثب حتى صار على الارض فانقلبت عليه العساكر فزاد بالزير الكدر وقصد الامير جساس دون باقى الناس ليقتله ويعدمه فكبى به الجواد فى الحفرة الثالثة وكانت عليه أقبح حادثه وكان قد تعب الجواد وضعف وانحل عصبه حتى لم يعد يمكنه أن يفعل كما فعل قبلا وكذلك المهلهل انهد حيله وطاش واعتراه الخوف

والارتعاش وأيقن بالهلاك وآيس على نفسه من الحياة وقد وقع فى بلية عظيمة وداهية جسيمة فلما أيقن جساس الامل ونجاح العمل صاح من شده الطرب على رجاله ياويلكم أدركوه وأطعنوه لانه إذا تخلص هذه المرة من الحفرة لاتتأملوا بنجاح أو نصرة فلما سمعت الرجال منه المقال قصدوا ذلك المكان يمينا وشمالا وكان القتال فى هذه المرة بجانب تلك الحفرة وقد اشتدت الاهوال وتكدست جثث القتلى على الارض مثل التلال من ضرب السيوف وطعن الصال هجم جساس أمام الناس وقال للفرسان أدركونى فى هذا النهار وأسعفونى بالتراب والاحجار وأردموا هذه الحفرة فى سرعة الحال وأنا أرد عنكم هجمات فتقدموا بالعجل وبادروا باجراء هذا العمل غير أنهم لم يبلغوا المطلوب لانه أخوه الزير وباقى الفرسان وهجموا عليهم من اليمين والشمال وضربوا فيهم بالسيف البتار فابلوهم بالذل والدمار وكان الاميرمرة بالقرب من الحفرة فرآه عدى أخو الزير وقال أهلا بالعم وقبض عليه والقاه فى الحفرة وقال خذ عمك يامهلهل وعند وصوله ضربه بالسيف فقتله وبعد قتال عظيم أخرجوا الزير من تلك الحفرة بالقوة وعند ذلك انشرحت من بنى تغلب القلوب وزالت عنهم الكروب وأيقنوا بالنجاح وقصدوا الحرب والتقوا الاعداء بالاسنة ومال الزيرعلى القوم ونادى اليوم ولا كل يوم وفى الحال اصطلت نيران الحرب والقتال وقامت الحرب على قدم وساق وخمدت من القوم الاحداق فعل ذلك اليوم فعالا لاتطاق وما زالوا فى أشدقتال إلى قرب الزوال وعند ذلك دقت طبول الانفصال فرجعت بنو مرة بالويل والحسرة والمهلهل بالنجاح والنصرة ثم نزل عن ظهر جواده وخلع آلة حربه وجلاده والاعيان والامراء وأكل من زاده ولما جلس فى الصوان نادى على عبده أبى شهوان باحضار المدام إلى الديوان فأحضره بالعجل فتناول منه المهلهل ومن حضر فى ذلك المحفل وعند ذلك تذكر الزير ماجرى له فى ذلك اليوم المهول فأنشد يقول

يقول الزير أبو ليلى المهلهل ... فدمع العين هطال عمانا
قد قتلوا أخى أولاد عمى ... وقالوا ما وراه الا جبانا
ولا يدرون بأسى والتدارى ... قطعتهم لو لم أخشى الزمان
أتتنا فى كليب أولاد مرة ... أتونا واقفين على نسانا
وقالوا كف عنا يامهلهل ... لقد حكمت سيفك فى أذانا
فاطلب ماتريد اليوم معنا ... واتركنا لقد صرنا حزانا

فقلت لهم فرحوا لليمامة رضاها اليوم أحسن من رضانا
قتلنا فى كليب ألوف قوم فما فيهم ردى ولا جبانا
قتلنا من بنى مرة أمارة ملابسها ثياب الطيلسانا
فرحوا الكل قد وقعوا عليها وقالوا عمك أرسلنا عانا
فقالت اذهبوا يا آل مرة فهذا القول ضحك فى الحانا
فأنا لانصالح فى كليب إلا أن نراه على الحصانا
وقد حفروا لقلمانى حوافر وغطوها وقالوا قد كفانا
فركبوا خيولهم وأنزل حدانا وقالوا قد أتانا قد أتانا
وقف جساس مابين الحفاير هجمت عليه أطعنه السنايا
فولى هاربا من هول حربى ومرة قد قتلناه عيانا
رجعنا بالغنايم والسبايا وقد نلنا المقاعد من عدانا
فكونى يايمامة فى انشراح وحظ دائم طول الزمان
وكل صميدع جساس بسيفى فسوف أبيد جساس بسيفى

فلما فرغ الزير من شعره ونظامه شكره جميع أقوامه ولما صبح الصباح رجعوا إلى ما كانوا عليه من الحرب ولما طال اتفقوا على توقيف الحرب وأخذوا مدة شهرين فاتفق بعض الايام كان الزير خارج الخيام ومعه جماعة من الخدام وإذا برجل يقود مهر أدهم كامل الصفات فقال لقائده ماهو أصل هذا الحصان فقال ياحلو الشمائل أنه من الخيل الاسائل أتيت به من أبعد الحلى هدية للأمير مهلهل فقال لقد نلت مرادك الآن فأنا هو المهلهل الذى أنت قاصده ثم أخذ منه الجواد وأمر له بألف دينار فدعا له بطول البقاء وسار من يومه إلى قومه فاعتنى الزير بالجواد وفضله على جميع الخيول واتفق فى ذلك النهار أنه التقى برجل اختيار وهو راكب على دابة سوداء مثل الظلام ووراءها كر ابن سبعة أيام وهو يبرطع فلما رآه عجبه وقال ياشيخ أتبيع هذا الكر قال نعم قال بكم قال ليس على الكريم شرط فأعطاه مايةدينار وأخذه منه وسلمه للسايس فرباه مدة أربع سنوات ثم دخل الزير ذات يوم إلى الاصطبل فنزل الكر وهو متفانى فأمر السايس إخراجه وأن يضع عليه عدةولجام فأخرجه وأسرجه ولجمه فركبه الزير وساقه فرجع إلى الورا فرده اليمين واح شمالا واجتهد أن يمشيه باطلا فغضب ولكزه برجله فى الركاب فتضايق المدوم من فعاله

وضربه بنعاله ضربة عظيمة من شدة الوجع كأنها المدافع فغضب الوزير وتألم وضربه فقتله ودخل إلى صيوانه واجتمع بقومه وقال لقد جربت دنىء الاصل وأكرمته فضاع جميلى معه ثم أنه ركب ذلك الحصان الذى اشتراه فوجده من عجائب الزمان فزادانشراحه به وأمرالسايس أن يسوسه ويداريه وأنشد يقول

يقول الزير أبو ليلى المهلهل	بيوت الشعر مانغلى بمالى
أيا غادى رصيت الخيل تركب	تعالى واستمع منى مقالى
جميع الخيل للحمراء خوادم	شبيه الست تخدمها الموالى
وأما الشقران ماروا فصدق	بنات الراح تسبق فى المحال
وأما الخضر مركوب الامارا	فتركبها الملوك وكل والى
وأما الدهم زبدوهم عليقا	وخيولهم لدهمات الليالى

(قال الراوى) فلما فرغ من كلامه شكره قومه على حسن اهتمامه ثم استعد الفريقين للقتال وجرت بنهم عدة وقائع انتصر فيها المهلهل وكسب أموالا كثيرة وقتل أمراء مشهورين حتى ضعفت بنو بكر وذلت وبعد كسره قلت وأضمحلت وبما فى حالة الذل وإذا بغبار علا وثار قاصد تلك الديار فشخصت اليه الابصار وبعد ساعة تمزق الغبار وبان من تحته الف فارس وكلهم بالحديد غواطس وفى أوائلهم فارس كأنه قلة من القلل أو قطعة فصلت من ذيل جبل وعلى رأسه البيارق والرايات فلما رآه جساس زال مابه من الكدور وأيقن بالفرح بعد الشقا ولما اقترب للعيان وتأملته الفرسان إذا هو أسد الاجام الامير شيبون ابن الامير همام وكان المذكور قد خرج فى جماعة من فرسان الصدام للغزو على بلاد الروم وذلك من عهد وقوع الزير فى البحر كما سبق الكلام فلما عرفوه وتحققوه خرجوا اليه واستقبلوه وفرحوا بقدومه إلى الديار وكان ذلك اليوم عندهم من أعظم الاعياد فذبحوا الذبائح وأطعموا الغادى والرائح وكان أفرح الخلق أبوه همام وأمه ضباع لم يكن لها غيره بعد الذى قتله الزير على بير السباع فلما نزل فى صيوانه بأبطاله وفرسانه خلع عدته وغير بدلته وقامت الافراح والمسرات وأولم جساس وليمة عظيمة لها قدر وقيمة دعا اليها جميع الاكابر وأمراء القبائل والعشائر وكان شيبون قد وجد الامراء والاعيان فى غموم وأحزان عن ذلك الشأن فقال له جساس لاتسأل يا أخى عما أصابنا ودهانا من خالك الزير المهاب لانه لايكتفى بقتل أخيك شيبان حتى جعلنا مثلا بين العربان على طول الزمان فانه فنى رجالنا وأهلك أبطالنا وقد أحرمنا هجوم الليل هدمنا القوى بالحيل كل هذا وهو لا يقبل بالاموال ولا الفدية وها قد أعلمناك وأوقفناك على باطن الطوية فلما سمع شيبون هذا الكلام

صار الضيا فى عينيه ظلام وقد احمرت عيناه وشتم خاله ووعدهم بالمساعدة وأن يكونوا يدا واحدة فى القتال ثم نظم هذه القصيدة وأرسلها لخاله على سبيل الملام والتهديد :

قال شيبون بن همام الأمـــير حامى الزينات قهار العـــدا
مرعب الفرسان فى يوم اللقـا ساقيا أعداء كاس الردى
ضرب سيفى يقطع الصخر المتين ثم يقدح للصخور الجلدا
كل من يبغى قبالى يرتدى ويرتمى فوق الصعيد عددا
لم يبق لى مفارق بالمجـــال حين يلقونى يولوا شردا
وأنت يا خالى مهلهل يا همام شد عزمك للقتـــال إلى غدا
لا تقل يا خالى ما أعلمتنى يا قليل العقل لا تتمردا
ابرز الى فى الصباح ولاقنى ثم ابشر يا مهلهل بالردى

(قال الراوى) فلما فرغ شيبون عن شعره ومقاله ختم الكتاب وأرسله الى خاله مع أحد رجاله فلما فتحه الزير وقرأه وعرف ماحواه احمرت من الغيظ عيناه وقد شفق عليه وتأسف وصفق كف على كف وقال أنه معذور فى هذه الأمور لأنه جاهل مغرور فيقتضى أن ينتصح قبل أن يقتل ويفتضح فأجابه على أبياته يقول :

قال أبو ليلى المهلهل أننى مفرح الكربات فى يوم الزحام
يا فتى شيبون يا ابن أختى ضياع تهددنى فى كتابك يا غلام
ثم تطلبنى إلى سـوق المجال وأنت قصير عن ضرب الحسام
أنت يا شيبون لا أخشى عليك يا حمادة البيض فى ضرب الحسام
احتنى من أن تجهـل يا أمير فالجهل يسقيك كاسات الحمام
اطرد الشيطان ابليس اللعين وانتصح من قول خالك يا همام
لا تخالفنى واسمع ما أقول يقتلك جهلك وما تبلغ مرام
رد عما أنت فيه لا تزيد ان كنت تبغى حربى والصدام
شد عزمك غدا تتلاقى سوى من طلوع الفجر الى وقت الظلام

(قال الراوى) فلما انتهى من نظامه أرسل الكتاب إلى ابن أخته شيبون فلما فتحه وعرف مضمونه مزقه ولم يكترث به وعند الصباح أمر بدق طبل الحرب وركب شيبون وجساس وفعل الزير الفارس والتقوا بابطالهم وتشدد فى قتالهم فبرز شيبون الى ساحة الميدان وتبعته الأبطال والتقى بفرسان تغلب وفعل بهم العجب فما من فارس الا أعطيه وعن

جواده أقبله ثم صاح وطلب براز خاله وكان الزير لما شاهد الفعال حل عليه وقد احمرت عينيه وقال اذهب يا وجه العرب قبل أن يحل بك العطب فقال أين أذهب يا خالى وأنت غاية أمالى فوالله لاقتلك فى هذا اليوم وأطفى أخبارك من بين القوم لا لك طغيت فاغتاظ الزير من هذا الكلام والتهديد والتقا بقلب شديد وجرى بينهما فى القتال مايشيب رؤس الاطفال ولما طال الامر قال الزير أمام الفرسان ارجع يا ابن اختى بأمان قبل أن يحل بك الهوان وتلحق أخاك شيبان فاذهب إلى أهلك وارسل لى أبطال قومك أو عمك فلم يجبه شيبون بكلام بل هجم عليه وكان الزير كلما حكم عليه الضرب فى الحرب يمتنع من أذاه شفقة عليه وإكراماً لخاطر والديه وما زال يطاوله وينصحه بالرجوع عما هو فيه إلى أن أقبل الظلام فعند ذلك توقف القتال ورجعت الابطال عن ساحة المجال ثم التقوا فى اليوم الثانى وكان أول من برز إلى الميدان الامير شيبون فصاح وحمل وطلبه براز المهلهل ونصحه فلم ينتصح بل تقدم وهجم عليه وأشار يقول متهدداً إياه أمام الفرسان الفحول

قال شيبون بن همام الامير	فارس الفرسان فى يوم النكير
استمع ما بقالك مخلص منى ولا	لا بد من قتلك أيا وغداً حقير
ما بقالك مخلص منى ولا	من حسامى اليوم لو أنك تطير
ثم أخذ ثار أعمامى الجميع	كم من بطل صنديد صيرته عفير
ليست لك قلب على أختك يحن	وأولاد عمك ذاقوا منك النكير
كم قتلت منهم خلق كثير	كم يتمت منهم طفلا صغير
سوف تنظر كيف حربى يا أمير	فى لقا الابطال ما لى من نظير
خبرونى حين حضورى أنه	يا قليل العقل تركب للحمير
ما يقتنى الحمار إلا الحمار	ما أنا مثلك ولا عقلى صغير
هات لى سيفك ورمحك والشهاب	هات أبو حجلان كالطائر يطير
حتى أقتلك من حسامى والقنا	وتطلب الجيرة ومثلى من يجير
إن كنت لا تنصح هذا حربنا	ويكون النصر من رب القدير

فلما سمع الزير كلامه اشتد به الغضب وأجاب يقول

قال أبو ليلى المهلهل ثم قال	أنت يا شيبون ما عاد لك مجير
هرجت يا شيبون قولك كثير	الجحش لا يحمل كم يحمل بعير
لو سقيت الجحش من سكر وسمن	ولو خلطت الصنوبر بالشعير

لا عاش أصله ما ينفع معه الجميل ... أكيده هو مجنون من يقتني الحمير
وأنت يا شيبون لو لم تكن حمار ... ما زجعت اليوم إلى حربي تغير
فانى عفوت عنك مبارحة ... من أجل أمك وأبوك نعم النصير
وأنت تعلم أننى سبع الرجال ... قتلت منكم اثنى عشر الف أمير
هذا من غير التوابع والغريب ... تاه فيهم العدد ناس كثير
كم نصيحة أنصحك لا تنتصح ... جاهل سوف تقع فى وسط بير
لم يبق لى ذنب إن أتاك منى ضرب ... يهدى الابدان ما عاد لك مجير
دونك الميدان يا شيبون قم ... شد عزمك لا يكن باعك قصير

(قال الراوى) لم يلتفت شيبون بل حمل عليه حملة أسد الغاب وأخذ معه فى الكر فالتقاه مهلهل بالعجل واشتد بينهما القتال وعظمت الاهوال حتى تعبت من تحتهما الخيل وارتمى منهما العزم ومال بعضهما كل الميل وكان الزير يطاوله ويحاوله واستمرا يتقاتلان ثلاث ساعات حتى تعبت من قتالهما الفرسان وشخصت اليهما عيون الشجعان وكان شيبون يود ان يقتل خاله ويعدمه الحياة ويفتخر بقتله على الابطال إلى أن استغنم الفرصة فهز الرمح وطعنه بين ثدييه فخلى منها المهلهل فراحت خائبة بعد ما كانت صائبة وزاد الزير الغضب وتوقد قلبه والتهب وصمم أن يسقيه كاس العطب فجذب سيف حكمون وقال اليوم أريك يا مجنون كيف الضرب يكون لانى نصحتك فلم تقبل فأنت الخسران ثم تقدم وهجم عليه وضربه على رأسه شقه إلى تكة لباسه فوقع قتيلا فلما رآه المهلهل وهو قتيل يتململ ندم على ما فعل فتحسر وهطلت دموعه وعندما قتل الامير شيبون احمرت من بنى مرة العيون وأيقنوا بالهلاك ولكنهم أخفوا الكمد وأظهروا الصبر والجلد وقاتلوا قتال الاسود وطلبوا الرايات والبنود فالتقاهم الزير بالعساكر وضرب فيهم بالسيوف وأحاط بهم إحاطة السوار بالمعصم وقتل منهم مقتلة عظيمة وأصاب غنائم جسيمة فلما رأى جساس ضعف حاله وموت رجاله ولى يطلب الهرب خوفاً من العطب وتبعته فرسان العرب وقد بصروا العجب من قتال بنى تغلب ورجع منهم الزير وهو حزيناً على فقد ابن أخته الامير شيبون فنزل فى صيوانه مع الامراء والاعيان ولم يكن له دأب إلا البكاء والانتحاب ولما زاد به الحزن وضاقت منه النفس أنشد هذه الابيات

الزير أنشد شعراً من ضمائره ... العز بالسيف ليس العز بالمال
شيبون أرسل نهار الحرب يطلبنى ... يريد حربى وقتلى دون أبطالى

فنصحته عن قتالي لم يطاوعني ... بارزته فثوى للأرض بالحاله
المال يبنى بيوتاً لاعمالها ... والفقر يهدم بيوتاً سقفها عاله
دع التقادير تجرى فى أعنتها ... ولا تبيتن الا خالى البال
ما بين لحظة عين أنت راقبها ... يغير الله من حال الى حال
فكن مع الناس كالميزان معتدل ... ولا تقلن دا عمى ودا خالى
عم الذى أنت مغمور بنعمته ... خالى الذى أنت من أضراره خالى
لا يقطع الرأس الا من يركبه ... ولا ترد المنيا كثرة المال

فلما فرغ الزير من كلامه انطرح على فراشه ولما بلغ قتل شيبون أبوه همام وأمه ضباع احترق قلبهما عليه لانه كان وحيد همام بعد شيبان أخيه وكانت الفرسان قد أتت بجثته اليهما فبكيا البكاء الشديد ومزقا عليه الثياب ثم واروه فى التراب وفى ثانى الايام ركب همام لقتال الزير وتبعه جساس والابطال وبلغ مهلهل الخبر فركب فى أبطاله ولما التقى الفريقان برز همام الى الميدان وطلب المهلهل وكان قد وضع لثام على وجهه حتى لا يعرفه فبرز اليه المهلهل وهو لا يعلم أنه الامير همام فاقتتلا ساعة وكان همام قد ضرب الزير بالحسام قاصدا أن يسقيه كاس الحمام فخلى الزير منها فراحت خائبة ثم هجم عليه وطعنه بالرمح فى صدره فوقع على ظهر الجواد كانه طود من الاطواد فالتفت الى الزير وهو على آخر رمق آه يا مهلهل لقد قتلت أمس ابن أختك واليوم قتلت همام صهرك فلما سمع الزير هذا الكلام تنغص عيشه وتكدر وقال له ياهمام ما عاهدتنى أن لا نقاتل أبدا وأن نكون أصحابا فلماذا خاطرت بنفسك وأنت تعلم أنك لست من رجالى قال لقد جرى القلم بما حكم وانقضت حياتى ودنت وهذا الامر مقدر بامر الله ومادام الامر كذلك يافارس المعارك فكف عن هذا الحرب واجعلنى فدى أختك فقال والله يعز على فقدك وقد تكدر صفو عيشى من بعدك ولكنى لا أكف الحروب والصدام حتى لا يبقى من أبى بكر أحد ثم هجم على المواكب وفرق الكتائب فتاخرت الفرسان عن قتاله ورجعت الى الوراء وهى بحالة الذل والانكسار ولما بلغ ضباع قتل بعلها ضاع عقلها وعظم مصابها فصارت الى بنى تغلب ودخلت على أخيها الزير وقالت له غاضبة أهكذا تفعل ياأخبث العرب تقتل أولادى وبعلى وتحرمنى أهلى وأبقى حزينة أهكذا تكون الاخوان فواحق الإله القادر على كل شىء أن موتى يامهلهل عندى من الحياة أفضل فانك نسيت الجميل والمعروف وقابلتنى بالغدر والمتلوف بعدأن

خلصتك من الحريق فلما سمع الزير منها هذا الخطاب أظهر الحزن وتلقاها بالإكرام ثم أعتذر لها بذلك الغلط وأخذ يطيب خاطرها ويعزيها عما فرط وأمرها أن تكن عنده بخدمها وحواشيها فامتثلت كلامه وأقامت من ذلك اليوم فى بيت أخيها ولما عظم الأمر على جساس وبنى بكر وكثر فيهم القتل أرسلوا يستنجدون أهل اليمامة فامدوهم برجل منهم يقال له الفهد بن سهل وكان يلقى نفسه بالمخاطر ويصيد الأسود الكواسر فسار الى مساعدة القوم وقد انتخب سبعين فارسا من الشجعان يقاربوه بالشجاعة والفروسية وكانت أهله قد كتبت اليهم تقول قد مددناكم بعشرة آلاف فارس من الفحول وبهم تنالون القصد والمامول فلما قدموا الى تلك الأطلال ورآهم جساس وباقى الأبطال اعتراهم الانذهال فانهم لم يروا أكثر من سبعين تحت راية العبد الأسد العرين فقالوا أين جماعتكم الباقين فقال العبد أنا بسبعة آلاف بطل فارس ورفاقى بثلاث آلاف بطل مداعس فتبسموا من هذا الكلام والتقوهم بالاكرام وذبحوا النوق والأغنام ونصبوا لهم المضارب والخيام ثم استعدوا للقتال فسمع بهم المهلهل فغضب وزحف من يومه فى فرسان قومه فالتقته بنو بكر فى مكان يدعى عقبة الريحان ولما تقارب العسكران قال الحارس بن عباد وكان من الفرسان الأجواد الى جساس هل تطيعنى أيها الأمير فيما أشير قال قل ما بدالك قال ان القوم مستخفين بقتالنا وذلك لضعفنا وقلة رجالنا فتماتلهم بالنساء مع الرجال فتبلغ منهم القصد فقال جساس وقد اعتراه الانذهال مامعنى هذا الكلام وكيف تقاتل النساء مع الرجال قال انك تحلق رؤوس الفرسان وتجمع البنات والنساء اللواتى اتصفين بالشجاعة فتحملهن الماء بالقرب وتعطى كل منهن مطرقة من خشب وتصفهن خلف الرجال وقت الحرب فان هذا مما يزيد الأبطال نشاطا فى ساحة المجال فاذا خرج منكم أحد الناس يعرفنه من رأسه فيسقيه الماء فينعشه واذا مررن بالعدو عرفنه فاستصوب جساس رأيه واستحسنه وفى عاجل الحال جمع النساء والرجال وعرض عليهم ذلك الأمر فامتثلوا وأجابوا أمره وما كان يومئذ من بنى بكر أحد الا حلق رأسه واستعد الا رجلا اسمه ربيعة بن مروا وكان زميا قصيرا وفارسا خطيرا فقال يا قوم انى قصير واذا حلقت رأسى أصير معيرة عند الكبير والصغير فدعو لى لحيتى يا سادات العرب وأنا أبلغكم الارب وأضمن لكم قتل خمسة فوارس من تغلب فاجابوه الى ما طلب ولما التقى العساكر بالعساكر تضاربوا بالسيوف والخناجر وأنصبت تغلب على بكر كليوث الآجام والهوم بضرب السيوف فارتد بنو بكر طالبة الانهزام فاشار جساس وفى يده الحسام

وصاح بصوت كالرعد وقال يا ويلكم ارجعوا وقاتلوا بهمة وعزيمة فإن الموت أفضل من المزيمة فارتدت بنو بكر بعد الانفلال إلى الحرب والقتال وضموا خيولهم وطلبوا المكافحة والمجادلة وصاح الفند بن سهل والتى نفسه فى الميدان وهو ينخى الابطال ويصيح على الرجال ففرق المواكب وأظهر فى قتاله العجائب فلما رأى المهلهل أعماله برز اليه وطلب قتاله فالتقاه الفند بقلب كالحديد وهجم عليه هجوم الصناديد وما زالا فى عراك شديد وحرب ما عليه من مزيد إلى ان صار وقت الزوال فتوقفا عن الحرب والقتال وافترقت العساكر عن بعضها البعض ونزلت فى جوانب تلك الارض وكان ربيعة الذى لم يحلق رأسه من بنى بكر قد قاتل قتالا شديدا حتى أثقلته الجوارح من ضرب السيوف والرماح فوقع طريحاً بين القتلى على وجه الفلا فمرت عليه نساء بنى بكر فوجدته ذا لحية طويلة الشعر فحسبته من بنى تغلب فضربته بالمطارق حتى أوردته موارد العطب فضربت فيه الامثال وتحدثت السنة الرجال (قال الراوى) وعند الصباح ركبت الفرسان ظهور الخيول واعتقلت بالسيوف وتقدموا إلى ساحة الميدان للضرب والطعان وكان المهلهل فى أول الجحفل كأنه قلة من القلل أوقطعة فصلت من ذيل فصاح وهو ينشد ويقول

شفيت النفس من أبناء	وأهلكت سد الحواسد والاعادى
ويشكر قد عزمناها وذهلا	باسياف مهنـــدة حداد
وهمام بن مرة قد تركنا	سريعا فى الفلاة عنى الوهاد
تركت الطير عاكفة عليه	كشىء هالك من عهد عاد
إذا ما الخيل والابطال جالت	هزمت جموعاً فى كل وادى
بضرب تذهل الابصار منه	وطعن مثل أفواه المزاد
وكل مجرب بالحرب ليث	إذا ما جال فى ظهر الجواد
على أن ليس يول كليب	إذا سرنا إلى يوم الطراد
هلموا يا بنى بكر هلموا	فإن بقتلكم يشتـــاق فؤادى
وإنى سوف أفنيكم جميعا	وأبلغ منكم نيل المرادى

ثم أنه بعد هذا الشعر والنظام هجم على جيوش الاعداء الآجام وضرب فيهم الحسام وتبعه امرؤ القيس وكان صنديد طعان واشتد بين الفريقين القتال وكثرة القيل والقال وتمددت الفرسان على وجه البطاح ساروا تحت الارض من قعقعة السلاح وصهيل الخيول وكان الفند قد حمل على المهلهل وقاتل حتى استقتل وفعلت فرسانه مثله وبذل جهده

فى ذلك اليوم المجهود وهجم بقومه على الرايات والبنود وهجوم الاسود واشتد على مهلهل القتال وحاطت به الاعداء من اليمين والشمال وهو يقاتل ويمانع وينخى رجاله عن الثبات ويدافع حتى جرح فى ثلاثة مواضع فلما زاد عليه الحال وازدحمت حوله الرجال تاخر عن ساحة المجال خوفا من الهلاك والوبال وانكسرت بنو تغلب فى ذلك النهار أشد انكسار وتفرقت واستظهرت عليهـــا بنو بكر غاية الاستظهار وقتلت جماعة من الامراء والاعيان وصناديد الفرسان ومن جملتهم ليث الميدان وزينة الشجعان امرؤ القيس بن ابان وكان من الاعيان صيته محمود مشكور وهو غير امرؤ القيس الشاعر المشهور فبكى المهلهل عليه وكان يحبه ويميل اليه ورجعت بنو بكر الى الديار وهى فى غاية الفرح والاستبشار على ذلك الانتصار وفى أوائلها الفند بن سهل الاسد الكرار وهو ينشد مفتخر فى ذلك اليوم المهول :

عجلا اليوم صاحبى الرواحا ... وأسقيانى قبل المدامة راحا
أين ليلى وأين ليلى وليلى ... أعشقت قلبنا المدامة ملاحا
لا ترى عاشقا تعلق ليلى ... ويلاقى العذاب منهم مباحا
لقيت تغلبا كعصبة أعاد ... إذ أيامهم هو العذاب صباحا
ونهيناعن حربنا تغلب الشرم ... فا عاقت البلاء والبلاء مناحا
دون أن أبصرت خيولا لبكر ... وخيولا هندية ورماحا
فمتلنا بواردات رجالا ... إذ بدا كاتم الضمير قباحا
سفهوا حلمنا فلما أثاروا ... للقاء الكماة طاحوا طيـاحا
ورجعت تغلب تعيد كليبا ... فاطحنا سراتهم حيث طاحا
قد تركنا نساءهم نادبات ... معلنات مع البكاء النواحا
وتركنا دير تغلب قفرا ... وكسرنا من العدو الجناحا
وترى الزير يكثر القول فينا ... بعد ما صار مزدا مستباحا

ولما بلغ المهلهل هذا الشعر زاد حنقه على آل بكر وبات تلك الليلة على مقالى الجمر ثم جمع باقى الفرسان وتقدم للقتال فالتقته بنو بكر بقلوب كالجبال وجرت بينهم وقائع وأهوال لم يسمع بمثلها فى سالف الاجيال واستمر هذا الحال مدة عشرة أيام وكان المهلهل قد انتصر فى أكثر الوقائع ولما كثر القتل بين الفريقين اتفقوا على توقيف الحرب مدة شهرين فافترقت الفوارس عن بعضها ونزلت كل فرقة فى أرضها .

(خبر ظهور الجرو بن كليب الفارس الدعاس)

(قال الراوى) وكان لما قتل كليب كما تقدم الكلام وكانت امرأته الجليلة حاملة بهذا الغلام فلما طردها الزير وجاءت إلى عند جساس أخيها ولدت غلاما فسمته الجرس ولقبوه بالجرو وكان مع اخواله بنى مرة وأولادهم وكان خاله فشفق عليه وقد أحب خاله جساس دون باقى الناس ونشا الغلام ذا عقل وأدب وأحبته جميع العرب لفصاحته وبراعته وشجاعته فكان يركب ظهور الخيل ويتعلم عليها الفروسية فى النهار والليل فبرع واشتهر بين فرسان القبيلة فلما بلغ خمسة عشر عاما زادت شهرته وارتفع مقاله فرآه جساس فى بعض الايام وهو كأنه ليث الاجام والشرر يتطاير من عينيه فلا يقدر أحد عليه فاندهش وخاف منه وارتعش وكان يتامل فى أمره ويخاف سطوته حيث أنه قتل أباه بالغدر وتركه يتيما مدى الدهر واتفق ذات يوم أن الجرو ركب فى جماعة من الشبان وأخذوا يلعبون بالجريد فى الميدان وكان من جملة الغلمان عجيب بن جساس وكان شديدا فطعن عجيب الجرو طعنة مال عنها فراحت خائبة ثم أن الجرو تقدم نحو عجيب وطعنه بجريدة أصابته فالقته عن ظهر الجواد الى الارض فنهض غضبانا فشتم الجرو وأهانه بالكلام وقال هكذا تفعل يا ابن اللئام بابناء السادات الكرام ثم أشار يهدده بهذا الشعر والنظام

يقول عجيب من قلب موجب	ألا يا رفاقى حالى عجيب
ضربنى الجرو منه الى بجريدة	فادمانى وصيرنى تثيب
ولم يعلم بانى خير ماجد	ولد جساس قرم مستهيب
ولولا عمى لقطعت رأسه	وأدعيته على الغبراء قليب
فهذا ولد كليب من أعادى	وماضد الكلاب الا القضيب
دعوه يروح عنا لا يماطل	ويذهب بسرعة قبل المغيب

(قال الراوى) فلما عجب من شعره ونظامه وفهم الجرو كلامه أجابه على شعره وقال

يقول الجرو اسمع يا ابن خالى	كلامك ليس يسمعه أديب
تقول اليوم نقتلنى بسيفك	وتتركنى على الغبراء قليب
اذا أبصرنى يوما فريدا	فتقتلنى بسيفك يا عجيب
فانزل عن جوادك	وافعل ما تريده من قريب
وافعل ما تريد اليوم فينا	فانى لا أخافك يا عجيب

فلما فرغ الجرو من كلامه واذا بسلطان أخو جساس مقبل عليهما فوجد الدم يسيل من ابن أخيه جساس فلما علم بواقعة الحال اغتاظ غيظا شديدا وشتم الجرو وسبه

وقال له والله لولا كرامة أمك لقطعت رأسك وأخذت أنفاسك

فقال يا خال ما أنا واقف بين يديك فافعل بي ما تريد ثم هطلت عيناه بالدموع وتنهد من فؤاد موجوع وسار إلى أمه أعلمها بما جرى وطلب منها الرحيل من تلك الديار فتكدرت أمه لكدره وأجابته إلى طلبه ثم أنهما صبرا حتى أظلم الليل فهد المضارب والخيام وسار تحت جنح الظلام جماعة من العبيد والخدم وجد في قطع البراري والآكام مسافة عشرة أيام واتفق في اليوم الحادي عشر أنهما التقيا بشيخ في ذلك البر وهو راكب على فرس تسابق الريح وكان بمعيته عشرة أبطال من صناديد الرجال وكان قد خرج لصيد الوحوش والغزلان وهو راجع الى الأوطان فتقدم الجرو اليه وسلم عليه فرد الشيخ وقال له أيها الفتى من أين أتيت والى أين قاصد فقال طردوني أهلي وربيت يتيم وأنا طالب انسان كريم التجأ اليه وعنده أقيم فقال الشيخ اذا كان الأمر كما تقول فشرفني الى الأطان وأنا أفديك بروحي ومالي وأشار اليه يقول

يقول أمير منجد في قصيد	لا يا قصيد نيل المآرب
شرف منزلي وأمر عبيدك	يردون الأباعر والنجائب
بكم قد حلت البركة علينا	وزال الشر عنا والمتاعب
فقل لي ما تلاقوا أين سرتم	وعندي تبلغوا كل المطالب
أنا منجد فمن نسل أكارم	أبي وائل فينا وما فينا معائب
ألوف ألوف يخدمني وتخضع	لأمري في المشارق والمغارب
أنت بقيت بعد اليوم ابني	ولست اليوم في قولي بكاذب

قال وكان هذا اسمه منجد بن وائل وهو خال كليب وقد كنا ذكرنا عنه أول الكلام فانه بعد قتل ربيعه أبو كليب استخدم أخوته الثلاثة عند التبع في بلاد الشام ولما قتل التبع حسان ولى وهرب وسكن في آخر بلاد العرب خوفا من كليب أن يقتله كما قتل باقي اخوته لأنه كان يبغضه دون أهله وعشيرته فلما فرغ منجد من شعره فهم الجرو فحوى كلامه فرح واستبشر ورجع الى أمه وأعلمها بما جرى ثم أنهم ساروا مع الأوطان ونصبوا هناك المضارب والخيام فأكرمهم منجد غاية الاكرام وأنزلهم في أعز مقام وكان لهذا الشيخ عشر أولاد ذكور كأنهم البدر فائتلفوا الجرو وأحبوه وكانوا لا يفارقوه وكانت الجليلة عرفت الأمير منجد حق المعرفه وكتمت الأمر عن زيد وعمرو خوفا من العواقب واجتمعت الجليلة بابنها وقالت له اذا سألك أحد عن اسمك فقل اسمي الهجرس ولا تقول الجرو فقال أن الاثنين بمعنى واحد فاهو مرادك بذلك

فقالت وان يكن المجرس كلب الصياد فانه أصلح الجرو وأنت أمير وأبوك كان من الفرسان المشاهير ومن ذلك اليوم تسمى بالمجرس بن العرب وكانت خائفة عليه فاجتمعت ذات يوم بشيخ عبيدها وكان اسمه صبيح وأشارت اليه تقول

تقول الجليلة بدمع سجام أيا صبيح اسمع الكلام
فهذا الشيخ الذى تراه مكيد الاعادى بضرب الحسام
يسمى منجد صميدع عنيد ولد وائل وفى الذمام
فهو أمير وابن أمير حوله عساكر كفيض الغمام
فهذا خال كليب الامير مع سالم الزير قرم همام
فهو خالهم قد عرفته سريع مكيد الاعادى بضرب الحسام
وهو خال زوجى ولكن عدو كيف العمل الآن سرنا انضمام
وأصل العداوة كليب أمير قتل اخوته فى دمشق الشام
قتل اليمانى وأخذ ثار أبوه وأهلك منجد ونال المرام
وبحق الآن نزلنا عليه عرفته وقد اعترانى السقام
إنى أخاف على ابنى حقيقى يهينه ويدعى دمه سجام
عدواك إياك تركن اليه ولو أنه سقاك المدام

فلما فرغت وفهم العبد فحوى كلامها قال لها أين نتوجه الآن وقد صار لنا عندة مدةمن الزمان والصواب أن نكتم أمرنا عن كل لسان حتى يفرجها الرحمن واستمروا مدة فى تلك القبيلة وهم فى أرغد عيش وأحسن حال إلى أن كان فى بعض الأيام أغار على الامير منجد بعض ملوك العربان ثمانين ألف عنان فالتقاه منجد فانكسر حتى آل أمره إلى الدمار وتلك الافعال وما حل بمنجد من الاهوال برز إلى ساحة القتال قاتل الشجعان ففرق الصفوف والمواكب وكسر ذلك العسكر وفعل أفعالا تذكر وعند رجوعه من معركة القتال بالانتصار شكر منجد على تلك الفعال وقال له منك تكون الرجال فوالله لقد حميت الحريم وطردت الغريم وخلدت الك ذكراً جميلا طول الدوام وعند وصولهما الى سراية الاحكام وجلوسهما فى الديوان قال له منجد بحضور السادات والاعيان مثلك تكون الفرسان فاخبرنى عن حسبك ونسبك ومن تكون قومك وعربك وأشار اليه يقول وعمر السامعين يطول

على ما قال منجد من ضميره أيا مجرس أجبنى على سؤالى

وأعلمنى باسمك يا مدلل ... واسم أبوك يا زين الرجال
وماهى كنينك بين القبائل ... ومن أى المكارم والمعالى
بحق الله خبرنى حقيقا ... أيا حامى النساء يوم القتال

فلما سمع الجرو فحوى كلامه وما أبداه فى شعره ونظامه شكره على ذلك بهذا القصيد وعمر السامعين يقول

ألا يا فخر الأماجد فى الرجال ... فاسمع يا ملك فحوى مقالى
أنا اسمى اليتيم أيا مسمى ... ولا أعرف أبوى ولا خوالى
وانى قد سألت أمى مراراً ... فتسكت لا ترد إلى سؤالى
تقول أبوك شاليتين بن مره ... قتله الزير فى يوم النزالى
فأطلب من إله العرش ربى ... لآخذ الثأر منه بالقتال

(قال الراوى) فلما فرغ الهجرس من كلامه زاد منجد فى احترامه ونهض على الأقدام واعتنقه أمام السادات وقال أنت من بنى مره أصحاب الشجاعة فعربك من عربى ونسبك من نسبى فوالله ما ضاع نظرى فيك فأطلب من الله أن يحفظك وينصرك على حسادك وأعاديك ومن ذلك الوقت زاد فى إكرامه ورفع مقامه وأقامه ملك على الديار وصار له من مزيد الاعتبار والوقار عند الكبار والصغار وكان لنجد بنت بديعة الجمال كأنها الهلال ذات عقل ثاقب ورأى صائب لا يوجد مثلها فى العرب والأعاجم اسمها بدرباسم فزوجه إياها وتمتع الجرو بحسنها وبهاها وكان فى أرغد عيش وأحسن حال وهو يحكم على تلك الأطلال محبوبا من الجميع (قال الراوى) هذا ما كان من الهجرس وأمه الجليلة وماجرى لها فى القبيلة وأما جساس فانه بعد رحيل اخته من الديار زادت أكداره وكان كثيرا يتذكرها فى الليل والنهار فاتفق فى بعض الأيام بينما هو جالس فى خيمته إذ دخل عليه بعض الشعراء فسلم عليه وعلى الأمراء وأخذ يمدحه بهذا الشعر والنظام على جارى العادة فى تلك الأيام.

قال جابر فى بيوت صادقة ... أنت يا جساس رب المكرمات
سمعت فى صيتك أنا ياذا الأمير ... فى الكرم والجواد يا فخر الذوات
أنت ملك البلاد جميعها ... حاكما فى الارض من كل الجهات
قاتل للصد فى يوم الوغى ... مكرم للضيف سنة المحملات
لولاكم ما كنت جيت لارضكم ... ما كنت فارقت العيال مع البنات
أنت يا جساس ملك البلاد ... مع أخواتك وشقيقاتك السيدات

وتركت أختى يا ملك وأولادها · وزوج أختى يا ملك هذا العامرات
أولاد أختى يا ملك سبعة ذكور · عند أولادى وفى أهلى ثبات
جرو هـذا الدهر يا ملك عجيب · كم له فى كل يوم تقلبات

(قال الراوى) فلما فرغ جابر من شعره ونظامه وفهم جساس فحوى كلامه أمر له بالف دينار وأمر باكرامه التفت عليه أخيه سلطان وقال له أمام السادات والأعيان أسمعت كلام الشاعر الذى يدور القبائل ويمـدح السادات والأكابر أملا بالمكاسب وبلوغ المآرب كيف أنه ذكر أخته فى شعره ولم ينسها فى سفره فكيف نحن نكون سلاطين الزمان وملوك العصر والأوان ونترك أختنا تغضب منا وتبتعد عنا ولا نعلم الى أين ذهبت وأى قبيلة طلبت فاذا تقول عنا هؤلاء الملوك اذا سمعت عنا ذلك فمن الواجب أن نقتفى أثرها ونعيدها الينا معززة مكرمة ثم أنه بكى وبكت أخوته لبكائه وندم سلطان على ما فعل ثم التفت جساس على ذلك الشاعر وقال له أنت تطوف حول العرب وتمدح الملوك وأصحاب الرتب فاريد منك أن تستقصى لنا عن أخبار الجرو وأختى الجليلة وتعلمنى الى أى جهة قصد وعن اسم تلك القبيلة فان أتيتنى بصحة الخبر بلغتك الأمل فامتثل الشاعر الى أمره وسار على عجل يطوف الحلل ويستقصى عنها الأخبار من الشعراء والتجار حتى سمع بخبرهما ووقف على حقيقة أمرهما فقصد الى ذلك المكان واجتمع بهما فى الصيوان وحدثهما بما وقع فى حقهما من جساس وسلطان ثم أشار يمـدح الجرو يقول وهو فرحان على بلوغ القصد والمامول

يقول جبر من قلب حزين · بدمعى سال من وسط الآماق
أدور على القبائل والعشائر · لاحظى بالمكاسب والنياق
فاصغى يا أمير لى كلامى · فانت أجل فرسان السباق
وصيتك شاع فى كل القبائل · فمن يمن الى أرض العراق
ومالك فى البرايا من شبيه · ونجمك فوق هام المجد راق
سالت الله أن يحفظ جنابك · على طول المدى والدهر باق
رحنا من حماة لعند خالك · ملك جساس سلطان الآفاق
فاهدنا وقد أنعم علينا · وقلبه من بعادك فى احتراق
وأرسلنى لأكشف أين أنتم · ليحظى بكم بعد الفراق

قال وكانت الجليلة تسمع كلام الشاعر من وراء الحجاب فما هان عليها تسمع ذكر اخوتها الذين كانوا سببا لفراقها من حلتها فامرت كبير العبيد أن يوقف الشاعر عن اتمام القصيد

وأن يكتم خبرهما وهذا خوفا من الفضيحة والانتهاك ثم أمرت له مع ولدها بألفى دينار فخرج الشاعر ورجع على الاثر وأعلم جساس بذلك الخبر فارسل فى الحال أخوه سلطان فى جماعة من الابطال ليأتوا باخته الجليلة وابنها الجرو من تلك الاوطان فلما اقترب سلطان إلى تلك الاوطان أرسل بعض الفرسان يعلم منجد بقدومه الى أوطانه فخرج فى الحال فى جماعة من فرسانه فالتقاه أحسن ملتقا لانهم كانوا أقارب وأصدقاء وأنزله فى سراية الاحكام وذبح له النوق والاغنام وفى الايام اجتمع سلطان باخته الجليلة وولدها الجرو واعتذر لها عما فرط منه وطلب منهما الرجوع الى الديار وشدد عليهما فاجاباه الى ماطلب وأعلم الجرو الامير منجد بانه يريد الرجوع الى أهله وعشيرته مع أمه وزوجته ومن يلوذ به من جماعته لان نفسه قد اشتاقت للوطن فقال منجد والله يا أمير يعز علينا فراقك ولا زالت أرواحنا فى كل وقت تشتاقك لكننا لانقدر نمنعك عن أهلك وأصحابك وبنى عمك ثم أعطاه مائة ناقة محملة من النفائس والاقمشة ومائة جواد وغير ذلك من المعادن والجواهر ومائة عبد ومائة جارية وأركب بنته زوجة الهجرس على هودج كبير وسار لوداعهم مسافة نصف يوم ورجع الى الديار وسارت الهجرس مع أمها وزوجها يقطعون القفار حتى وصلوا الى منازل بنى مرة فالتقاهم جساس بالفرح وأمر بذبح الذبائح وأطعم الغادى وأشار للجرو يقول وعمر السامعين يطول

لما قال الفتى جساس صادق	ألا يا مرحبا بك يا ابن أختى
فبيكم حلت البركة علينا	وضاء الحى فى قربك الينا
وأملك يا فتى عينى وروحى	وعمرك يا جليلة ما فرحت
فابنك قدغدى كالسبع كاسر	فان الجرو للاعداء كاسر
بيوم الحرب بالاهوال جاسر	إله العرش أرجعه لتختى
فلا تعيب على سلطان خالك	ولا قوله سيخطر قط ببالك
فلا ابنى ولا نحن مثالك	أنا ساحكمك قط فوق تختى
أنا أبكى على المرحوم أبيك	قتله الزير فى ربعك وحيك
فقم اركب الايا روح أخيك	واشخت للمهلهل أى شخت
سالت الله أن تاخذ بثارك	بقتل الزير تكشف عنك عارك
مرادى بقتله تاخذ بثارك	وتحرقه بنارك يا ابن أختى

(قال الراوى) فلما فرغ جساس من شعره ونظامه تبسم الجرو من كلامه وقال كن مطمئن الخاطر يا خال من هذا القبيل فلابد لى من قتله عن قريب هذا ما كان من الجرو وجساس وأمه

الزير الفارس الدعاس فانه بينما كان راقد ذات ليلة إذ رأى فى منامه أن أخاه الامير كليب يعاتبه بهذه الابيات على أخذ الثار وكشف العار يقول وعمر السامعين يطول

تنام الليل كله يا مهلهل ونارى ما قدرت على وفاه
وعظمى ذاب حتى صار كلا وجساس بن مرة فى الحياة

فأجابه الزير يقول

أمير كليب ما قصرت يوما بأخذ الثار من قوم البغاة
فقم واسأل بناتك يا حبيبى على طعنى وفعلى فى العداة

(قال الراوى) فاستيقظت بنات كليب من المنام وأيقظ عمهم بهذا الشعر والنظام

يقولون اليتامى يا مهلهل أتانا كليب يستنجد أخاه
كليب قد قام من وسط المقابر وصار كليب وسط الجياد

(قال الراوى) وكان الزير قد استيقظ من منامه فقال لبناته رأيت أباكن فى المنام ثم حدثهن بما رأى بالتمام فبكين بكاء شديدا فقال الزير إن هذا المنام يدل على أمر عجيب فاستدعى بعض الرمالين وقص ذلك المنام عليه فضرب الرمل ورسم الاشكال وولد البنات من الامهات وعرف حقيقة الخبر فقال له لك البشرى يا فارس الصدام فان جساس عرفه يقتل بعد أيام وذلك من يد شخص يظهر منه لحمك ودمك وأشار يقول وعمر السامعين يطول

يقول بشير اسمع يا مهلهل أيا سالم فابشر زال همك
أتاك النصر من رب البرايا إله العرش بالخيرات عمك
ضربت الرمل لاجلك يا مسمى لاكشف عنك همك ثم غمك
فقد نظرت رسوم الرمل عندى سيظهر شخص من لحمك ودمك
فيقتل فى الوغا جساس حالا وانت تزجه ويزول همك
وتهلك بعده أولاد مرة وتسقيهم جميعا كاس سمك

فلما سمع كلام الرمال فرح واستبشر ثم قال له ان تم كلامك هذا البشر منى لبلوغ مرامك ثم أحسن اليه ووعده بكل شىء وعند الصباح ركب المهلهل الى الحرب وتبعته الابطال والفرسان وركب أيضـــا الامير جساس بالفرسان واقتتلوا طول النهار وقتل المهلهل منهم عدداً كثيراً وما زالو فى أشد قتال الى أن دقوا طبول الانفصال فافترقت الطوائف عن بعضها ونزلت كل فرقة فى أرضها وأما الهجرس فانه لم يركب مع جساس واجتمع جساس باخته الجليلة وقال لها أن ابنك لم يقاتل معنا ولم نعلم ماهو السبب فاسأليه

وأعلى بما يقول فسالته أمه من عدم خروجه إلى الحرب فقال لها يا أماه أنه لا يلقانى الى قتال الزير سوى حصان خالى جساس الأخرج فان وهبنى أياه فانا أعطيه عوضه رأس المهلهل فان قبل هذا الطلب بلغته الأرب فرجعت الجليلة وأعلمت أخاها بهذا الخبر فوهبه الحصان وقال له ان أنت قتلت لنا هذا الشيطان تكون علينا ملكا ونحن لك غلمانا وأعوانا ففرح الجرو بذلك الجواد وضمن لخاله قتل الزير أمام الفرسان والقواد ولما أصبح الصباح ركب الجرو الحصان المذكور وتبعه كل فارس مشهور وكان المهلهل قد حمل وطلب وبرز الفرسان وقال أين جساس فبرز الى الميدان وبرز الجرو وهجم عليه فاشار يقول

قال هجرس يا مهلهل أن عزرائيل ... أقبل أين تغدى اليوم منى

سوف تلقانى وتقتل لاتحسفنى ... بظنك أنى كنت جاك أول

(قال الراوى) فلما فرغ الجرو من شعره حمل عليه وكان المهلهل قد مال قلبه اليه وتحركت له جميع أعضائه باذن الله هذا والهجرس قد قصد قتله ليوفى الجساس ضمانه وكان الزير يبطل مضاربه بحسن اختباره وكان يطاوعه قلبه على قتله وما زالا على تلك الحال وهما فى عراك وقتال الى المساء فرجعا عن ساحة المجال ورجع المهلهل الى الاوطان واجتمع ببنات أخيه كليب وأعلمهن بحديث الغلام وما جرى بينهما فى معركة الصدا وكيف أنه أشبه الناس بأبيهم كليب فى الصورة والقتال ثم قال لليمامة علمنى هل كانت أمك حامل لما ذهبت من عندنا فقالت نعم ياعمى كانت لها شهرين فما معنى هذا السؤال فانشد يقول

يقول الزير أبو ليلى المهلهل ... مربع الخيل ان قصدت الينا

يمـــامة اسمعى منى كلامى ... أيا ست المـــلاح المحسنينا

برزت اليوم للميدان حتى ... أقاتل آل مرة أجمعينـــا

فبارزنى غريب منهم ... له عزم كما الصخر المتينـــا

كمثل أباكم وجهـــا وحربا ... فذكرنى ليالى الماضينـــا

فقـــد قاتلته فى كل لطف ... وهو يطعن طعان القاتلينا

فحملاته وطعناته قوية ... تقد الصخر الزرد المتينـــا

فلما انتهى دياب من كلامه أجابته اليمامة تقول

ألا ياعم اسمـــع ما أقوله ... لتفهم ســـالم الخبر اليقينـــا

فامى حاملة من يوم راحت ... وحق الله رب العالمينـــا

وليس أدرى ايش جابت ... أبنت يا غـــلام يا فطينا

ثلاث أشاير لى فى كليب ... أشارت بعقلى راسخينا

وركبت يوما بقرب البيت مهرة　　وقال أيا يمامة أنظرينه
من التفاح أعطانى ثلاثة　　وقال بذى الثلاثة أضربينه
فانك سوف تحتاجى اليوم　　اذا ظهرت لنا حقا بنونا
ضربته بواحدة ياعم راحت　　بضرب ركابه صارت طحينه
وثانى واحدة فى رأس رمحه　　وثالثهم خطفها باليمينا
عد أزل وضربه ثلاثة　　كفعل أبى أيا عمى الحنونا
يكون أخى اذا سوى نظيره　　وان خالف يكن غريب فينا
عسى الله يدركنا بلطفه　　وينصرنا إله العالمينا

(قال الراوى) فلما فرغت اليمامة من شعرها ونظامها وعمها يسمع كلامها قال لها متى فعل أبوك ذلك قالت قبل موته بشهرين لما كنت أنت على بير السباع وقد صممت الآن أنى أرافقك إلى الميدان وأضربه بالتفاح فى ساحة الكفاح فان فعل كما فعل والدى يكون بلا شك أخى وبه أبلغ أربى وفى ثانى الأيام ركب الزير وركبت معه اليمامة وقد أخذت معها ثلاثة تفاحات وكان الجرو قد ركب بالأبطال وتقدم الى الميدان وطلب الزير للقتال فبرزت اليه اليمامة وقالت أنا أقاتلك اليوم دون عمى فاستعظم الجرو ذلك ولم يعلم السبب ثم أن اليمامة أخذت تفاحة لوحتها بيدها وضربته بها فأخذها برجله مع الركاب فطحنها ثم أنها ضربته بالثانية فأخذها على سنان الرماح ثم أخذت الثالثة وقالت اللهم ياخالق الخلق امح الباطل واكشف الحق فاخذها بيده ووضعها بجيبه فلما شاهدت تلك الحال علمت أنه أخوها فنزلت عن ظهر جوادها والقت نفسها عليه وقالت أهلا وسهلا يا أخى ابن دمى وأبى فانت والله ابن كليب بدون ريبه وقد ربيت فى ديار العدا والحمد لله الذى عرفناك فقال لها أنا ابن شاليس أيتها السيدة الحرة وأمى هى الجليلة بنت الأمير مرة فقالت أنت ابن الأمير كليب فانشدت تقول

قالت يمامة قصيدا من ضمائرها　　دمع العيون على الخدين هتان
اسمع أخى قصتى وافهم معانيها　　يا قاهر العدا فى وسط ميدان
أبوك قد خانه جساس ياسندى　　بطعنة يا عظيم القدر والشان
شاليس خالك وكل الناس تعرفه　　أهل الأغارب من قاص ومن دان
وعمك الزير فخر الناس كلهم　　وفارس الخيل من عجم وعربان
فاسال والدتك واكتم سرك　　وأرجع الينا فانت اليوم أيمانى

قال الراوى فلما فرغت اليمامة من شعرها تأكدت عنده تلك القضية لان قلبه لا يميل الى جساس ولا الى أحد من بنى مرة لاسيما وقد حن قلبه الى اليمامة فقال لها سرا لقد صدقت فاذهبى

الآن وعند الصباح أتبعكم إلى الأوطان ثم توقف عن القتال ورجع إلى الأمة حالا وأخبرها بذلك الشأن وأن تعلمه من هو أبوه من الفرسان وأقسم بالله إذا كتمت عنه الحقيقة قتلها وجعلها عبرة فلما علمت أمه بان الخبر قد اتصل اليه وأن الأمر ما عاد يختفى عليه وعلمته بالقصة من أولها إلى آخرها ثم أشارت تقول من فؤاد مبتول :

الجليلة قالت أبيات ملاح	نار قلبي بالحشا زادت لظاه
استمع يا ولدى فيما أقول	يا ضيا عيني ويا كل المنا
أنت روحي أنتفهم مني الكلام	قول صادق ليس فيه خفا
أن أبوك كليب صور المحصنات	قاهر الأبطال فى قوم الوغا
وأخوته خمسون أعمامك جميع	كلهم فرسان طعنانة قنا
ربعة من السبعت يا ابن حقيق	كل واحد سبع ربى بالفلا
منهم أبوك كان يدعى كليب	والفتى الزير المهلهل يا منا
والفتى المسمى عدى ودريمان	هذى الأربعة أتوا منها سوى
ثم ست وأربعون خلافهم	من الجوارى والسرارى والاما
كلهم يا أمير أعمامك لهم	كل واحد ألف يطعن بالوغا
وأبوك كليب ساد على الجميع	بالفروسية مع جود وسخا
جاء جساس خالك باق فيه	وترك بعده مثل الاما
وطردنى عمك الزير بعده	فرحت إلى أهلي دون الملا
قد كنت حاملى بعد أبيك	وولدتك فى هذا الحما
رحت سميتك على اسم الكلاب	صرت مثل السبع راتع بالفلا
وأنا والله من خوفى عليك	قلت أخى شاليس أنه لك أبا
وأنا أعلمتك فافعل ما تريد	ما بقيت أخاف فخر الملا

فلما فرغت الجليلة من شعرها بكى بكاء شديدا ولام أمه ثم أنه صبر الى الليل فركب وسار بالعجل الى المهلهل وصحبته العبد أبو شهوان الذى كان أرسله اليه عمه الزير وفى أثناء الطريق أراه العبد قصر أبيه وقبره المصفح بالذهب فلما رآه بكى وانتحب وعند وصوله الى عمه سلم عليه وقبل يديه واجتمعت شقايقه وجميع من يلوذ به من أهله وأقاربه فرحوا عليه وترحبوا به وكان الزير من أخر الخلق به ولما استقر به الجلوس وطابت من الخلق النفوس قال الجرو الحمد لله رب الكائنات الذى جمع بعد الشتات فلابد من قتله

جساس وأجعله مثلا بين الناس لانه فجعنى بابى وتاجى وفخرى وتركنى بتما طول دهرى فقال المهلهل لا بد من قتله على رؤوس الاشهاد وأنت تكون الحاكم بين أبيك على هذه البلاد ثم أنشد يقول وعمر السامعين يطول

يقول الزير أبو ليلى المهلهل ... صفا عيشى ووقتى ما تكدر
أتانى السعد من رب البرايا ... وزال النحس عن ربعى وأدبر
فقبل ظهوره كنا حزاما ... تقضى الليل قلق وتسهر
على فقد الفتى الماجد كليبا ... نوى غدرا له جساس فنطر
وفى دمه كتب لى فى البلاطة ... وصايا عشر أبيات وأكثر
يوصينى بقوله لا تصالح ... فسالم أنت ان صالحت تخسر
واطرد للجليلة من حمانا ... عدوه كمها ما كان أخضر
طردناها وهى بالجرو حامل ... ومن يقـــدر على رد المقدر
أنا فيهم فتكت بحد سيفى ... ونلت القصد منهجا بالمشهر
وأنى ما بكيت على كليب ... أخذ بثاره بالسيف مجهر
فابكى حيث ما خلف ذكوراً ... بنات الكل ما له أحد يذكر
ولما خالقى أنعم علينا ... وجانا الجرو كالسبع الغضنفر
صفا عيشى وقد نلت المقاصد ... وزال النحس عنا ثم أدبر
وبعده يا بنى اسمع كلامى ... أنا عمك وأنت الليث قسور
فقم واجلس على كرسى أبيك ... وفى أحول أجوتك تبصر

(قال الراوى) فلما انتهى الوزير من كلامه قال الجرو أطال الله بقاك ونصرك على جميع أعدك وبلغك مناك أنى والله يا عم فى قلق وغم فلا تزول أحزانى وأنا أربى حتى أخذ بثار أبى وأقطع رأس جساس وأجعله مثلا بين الناس أنه بعد حديثه وكلامه أجاب عمه المهلهل بهذه الابيات على شعره ونظامه

يقول الجرو قهار الاذى ... ألا يا عم يا حسن البنات
فافهم قصتى ونشيد شعرى ... فانت اليوم نصرى فى الغزاة
تقول اليوم قوم املك علينا ... وأنتم كالسباع الكاسرات
ألا يا عم انت أمير حاكم ... وذكرك شائع فى الكائنات
أيصلح لى أنا يا عم أملك ... واركب فوق ظهر الصافنات
وحياتى ينوحوا ثم يبكوا ... وبعد كليب صاروا سايبات

يريدوا قتل جساس بن مرة　　يشوفوا رأسه فوق القناة
فذاك الوقت وليتنى لأحكم　　وأفعل ما تريد أيا مناقى
دعونا نطلق الغـاز عليهم　　ونشهر السيوف الماضيات

(قال الراوى) فلما فرغ الجرو من كلامه شكره جميع أهله وأعمامه وبعد ذلك قال له الزير ماهو الرأى عندك ياابن أخى قال الراوى عندى هو أنى أغار عليكم نهار غدا وآخذ نوقكم وجمالكم إلى جساس وأقول له يابنى قد أتيت اليوم بأموالهم وغدا آتى برأس الزير ثم أبرز لحاربتك وأنت تضع قربة من الدم تحت جانبك فاطعنك بالرمح فآخذه تحت أبطنك والق نفسك على الأرض فتنشق القربة ويهرق الدم وأنا أصيح إلى جساس وأقول له قد قتلت عدوك يا خال فانزل اليه وقطع رأسه فقد زال الكدر وبلغنا الوطن وعندما يأتى اليك فقوم له بالعجل وتعدمه الحياة لأنه لم يعلم بقدومى عليكم وبهذه الوسيلة تتم الحيلة وتتخلص من هذه الورطة الوبيلة فاستصوب الزير رأيه ثم أنه ودعهم وسار وحده إلى ديار بنى مرة وعند الصباح ركب الجرو فى جماعة من الفرسان وساق مواشى بنى قيس باتفاق المهلهل ليث الميدان ففرح الأمير جساس وسادة بنى مرة وشكروا الجرو على هذه الغنيمة والنصر

(قال الراوى) واتفق فى ذلك بان جساس رأى حلماغريبا هو أنه أبصر ذاته بانه كان قد ربى عند جرو وذئب وكان يحبه ولما نشا وترعرع تصاحب مع سبع فالفه إلى أن كان فى بعض الأيام أغار السبع مواشى بنى مرة وهجم نساؤهم وأولادهم ويفنى كبارهم وصغارهم وكان الذئب يساعده عليهم فاغتاظ جساس من أفعال الأسد وهجم عليه يريد قتله فوثب عليه الذئب من ورائه ونهشه فالقاه سريعا على الأرض فقام جساس مرعوبا من هذا الحلم فنهض فى الحال وساروا إلى الديوان وجمع إخوته وباقى السادات وأعلمهم بذلك المنام فقالوا اهذا أضغاث أحلام وما زالوا يهونون عليه الأمر حتى راق وزال عنه القلق والكدر ولما صبح الصباح ركب الزير يطلب الحرب والكفاح وركب جساس وهو فى قلق ووسواس وكان الجرو قد وعده بهلاك القوم وقتل المهلهل فى ذلك اليوم ولما التقى الفريقان برز الجرو إلى الميدان فبرز اليه المهلهل فالتقاه الجرو وحمل وطعنه طعنة كاذبة لحسبها المهلهل من تحت أبطه فراحت خائبة والق نفسه على الأرض من ظهر الحصان خديعة للفرسان ليظهر لهم بانه قد مات وحلت الآفاق فعندها صاح الجرو والله أكبر على من طغى وتكبر فقال نلنا المراد بقتل الزير الذى أهلك العباد ثم أنه صاح على جساس وقال له انزل ياخالى واقطع رأس عدوك فقد قتلته واكتفينا شره فلما رآه يختبط بدمه نزل عن ظهر القميرة وفى ظنه أنه بلغ مراده ولما اقترب منه نهض الزير فى الحال وقبض على لحيته وهجم الجرو وشأ وضع الرمح بين كتفيه فعندها علم جساس بانها حيلة قد تمت عليه وتأكد عنده صحة ذلك المنام فاشار يخاطب الجرو ويقول ·

قال جساس الذى شاهد وفاة	يا سياح البيض فى طعن القنا
انى يا ابن أختى بك مستجير	فاجرنى يا ابن أختى من القنا
فاجابه الجرو ألا يا خال أقصر عن ملامك	دنى أجلى وقد وافى حمامك
تقول أجيرنى يا ابن أختى	ألا يا جرو أعطينا زمامك
قتلت كليب عدوانا وظلما	تظن باننى أسمع كلامك
وبعد كليب قد أصبحت حاكم	تسامى فى الملا أيضا مقامك
طغيت وجرت فى حكمك علينا	فاذنى لم تعد تسمع كلامك
تريد اليوم منا أن نجيرك	فهذا ما تشوفه فى منامك

فلما فرغ الجرو من كلامه جعل جساس يتوسل اليه بان يعفوا عنه قائلا بالله عليك أصفح عنى فان الذى مضى قد مضى وهل اذا قتلتنى يكون أبر فاتركنى لوجه الله الواحد القيوم فقال الجرو لابد من قتلك كما قتلت أبى حتى أكون بلغت أربى فلما طال بينهما الخطاب قال الزير أراكما قد اطالتما العتاب فعند ذلك طعنه الجرو بالرمح فى صدره وتقدم الزير وضربه بالسيف على رأسه فقطعه ثم وضع فمه على عنقه حتى مص دمه وكان الجرو ينهش فى لحمه حتى بلغ مراده وشفى فؤاده وبعد ذلك أعطى الزير الرأس لابن أخته ليأخذها الى شقايقه فسلمها الجرو الى بعض عبيده وهجم مع عمه مع باقى الابطال على جموع بنى مرة فاذاقوهم الوبال وبلغوا منهم الآمال وكانت مرة لما علمت بقتل جساس أيقنت بالموت الاحمر لانه كان القائد الاكبر وعليه الاعتماد فى القتال فولت الادبار وطلبت الهزيمة والفرار وكان المهلهل قتل فى ذلك النهار خلقا كثيرة منهم أمراء وقواد وسادات أمجاد والذين سلموا منهم طلبوا من الزير وللجرو الامان فاجابوهم وعفوا عنهم بشرط أن يكونوا مثل العبيد لاينقلون سلاحا ولا يحضرون حربا ولا كفاحا ولا يقدون نار لا ليلا ولا نهار ولا يعرف قبر ميت فى جوار لافى مقبرة ولا فى مقبرة ولا فى دار مشتتين فى البرارى يقضون حياتهم بضرب الطبل وان غابت نساهم طول النهار لا يسالها اين كانت بل يسالها ايش جبت وليس لهم صفة سوى الرقص والخلاعة فقبلوا هذه الشروط بكل رضا وقناعة وبعد ذلك تسلطن الجرو على كل القبائل نظير أبيه وطاعته العباد وفرحت بنات كليب كل الفرح وزال الغم والترح وخلعن عنهم ثياب السواد وكان عندهم ذلك اليوم من أعظم الاعياد وكان الجرو قد تزوج ثلاثة نساء وولد له ولدان فسمى الاول تغلب والثانى مالك ولما بلغا سن الرجولية زوجهما بابنتين من بنات الامير هلال حاكم حماه وزوج أخته اليمامة للأمير مفلح ابن الامير المذكور وهكذا اتصل بينهم النسب وخمدت نيران الحروب بين العرب وكان أفرح الناس المهلهل وكان الجرو

قد عرض عليه الزواج فامتنع وكان منعكفاً على الجلوس فى الخيام وكان يرقد وينام وهو لابس آلة الحرب لانه كان اعتاد عليها مدة الحروب التى استمرت نحو أربعون سنة ما كان من أمر المهلهل فى تلك الايام أما الجرو فانه كان قد زوج أربعة من شقايقه الى جماعة من الامراء وعمل فى ولائم وأفراح مدة طويلة أما ولداه مالك وتغلب فانهما بقيا مدة خمسة عشر عاماً ولم يرزقا أولاد من بنات الامير هلال المذكور وبعد نهاية المدة طلبت نساؤهما زيارة أهلهما بحماة فطلب أزواجهما من أبيهما الجرو أن يأذن لهما بذلك فاذن لهما فسارا مع نساءهما الى تلك الاطراف ولما بلغ الامير هلال قدومهم خرج للتقائهم مع ولده الامير مفلح مع زوجته اليمامة وخرجت أيضاً أكابر المدينة التقوهم بالترحاب والاكرام وأنزلوهم فى أحسن مكان وقاموا فى تلك الاوطان مدة من الزمان وهم فى سرور وفرح ولما صمما الامير مالك وتغلب على الرجوع الى الاوطان مات الامير مفلح مع أبيه الامير هلال فاقاما مكانهما يحكمان فى تلك الديار وانقادت لامرهما تلك البلاد وكانا محبوبان من جميع العباد وذهبت اليمامة الى أهلها فاتفق ذات يوم أن الامير مالك قال لاخيه يا أخى أنه قد مضى علينا مدة من الزمان ولم نرزق بولد حتى يبقى لنا ذكر يذكر بين البشر فدعنا نتزوج الآن على نسائنا فلعل الله يرزقنا أولاد والا ينقطع نسلنا من بين العباد فقال تغلب من الصواب أن نصلى الى الله فى هذه الليلة ونتضرع اليه أن يرزقنا أولاداً من نسائنا فهو على كل شىء قدير فامتثل أخوه لرأيه وصليا تلك الليلة بحرارة قلب وأشار تغلب يقول وعمر السامعين يطول :

يقول الفتى تغلب على ما جرى له	دمع جرى فوق الخدود نهور
أقول وفى قلبى من البين لوعة	وبى حسرات على الفؤاد تثور
لفراق أبينا بين الجرو والزير عمنا	عليهم قلبى والحشا مكسور
أيا رب يا رحمن يا سامع الدعا	عليك اتكلنا يا جابر المكسور
سألتك ربى بالخليل وابنه	بحق الذى اليه العبيد تزور
فيارب يا رحمن تجبر قلوبنا	بجاه موسى وعيسى الفاضل المشهور
بجاه داود مع يحيى مع الخضر	بالعرش والكرسى وبحر النور
ترزقنا ولدين يحيبوا ذكرنا	أيا من ترزق كل وحش كسور

وكان الامير تغلب ينشد هذه الابيات وأخوه مالك يقول آمين يارب العالمين فاستجاب الله دعاهما ولم تمض مدة يسيرة وبرهة قصيرة حتى حبلت النساء ولما تمت الايام ولدن فى يوم واحد فولدت زوجة مالك بنتاً وزوجة تغلب ولداً فقامت فى الحى الافراح

والمسرات وكان الامير بن فى الصيد والقنص فأرسلوا لها بعض العبيد يبشرها بذلك الخبر وكان اسمه سرور فلما أقبل العبد اليهما قالا له علامك يا سرور أبشير أم نذير فقال أننى بشير وأشار اليهما بهذه الابيات يقول

قال الداهى المسمى سرور   يا سادتى أتيتكم قاصد بشير
يا أمير مالك أتاك بنت كالقمر   وجهها كالشمس والبدر المنير
وأنت ياأمير تغلب أتاك غلام   يفرح القلب المتيم يا أمير
أتيت اليكم حالا بلا بطا   فوق حمرا كأنها طاير يطير
أريد منكم يا كرام بشارتى   اجبروا بالله قلبى الكسير

(قال الراوى) فلما سمعا كلام العبد فرحا فرحا شديدا وأعتقا العبد وأعطياه ألف دينار ومائة رأس من المواشى وأقاما الفرح والسرور مدة شهرين كاملين وأرسلا حالا يعلمان أباهما الجرو وعمهما الزير ويبشراهما بأن الله قد رزقهما بأولاد يحيو ذكرهما قد سميا الغلام الاوس والبنت مى وتعاهد الاخين على زواجهما ببعضهما متى كبرا ولما بلغ الجرو والمهلهل ذلك الخبر فرحا فرحا شديدا وحمدا الله ثم ركب الجرو فى جمع غفير من الاكابر والاعيان والفرسان لزيارة أولاده لانه كان فى غاية الاشتياق لاجل مشاهدتهما ولما اقترب من تلك الديار وبلغت الاخبار بقدومه إلى ولديه فخرجا لملتقاه بموكب عظيم من الامراء والاعيان والطبول إلى أن دخل المدينة وعند وصوله سلما عليه ووقعا على يديه يقبلانها فقبلهما بين عينيهما ثم سألا عن عمهما فقال أنه بخير وعافية وأنه ما زال فى خيامه وهو ملازم طعامه مع مدامه ثم سار إلى المدينة وكان ذلك اليوم أعظم يوم من أيام الزينة ونزل الجرو فى القصر الكبير ووقف بخدمته الكبير والمأمور والامير وأقام فى تلك الديار شهرين كوامل والمهنئين ترد عليه وهو يفرق العطايا على المساكين والارامل والايتام وكان فى آخر هذه المدة مرض الامير تغلب مرضا شديدا أقام فى فراشه عشرة أيام ومات فحزن عليه الجرو حزنا عظيما وعملوا عليه مناحة عظيمة حضرها الامراء والاعيان والابطال والفرسان من سائر البلدان ودفنوه بكل إكرام ووقار ولما عزم الجرو على الرجوع إلى بلاده استدعى ولده مالك اليه وأشار يقول

يقول الجرو من قلب حزين   ودمعى قد جرى تحت العيون
كوانى البين فى أول زمانى   بفرقة تغلب زادت عيونى
لقد كنا بخير مع سرور   فجار الدهر فينا فى البنين

فربى يحفظك مالك دواما إله فيه قد طابت ظنونى

(قال الراوى) فلما فرغ الجرو من شعره و نظامه أوصاه بالرعية وأن يكون عادلا فى حكمه وأن يزوج ابنته منى باوس ابن أخيه وبعد ذلك ودعه وسار وجد فى قطع القفار إلى أن وصل إلى أطلاله واجتمع بأهله وعياله وأما الأمير مالك فانه اعتنى بتربية ابنته وابن أخيه كما أوصاه أبيه حتى كبر وكان الأوس يركب ظهور الخيل ويتعلم الفروسية من الفرسان واستمر كذلك مدة من الزمان وكانت إبنة عمه منى من أجمل النساء. وكان الأوس يحبها محبة عظيمة ولا يطيق فراقها ليلا ولا ونهارا فلما شاع ذكرها فى قبائل الأعراب تواردت على أبيها الخطاب وكان قد سمعنا أن الصناديد بن الأكوع وكان ابن عم الملك تبع فعشقها على السماع وكان من الملوك العظام فأرسل وزيره ليخطبها من أبيها فعند وصوله طلبها لمولاه فقال والله نعم والصهر وبه أنال الفخر غير أنه لا يخفاك أطال الله بقاك بأن إبنتى مخطوبة لابن عمها الأوس ونحن الآن مباشرين بأمر العرس فلا يمكننى أن أنقض الكتاب إلا هذا الذى يمنعنى عن إجراء الايجاب فقال الوزير أكتب لى الجواب نكتب له هذه الأبيات

يقول الفتى مالك على ماجرى له بدمع جرى فوق الخدود صدود
أيا غادينا منى على متين ضامر تسابق لضرب المرهف المبرود
تهدى هداك الله خذ لى رسالتى وأعطيه مكتوبى تنال سعود
إذا جيت قدام الصنديد قل له بأنى على طول الزمان ودود
ومنى ترى مخطوبة لابن عمها ومعها ترنى والأنام شهود
فحاشا لمثلى أن يخون أقاربه وأفسح زمامى ثم أكون عنود
ترى الأوس روحى ومهجتى وهو عندنا أحسن من المولود
فلو كنت أعطيها لغير ابن عمها لكنت أنت اليوم أول بالمقصود

فأخذ الوزير الجواب ورجع إلى عند الصنديد وأعطاه إياه فلما فرغ وقف على حقيقة الحال خرج عن دائرة الاعتدال فغير زيه وتنكر وركب جواده وسار إلى تلك الديار وعند وصوله إلى مضارب الأمير مالك لم يجده هناك ولم يكن فى الحى إلا النساء والبنات فسأل بعض النساء عن غياب الرجال قالت منهم من سار إلى القبائل ليعزموا الناس إلى العرس والفرح ومنهم من ذهب مع الأمير مالك إلى الصيد ففرح وتقدم نحو الصيوان وأركز رمحه ووقف على الباب ونادى هيا يا أصحاب البيت فقد أتاكم ضيف من أبعد مكان وكانت منى داخل الخبار وحدها فارددت جوابا ولا أبدت خطابا ولما أبطأ الجواب وعرف أن الصيوان خاليا من الرجال أنشد

قال الفتى الغريب الذى شكى ولى قلب من بين الجوانح ذائب

أتيت قاصداً مالكا فى حاجة ... ولى ساعة أنا واقف بالبابه
يا أهل هذا البيت أين أميركم ... وأين مضى من الديار وغابه
يا ربة البيت الذى داخل الحى ... ما بكم لا تردوا الجواب
ألا فاخبرونى يا بنات بحالكم ... قلبى غدا من أجلكم مرتاب
إذا كان أهل الحى غابوا جميعهم ... أما فيكم كريمة ذا حجاب
فتقرى ضيفاً قد أتى من غربة ... وتستر أهاليها من الغياب
أكيد ما كل النساء تستر الفتى ... ولا كل من يحوى الردية صاب

فلما سمعت من شعره ونظامه وعرفت قصده ومرامه أخذتها الغيرة والمروءة لتستر عرض أهلها من القيل والقال وأشارت تقول :

تقول فتاة الحى منى التى شكت ... ألا فاستمع للقول يا نجاب
يا مرحبا بالضيف لما زارنا ... لك الخير والإكرام والترحابه
انزل مكانك حتى أحضر لك الغدا ... وتاكل من زاد لنا وشرابه
أنا بنت مالك راح للصيد والدى ... مع ابن عمى الاوس والاحبابه
انزل الى أن يرجعوا رجالنا ... ويأتوا ينحوا الحى بعد غياب
فكم جاء الينا ياأمير مثالكم ... خلايق كثيرة ما لهن حساب
نحن نحب الضيف إذا جاء محلنا ... انزل واجلس جانب الاطاب

فلما فرغت من كلامها قام الصنديد فى حبها وغرامها ستار الخيمة بسنان رمحه فوجد صبية بديعة الجمال فزاد به البلبال فصاحت عليه من خلف الستار تنظر الى بنات الملوك يا حدار ثم ردت منديلها على وجهها وقالت له لا شك أنك قليل الحياة فإن كنت ضيفاً كما تقول كى آتيك بالغذاء وإلا فما هذه الوقاحة ثم قالت لجاريتها اطلعى افرشى له حتى يجلس ويتغذى لبينما يأتى أبى من الصيد فخرجت اليه الجارية وسألته أن ينزل فى الصيوان فقال لها أنا عيب على أن أنزل عند الحريم وأنا سيد عظيم لئلا أدعى بكامح وهذا من أعظم القبائح وما أتيت إلى هذه الديار إلا لامر ضرورى جداً ثم أنشد وقال :

قال الفتى المدعو الامير فالح ... لى عند أبيك حاجة ومصالح
ست لجوجا على الغذا يا منيتى ... لكن أتيت لقيت أبوك سارح
لو ابن عمك مع جموعك فى الفلا ... والحى خالى صاح فيه الصائح
عيب على فى النزول فاننى ... بين الحريم أصير فاين كامح
إن الملوك لهم كلام بحالهم ... ما يدعو الاسرار عند البائح

وكذا الحريم ليس تحفظ سرنا دومى على خير فانى رايح
ودت عليه ثم قالت بالعجل يا أمير انزل لاتكون مراح
انزل تغدى يا فتى من زادنا ان كنت بين كرام قوم فالح
بحيات رأسك لاترد ضيافنى اسمع كلامى ثم كون مسامح
فانى أميرة وابن عمى مثله فى جودة يا أمير بحر طافح

فلما سمع كلامها قال لها مادام الامر كذلك فانى لا أخالف مقالك فقالت للجارية أن تأخذ له خبز وزبد ولما أتته بالزاد صاح فيها فقالت ماعلامك يا غانم فقال أكون أمير وذكرى بين الناس آكل من يد جارية لا قدر لها ولا قيمة فعند ذلك وضعت على رأسها الغطا وأخذت من الجارية صينية الطعام وقدمتها له فعند ذلك قبض عليها وغطاها بعباءته ووضعها على الجواد خلفه وسار سريع فصاحت الجارية وضجت نساء الحى وانقلبت الافراح بالاتراح وعلامتهم الضجيج والنواح وهو يجد فى قطع البطاح الى أن أمسى المساء فنزل على بعض الغدران وهو مسرور فاجلسها قربه وأراد أن يمارحها بالكلام فنفرت منه وابتعدت عنه وصارت تشتمه وتلعنه وتقول له يا خائب يا خائن ما الذى حملك على هذا الفعل القبيح وأنت تقول أنك عظيم وسيد كريم أيحسب أن كل الطيور يا كل لحمها فسوف تندم على هذا العمل ويحل بك من ابن عمى الاوس البؤس والنقم فمن تكون من قبائل العربان يا ذليل يا مهان فاشار اليها يقول وعمر السامعين يطول :

قال الفتى الصنديد ابن الاكوع انى أمير بالملوك مسمى
حولى من الفرسان كل محرب منسوب من أب وخال وعما
فسمعت أنا فى حسنك وجمالك والقلب فيك يا مليحة هما
أرسلت الى أبيك الوزير عناية حتى يزوجك لى وينعما
فاجابنى بكلامه لا يعطينى كلا ولو سقوه كاسا سما
فاغاظنى بكلامه لحضرتى ذلك اليوم وحدى وأبيك لايعلما
فاخذتك وبلغت كل مأربى واليوم أنت مى بنت العما

فلمافرغ من كلامه وهى تسمع نظامه بكت بكاء شديد وجعلت تصيح وتستغيث وتطلب منه أطلاق سبيلها لترجع الى الاوطان فلم يسمع لها كلام وجعل يلاطفها ويقول لابد من أخذك الى أطلال وأتزوجك بالحلال وأعزم الامراء والسادات من جميع البلدان ليحضروا الافراح لانى أتيت من بلاد بعيدة لاجل هذه الغاية الوحيدة وقد نلت مرادى وحصلت على مسرة فؤادى ثم أقام تلك الليلة فى ذلك المكان وهو مسرور فرحان ولما أصبح

الصباح واضاء بنوره ولاح ركب الحصان وأردفها خلفه وصار يقطع البرارى والقفار ويوصل سير الليل بسير النهار حتى وصل إلى الديار وهو بغاية الفرح والاستبشار ولما سمعت أكابر قومه بقدومه ظافرا غانما اجتمعوا اليه وسلموا عليه وهنأوه بالسلامة وسالوه عن سفرته وما جرى له فى غربته فقال أنى عند وصولى تلك الاطلال هجمت على الفرسان والابطال ومددت أكثرهم على بساط الرمال وفعلت فعالا تذكر على طول الاجيال وقتلت الاميرمالك وابن أخيه الاوس وأتيت إلى هنا بالعروس وقد نلت غاية مقصدى وعن قريب أباشر الافراح وأذبح الذبائح فلما سمعت منه هذا الكلام كان عليها أشد من ضرب الحسام فنهضت على الاقدام وقالت أمام السادات والاعيان أيها الخائن القرنان لقد نطقت بالزور والبهتان فوحق الإله الديان الذى لايشغلة شان لو كان أبى مالك وابن عمى الاوس حاضر لما بلغت مطلوبك ولا نلت مرغوبك ولا رجعت سالما لاوطانك ولا اجتمعت باهلك ولكنك خطفتنى بالاحتيال وهربت فى الحال خوفا من أن تدركك الرجال ويحل بك الوبال فوحق علام الغيوب إنك ان تنال منى المطلوب ولو قطعتنى أربا وجعلت لحمى مأكلا لطيور السماء ثم أن بعد هذا الكلا بكت بدمع سجام لاقد خنقتها العبرات وتذكرت ليالى المسرات وأشارت تقول من فؤاد متبول

تقول فتاه الحى مى العربيـــة ... بدمع جرى فوق الخدود سجيم
ألا يا جميع الناس بالله اسمعوا ... ترى صنديد كذاب لئيم
يا حيف تكذب يا أمير أمامنا ... حاشا لمثلك فى الكلام بهيم
ترى الكذب لايليق بمثلك ... ترى الكذب مصرعه وخـــيم
فما أنت فارس خيل تكسب الثنا ... ولا أنت من نسل الكرام كريم
وما أنت ممن ينقلون إلى القنا ... ولا أنت ممن يعرف التكريم
أتيت الينا تطلب الزاد حيلة ... أتيناك وعاء الغدر منك عظيم
وكان أبى مع ابن عمى لصيدهم ... ولا كان إنسانا فى الحى مقيم
غريمك بن الجرو من قيس أصله ... شجع فى الحرب وأنت غريب
وابن الاوس قوم صميدع ... أمير ابن أمـــير للعداة خصيم
الاوس بن عمى فارس الوغى ... والله لقولى يا رجال عليم
فلا بد ما ياتيك يا باخس الردى ... سريعا وتضحى للعداة عديم
فكونوا يا قوم وأنتم على حذر ... ولا يكون أحد منكم غشيم
فسوف تاتيكم أهلى على عجل ... وتهنى منكم كل قرم عظيم

(قال الراوى) فلما فرغت من شعرها ونظامها وسمع الحاضرون فحوى كلامها خافوا من العواقب وعلموا بان كلام الصنديد ليس له صحة ولا مروة على أفعاله وصاروا يخوفوه من الاوس وقتاله أما الصنديد فانه اغتاظ ونهض ولطمها على وجهها وقال هكذا تتكلمين يا بنت اللئام أمام السادة الكرام ثم سل سيفه من غمده وهجم عليها قاصدا قتلها فعند ذلك وثب الوزير وباقى الامراء بالعجل ردوه وقالوا له أنت أمين وسيد وتجعل عقلك مثل النسوان وتبقى معير عند قبائل العربان فماذا تقول عنك الملوك إذا سمعت بذلك وما زالوا يتوسلون اليه حتى لان وكان عنده سجان قلبه أقسى من الصوان فاستدعاه اليه فحضروا وكان من عمران بن الازرق وكأنه الشيطان بصفة إنسان لا يعرف الحلال من الحرام ولا يراعى حرمة فقال له خذ هذه الملعونة إلى بيتك وسلمها لزوجتك لتقيدها بالحديد وتعذبها وتلبسها ثياب الشعر وتضربها خمسة مرات فى النهار وأطعمها خمسة أرغفة من الشعير فقال يا مولاى أن هذه الصبية لا يمكنها احتمال العذاب وربما تموت فقال إن ماتت نعمت عليك وإن رأيتها لانت وندمت وشتمت أهلها وذكرتنى بالخير فاحضرها لعندى حتى تقبل يدى فاخذها العبد إلى بيته وسلمها لزوجته وأعلمها بواقعة الحال فلما رأت حسنها وجمالها وأدبها شفقت عليها وقالت لبعلها إن هذه الصبية لا تستحق الضرب والانتقام ولا تستاهل غير الاعزاز والاكرام فانها كالبدر فقال لها وقد لان قلبه من كلام زوجته وكيف العمل وما نحن إلا عبيد الملك فعند ذلك قامت ونزعت عنها ثياب الحرير ولبستها ثوبا من شعر الخنزير وأرادت ضربها بالسوط على قدميها فوقعت على رجليها وجعلت تبكى وتتوسل اليها وتثنى عليها وأنشدت تقول

بالله أن ترثى إلى أحوالى	فالدهر فوق صحبتى وعيالى
يا وحدتى ياذلتى ياغربتى	قد صرت بعد العز بالاذلال
قد كنت فى جاه وعز ورفعة	والله ربى عالم الاحوال
فترينى هذا النهار بحالتى	فلعل الله يستجيب فى الحال
ويعيدنى بعد العناء إلى الوطن	وأرى جميع الاهل والاخوان
إنى كريمة من أكابر معشر	فاقوا الورى بالجاه والافضال
ولهم وقائع فى البلاد جميعها	بين الملوك وزمرة الابطال

(قال الراوى) فلما فرغت من شعرها ونظامها رقت لها عليه وقالت طيبى نفسا وقرى عينا فانى مهما صنع معروفا لوجه الله تعالى ثم أنها جاءت بجلد جاموس يابس فصلته لها ثوبا والبستها

إياه من تحت الثياب وقالت إن ضربتك فلا تشعرين بالم الضرب وما قصدى إلا أن يسمع الملك الضرب وأنت من الالم تستغيثين وأقدم لك جميع ما تحتاجين ومتى دخل الليل تنسلخين من الثوب الجلد سترقدين براحة الا أن ياتى الله بالفرج فشكرتها ودعت لها بالخير ووعدتها بالجميل هذا ما كان من مى وما جرى لها وأما ما كان من أبيها فانه عند رجوعه من الصيد سمع الصياح والبكاء فسال عن ذلك فاخبرته زوجته بواقعة الحال فغاب من شدة غيظه عن الصواب وأما الاوس بن عم الصبية فانه غشى عليه لانه يحبها حبا ولما أفاق من غشيته فصار عمه يلاطفه بالكلام ويقول له طب قلبا فما يصلح الحزن إلا للنساء فاصبر لبينما ترسل من يكشف لنا خبر ذلك الرجل وبعد ذلك نسير الى دياره فنخربها ونسبي حريمه وعياله فقال الاوس ومن يذهب غيرى فوالله لا سرت الاوحدى ولاأريد رفيقا سوى رب العالمين ثم نهض واعتد بعدة جلاده وركب ظهر جواده وودعهم وسار فى قطع القفار ودموعه تجرى على خديه كالانهار وهو لا يدرى الى أين يذهب والى أى قبيلة يقصد من قبائل العرب الى أن وصل الى واد عميق ضيق الطريق كثير الاشجار والوحوش فبينما هو يتامل فى ذلك المكان واذا قد ظهر عليه أحد الفرسان وهو بالسلاح وللفروسية عليه علائم فلما رأى الاوس انفراده وحده مال اليه وقصده ثم قال له انزل يا جبان عن ظهر الحصان واخلع ما عليك من الثياب وفر بنفسك فى هذه المضارب قبل أن أسقيك كاس العطب أنا جمرة بن عمرة فارس العرب فلما سمع الاوس كلامه صار الضيا فى وجهه ظلام وهجم عليه فى الحال وصدمه صدمة تزعزع الجبال فالتقاه جمرة أيضا والتحما فى ساحة المجال واشتد بينهما القتال ساعة وهما فى ضرب وطعان تقشعر منه الابدان فاختلف بينهما ضربتين قاتلتين وكان السابق الاوس تغلب فجاءت فى صدره خرجت تلمع من ظهره فوقع قتيلا وفى دمه جديلا فاخذ عدته وجواده ثم سار وهو يقطع البرارى والقفار والسهول والاوعار ولما اشتد عليه الحال أنشد وقال

يقول الاوس المفارق فى حبيبته ... دمى جرى من فوق خدى قناة
نيران قلبي اشتعلت فى ضمايرى ... يهب لها بين الضلوع لظاه
يا ليث من كان السبب بفراقنا ... يطعن بحربة فى صميم حشاه
يا رب فاهدينى عليها عاجلا ... ليزول من قلبي العنا وشقاه

ثم أنه جد فى السير وهو يقطع البرارى والآكام مدة خمسة أيام واتفق فى اليوم الخامس أنه التقى بفارس وهو يجد ويقطع القفار فتقدم اليه وسلم عليه وقال له إلى أين أنت سائر إلى من تنسب من القبائل والعشائر قال أنى من بنى عبس وعدنان أصحاب الفضائل

الاحسان انى سائر الى ديار بنى عامر لاستدعى حامينا عنتر فارس الخيل لانه سار منذ ١٠ أيام ليحضر وليمة دعا اليها عامر بن الطفيل وفى غيبته غزانا عمرو بن معد فى خمسة آلاف فارس فحاربنا محاربة شديدة وجرى بيننا وبينه وقائع شديدة فارسلنى مولاى قيس بن زهير لاستدعيه للحضور قبل أن يظفر بنا عمر المذكور فقال الاوس وقد تعجب من هذا عنتر بن شداد فارس الصدام الذى اشتهر ذكره فى هذه الايام بطعن الرمح وضرب الحسام وقهر الجبابرة وحارب الملوك الاكاسرة و افتخر على الابطال والفرسان فى ساحة الميدان فلما سمع الاوس الخبر تحير وانبهر ثم ودعه وجد فى البر الاقفر وما زال يقطع البرارى والآكام مدة سبعة أيام حتى رأى جماعة من العبيد ترعى الأغنام فحياهم بالسلام وأخذ يسالهم بهذا الشعر والنظام :

يقول الفتى المضنى الفائض ما به ... فدمعى جرى فوق الخدود سايح
ألا يا عبيد الخير بالله اشفعوا ... لصب بعيد الدار ولهان نازح
فجميع وجميع مستهام ملوع ... تركة البين مضى كثير الجوايح
لقد ضاع لى حرة عنيقة عن الخنا ... فهل من يبشرنى بها يافوالح
ويخبرنى لاى بلاد توجهت ... من أجلها نارى تزيد اللفائح
لقد أحرقت قلبى ولى مهجتى ... وكل عظاى أوثقتهم جرايح

فلما فرغ من كلامه تقدم اليه كبير الرعيان وكان اسمه مرجان وقال اعلم غلام أنه من برهة عشره ايام سبى أميرنا الصنديد ابنة اسمها مى لا يوجد أجمل منها فاراد أن يتزوجها فامتنعت عنه ولم تميل اليه فقيدها بقيود من حديد وكل يوم يعذبها العذاب الشديد فعسى أن تكون هذه الابنة التى ذكرتها لنا فى نظمك فرج الله عنك همك فلما سمع الاوس هذا الكلام أيقن ببلوغ المرام ونزل على الحصان وقبل العبد مرجان وأوعده بالجميل والاحسان فبينما هم فى الحديث والكلام واذا بسعد بن أخت الصنديد قد أقبل فى ذلك الوقت ليفتقد المراعى فنظر الاوس فاستغفر به وسال عنه بعض العبيد فقال هذا ابن عم الصبية التى عند خالك الصنديد قد جاء ليكشف أخبارها ويرجع بها الى ديارها فلما سمع هذا الكلام رجع الى خاله وأعلمه بما شاهد وما سمع وأشار اليه يقول

قال سعد قد أتيتك عارا ... يا خال منى فاسمع الاخبارا
البنت التى غربتها عن أهلها ... من خلفها فارس أتاك جهارا
يا خال فارس فى الله مجرب ... وعيونه يا خال تقدح نارا
ان كان وافت لك أوقات الصفا ... فيصفوها تاتى لك الاكدارا
قد جاء الى عند العبيد يسال ... أتبوه كالاسد هدارا

لما سمعت أتيت نحوك بالعجل   هذا الذى يا خال تم وصارا

(قال الراوى) فلما فرغ سعد من كلامه قال له الصنديد فارس واحد قال نعم أيها السيد الماجد فشتمه خاله وقال له ما قدرت أن تقتله حتى أتبنى بهذا الخبر فمن يكون هذا القرنان الذى أتى إلى هذا المكان فارجع وخذ روحه من بين جنبيه فانه لا يليق أن أركب لقتال صعلوك من صعاليك العرب فخرج سعد من عند خاله وقصد الاوس فلما اجتمع به صاح فيه وحمل عليه فالتقاه كالسيد وضربه بالحسام المهند فالقاه على الارض قتيلا فاخذ سلبه وثيابه ولما أبلغ خاله الخبر طار من عينيه الشرار فركب ظهر جواده واعتد بعدة جلاده وقصد الاوس حتى التقى به فوجده شابا لا نبات بعرضيه فاشار اليه يقول

يقول الامير صنديد كلاما   أنا البطل الهمام بلا توانى
أنا صنديد عزمى مثل اسمى   شديد الباس فى يوم الطعان

فاجابه الاوس بهذه الابيات

أنا فارس على كل الفوارس   وذكرى شاع فى قاص ودان
أيا صنديد لا تشكر بنفسك   فسوف ترون ضرابى مع طعانى

فلما فرغ الاوس من الكلام انطبق على الصنديد كانه الليث وأخذ معه فى القتال والصدام ولم تكن الاساعة حتى اثخنه بالجراح فولى وطلب لنفسه الهرب خوفا من حلول العطب فتبعه الاوس مثل السرحان حتى وصل إلى الصيوان احتمى عند النسوان وكانت قومه تبغضه وتكرهه لانه كان زنديقا شريرا وكانت تتمنى هلاكه ولا تعلونه فى أمر مهما كان فلما دخل على الحريم قالت له زوجته سعد أعلامك داخل الينا مرعوب قال كل هذا الاجل الابنة التى اختطفها وما نلت المرغوب فقالت تستحق أكثر من ذلك ثم وبختة وقالت له تدعى الفروسية وتهرب من ولد أمرد هذا والاوس يصيح عليه ويقول أخرج يالئيم من بين الحريم حتى أريك كيف القتال وأجازيك على تلك الفعال ياغدار يا محتال فخاف الصنديد وقال لزوجته سعدا أعطيه إبنة عمه واكفيا شره فخرجت زوجته ووقعت عليه وطلبت منه العفو والسماح عما جرى وكان فاجابها إلى ذلك الشان وأعطاهم الامان فجاؤا اليه بابنة عمه منى بعد أن البسوها الثياب الفاخرة وذبحوا الذبائح وقدموا لها الاطعمة ولما اجتمع بها زال عن قلبه الكدر ومن كثرة فرحه أخذ يسكب العبرات وهكذا فعلت منى وكان ذلك اليوم عندهما كيوم العيد لاجتماعهما (قال الراوى) فباتا هذه الليلة فى الحالة وعند الصباح أركب منى فى هودج وسار مع جماعة من العبيد وتوجه قاصدا دياره ولما اقترب من بلاده أرسل

يبشر عمه مالك بقدومه وشاع الخبر فى الحى فخرجت النساء والبنات وأكابر السادات المتقام ولما اجتمعوا به وسلموا على بعضهم وشكرا الامير مالك ابن أخيه على فعله عند وصوله إلى الخيام حدثهم الاوس بما جرى فتعجبوا من فعاله ثم حدثهم بحديث عنتر وما سمع عنه فقال عمه لقد سمعنا بذكره وأنه أفرس فرسان عصره وبعد ذلك دارت فى القبيلة الافراح وزفوا الاوس على إبنة عمه فكانت ليلة من أعظم الليالى حضرها جمع كبير من الامراء والسادات وفرح الاوس بعروسه ونال منها القصد والامل وحظى منها بذلك الحسن وعاش معها بأرغد عيش وأحسن حال وبعد ذلك وضعت غلاما سماه مالك وله حديث طويل فاتفق بعد عشرة أيام أن عم الاوس مرض مرضا شديدا ومات لحزن عليه وبكى عليه الجميع لانه كان محبوبا من كل قبيلة وأرسل الاوس وأعلم جده بذلك الخبر فحزن وتكدر فقالت له أخته اليمامة أرسل يا أخى وأحضر ابن ابنك الاوس ليرجع إلى أهله ويجتمع شملنا بشمله فأجابها إلى ذلك وفى الحال أرسل رجلا من بنى عمه ليحكم مكانه فجاء الاوس مع أهله وسكن عند الجرو جده وراق لهما الزمان وعاشا فى عز وأمان (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من البطل الهمام والليث الضرغام صاحب الذكر الصهير المهلهل المدعو بسالم الزير فانه كان قد أحناه الكبر لما عليه من السنين وقد ضعفت قواه وهو مع ذلك مواظب على أكل الطعام وشرب المدام وكان لاينام إلا وهو لابس عدة الحرب وما زال على تلك الحال حتى برزله أسنان جدد وكانت بنات أخيه تخدمه وتداديه فاجتمع يوما بالجرو وقال له يا ابن أخى قد ضاقت أخلاقى من الوحدة والانفراد فأريد منك أن ترسلنى مع بعض الاتباع للتنزه فى البلاد فأجابه إلى ما طلب وأركبه هودج على ظهر جمل وأعطاه عبدان للخدمة وجميع مايحتاج اليه من لوازم السفر فودعه المهلهل وسار وما زال يجول من مكان إلى مكان حتى اقترب من بلاد الصعيد وكان العبدان قد تعبا من مشقة الطريق وهما يلاقيا من التعب أشد الضيق فصمما على قتله وإعدامه ويقولون لاهله قد أدركته المنية فعرف الزير قصدهما فقال قد دنا حمامى وابسرا لا القبر أمامى فاذا أدركتنى منتى أريد منكم أن تبلغا أهلى وصيتى قال ماهى فعاهدهما على حفظها وتأديتها فحلفا له بأعظم الاقسام بتبليغها بالكمال والتمام فقال إذا وصلتم إلى الحى فاقريا أهلى منى السلام وأنشدوهم هذا البيت وقولا لهم إنى فى القبر قد اختبيت

من مبلغ الاقوام أن مهلهلا لله دركما ودر أبيكما

وكرره عليهما حتى حفظاه ولما دخل الليل ذبحاه ودفناه تحت التراب ورجعا إلى ديارهما ودخلا على سيدهما الجرو وأعلماه بموت عمه الزير فبكى بكاء شديدا هو ومن حضر ثم

أن العبدان اقتربا من الجرو وأنشداه البيت المذكور

من مبلغ الأقوام أن مهلهل ... لله دركما ودر أبيكما

فلما سمع الجرو هذا الشعر به حيث لا معنى له فاستدعى بأخته اليمامة وكانت من أزكى أسماء العرب وأعلمها بموت عمها وأنشداها ذاك البيت فلطمت على وجهها وبكت وقالت أن عمي لا يقول أبيات ناقصة بل أراد أن يقول

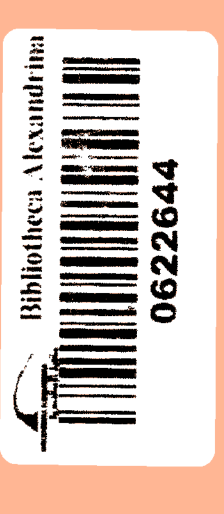
من مبلغ الأقوام أن مهلهلا ... أضحى قتيلا فى الفلاة مجندلا

لله دركما ودر أبيكما ... لا يبرح العبدان حتى يقتلا

ثم أنهما قبضا على العبدان وألقوهما تحت العذاب والضرب إلى أن أقرا بأنهما قتلاه ودفناه فقتلهما الجرو وهكذا انتهت حياة الزير وقد أخذ تاره فى حياته وبعد مماته قال بعد وفاة الزير وضعت امرأة الأوس غلاما فسماه عامر وعندما بلغ سن الرجولية تزوج بامرأة من أشرف العرب فولدت له غلاما فى نفس الليلة التى مات فيها الجرو وقد عاد هلال وهو جد بنى هلال ولما كبر الأمير هلال تزوج بامرأة ذات حسن وجمال فولدت له غلاما دعاه المنذر واتفق أن هلال زار مكة فى بعض السنين باربعمائة فارس وكان وقتئذ ظهور النبي المختار وعند وصوله ضرب الخيام وطاف برجاله حول البيت الحرام وتشرف بمقابلة النبي ﷺ وقبله بين عينيه وصار له من جملة الأصحاب والأعوان فأمره النبي ﷺ أن ينزل فى وادى العباس وكان النبي فى تلك الأيام يحارب بعض العشائر فعاونه الامير هلال وأمده بالعسكر وقاتل معه فى ذلك النهار وكانت فاطمة الزهراء راكبه فى هودجها فلما رأت هول القناعة ومصارعة الابطال زجرت جملها لتخرج لمشاهدة الرجال فشرد بها فى تلك البرارى وكان السبب بالبلاء والشتاء فقال لها أبوها ادعى لهم بالانتصار فانهم بنى هلال الاخيار وهم لنا من جملة الاحباب والانصار فنفذت فيهم دعوتها بالتثبيت والنصر على طول الدهر .

تم الكتاب بعون الملك الوهاب

المطبعة اليوسفية بشارع محمد على بمصر


Bibliotheca Alexandrina
06222644